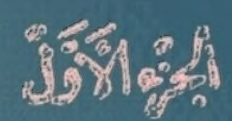

الدكتور يحيى بوعزيز


أعلام الفكر والثقافة
في الجزائر المحروسة


الجزء الأول


دار الغرب الإسلامي



أعلام الفكر والثقافة

في الجزائر المحروسة

الدكتور يحيى بوعزيز

أعلام الفكر والثقافة

في الجزائر المحروسة

الجزء الأول



الطبعة الأولى

1995

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـدمـة

قصة هذا الكتاب طريفة وتستوجب الوقوف عندها، وقد أعددناه في جزئين اثنين لكل منهما قصته وحكايته.

الجزء الأول: أعددناه في الأصل ليكون الجزء الأول من الجزئين اللذين خصصناهما لدراسة الثورة المسلحة في الولاية الثالثة من الولايات الست للثورة الجزائرية 1954 ـ 1962. ولكن ما أفرزته ديمقراطية اكتوبر 1988 من الدعوة للائكية الدولة، وأمازيغية اللغة والثقافة، دفعنا لنجعله كتاباً مستقلاً بذاته ليكون أحسن رد وجواب مفحم للذين يريدون الشر للإسلام واللغة والثقافة العربية الإسلامية في هذه البلاد التي أنجبت، وما تزال تنجب إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، أبطالاً، وعظماء، ومفكرين مبدعين، في جميع التخصصات تجاوزت سمعتهم ومكانتهم وتأثيراتهم رقعة الجزائر وبلدان المغرب والأندلس، إلى بلدان الشرق العربي الإسلامي وآسيا الوسطى، ومجاهل إفريقيا، وجنوب أوروبا. وتركوا بصماتهم على كل جوانب الحياة الحضارية، وعمل الكثير منهم بصمت ورحلوا عن هذه الدنيا بصمت وكانوا بحق جنود الخفاء.

وهذا ما دعانا إلى تخصيص هذا السفر لاستعراض تراجم وسير بعضهم في هذه الرقعة الجغرافية الواسعة التي نشأت عليها الدولة الحمادية بشرق الجزائر من القرن التاسع إلى نهاية القرن العشرين الحالي، ما دام من الصعب الترجمة لجميعهم، وعلى المستوى الوطني لأن ذلك يتطلب جهوداً جماعية.

ومجلدات عدة، وإمكانات مادية معتبرة غير متاحة لنا. وما لا يعمل كله لا يهمل بعضه كما يقول المثل السائر.

وليس هذا العمل بالأمر الغريب، فقد سبقنا إلى مثله بعض العلماء فيما مضى، فأرخ أحمد الغبريني لعلماء بجاية في كتابه: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية[1]، وأرخ ابن مريم لعلماء تلمسان في كتابه: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان[2]، وأرخ محمد الحفناوي لكثير من العلماء والصلحاء في كتابه: تعريف الخلف برجال السلف[3]، كما أرخ قبلهم ابن صعد التلمساني لكثير من العلماء والصلحاء. في كتابه: النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب، وكتابه: روضة النسرين في مناقب الأربعة المتأخرين الذي استخرجه من الأول[4]، وأرخ آخرون غيرهم لا مجال لذكرهم هنا.

وقد بذلنا جهوداً مضنية في جمع مادة هذا الجزء خاصة بالنسبة لسير العلماء المحدثين والمعاصرين، فاعتمدنا على المراسلات، والاتصالات المباشرة، والمعرفة الشخصية. فكتب لنا البعض سيرهم وتراجمهم بأقلامهم، وأمدنا البعض بسير من يعرفونهم شخصياً أو لديهم معلومات موثوق بها. وترجمنا نحن لمن نعرفهم شخصياً وغادروا هذه الدنيا واستعنا بمن نعرفهم كذلك ليكون العمل كاملاً أو قريباً من الكمال. أما الذين لا نملك عنهم معلومات كافية فقد اكتفينا بإيراد أسمائهم، ومواطنهم في انتظار استيفاء

---

(1) حقق هذا الكتاب ونشره ابن أبي شنب بالجزائر عام 1910 وأعاد نشره المرحوم رابح بونار عام 1971 م.

(2) حقق هذا الكتاب ونشره ابن أبي شنب عام 1908 وأعاد سحبه ديوان المطبوعات الجامعيۃ عام 1986م.

(3) نشر هذا الكتاب بالجزائر عام 1906 وأعادت سحبه مؤسسة الرسالة والمكتبة العتقة بتونس عام 1982م.

(4) كتاب النجم الثاقب ما يزال مخطوطاً في المكتبات العامة والخاصة، وروضة النسرين حققناه نحن وقدمناه للطبع والنشر لدى مؤسسة: دار الغرب الإسلامي لصاحبها الفاضل الحبيب اللمسي.

المعلومات المطلوبة مستقبلاً إن شاء الله، ولشحذ الهمم الأخرى لتبحث عنها وتدرس حياتها الفكرية والثقافية.

وخلال هذا استعرضنا المؤسسات العلمية والتربوية في المنطقة مثل الزوايا والمدارس، والمعاهد، والمساجد، والمعمرات، التي كان لها دور رائد وأساسي في تكوين هذا الحشد من العلماء، والمفكرين، والمثقفين، خاصة في الفترة الاستعمارية الأروبية التي امتدت من 1830 إلى 1962 وتعتبر من أحلك وأظلم فترات تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر.

الجزء الثاني: أعددناه منذ مطلع الثمانينات واستعرضنا فيه سير عدد من العلماء الكبار في مدن تلمسان ووهران وتلمسان الذين أنجبتهم عائلات علمية ذات باع في الفكر والثقافة، على مستوى العالم العربي الإسلامي كله غربه وشرقه. وتعثر طبعه في المؤسسة الوطنية للكتاب لأسباب بيروقراطية نأسف لها. وجاءت المناسبة ليضم إلى هذا السفر، ونكون بذلك قد جمعنا بين عمل الغبريني وابن مريم. وابن صعد، والحفناوي وآخرين.

إن التاريخ الفكري والثقافي لأية أمة، هو المقياس الأساسي والأداة الفعالة لوزن وقياس مدى نهضتها، ورقيها، وتقدمها، ومدى مشاركتها في تشييد الحضارة الإنسانية المحلية والعالمية. وما قدمناه نحن في هذين الجزئين من أعلام الجزائر يؤكد أصالة وعراقة حضارة الجزائر، ويثبت المشاركة الفعالة للعشب الجزائري المؤمن والمسلم، والمجاهد، في إثراء وإخصاب الحضارة العربية الإسلامية مشرقاً ومغرباً.

وهو ما يجب على الأجيال الصاعدة أن تعرفه، وتطلع عليه لترى ما أنجزه الأجداد، وما بذلوه من جهود جبارة عبر التاريخ وفي كل مجالات الحياة لتعيش هي اليوم حرة مكرمة ومستقلة وفخورة بماضيها، وحاضرها، ومستقبلها.

فباسم الله وعونه نقدم للمكتبة التاريخية هذا الجهد المتواضع من سير الأجداد تحت عنوان: «أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة» بجزئيه عن شرق البلاد وغربها آملين أن يجد صداه ومكانته المطلوبة.

ونقدم شكرنا وتقديرنا للأخ الفاضل: السيد الحبيب اللمسي، وداره العامرة دار الغرب الإسلامي التي تولت طبعه ونشره.

والله يوفقنا إلى ما فيه الخير والصلاح والفلاح

الجمعة { وهران ـ حي جمال الدين
18 ذو القعدة 1414 هـ
29 ابريل 1994 م }

د. يحيى بو عزيز
معهد التاريخ
جامعة وهران
(الجزائر)

تمهيـــد

أوضاع شبه جزيرة المغرب قبل الإسلام

كان إقليم شمال إفريقيا الغربي، أو شبه جزيرة المغرب، قبيل الفتح الإسلامي، يعاني، ويعيش اضطرابات خطيرة: سياسية، واقتصادية، واجتماعية، وثقافية، عرضته للتمزق، والتشتت، والتحطيم، لأنه بلي بالاستعمار الروماني الشرس، ذي الطابع العسكري، الذي كان همه الوحيد، وهدفه الأساسي، تسخير واستغلال إمكانياته الاقتصادية والبشرية، لصالح روما وإيطاليا.

وهذا ما فعله الوندال، والبيزنطيون، بعده، فعانى شعب هذا الإقليم أعباء مرهقة، وشاقة، وقاسى مالا يتصور من الأتعاب، والكوارث الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية، والدينية، والثقافية، ولم يجد وسيلة للتخلص سوى التمرد، والثورة. ومد زعماؤه أيديهم إلى حلفاء جدد خارج الإقليم تمثلوا في العرب المسلمين القادمين من شبه الجزيرة العربية في القرن السابع الميلادي، حاملين معهم العقيدة الإسلامية الجديدة بقيمها السماوية، ومثلها العليا السامية.

وكان مما ساعد على فك عرى الارتباط بين شعوب شمال إفريقيا الغربي، والإدارة البيزنطية، انعدام الانسجام بينهما رغم القرون الطويلة التي قضاها الغزاة الرومان، والبيزنطيون في هذه البلاد.

وهذا يذكرنا أيضاً بالعهد الاستعماري الفرنسي حديثاً الذي قضى في هذه البلاد، قرناً وثلث القرن، ولكنه لم ينجح في إحكام ولو مجرد صلة عادية

وبسيطة مع شعب هذه البلاد، رغم كونه سلك نفس السياسة، وطبق نفس الأساليب، ورحل مخذولاً ومطروداً كسابقيه.

ما قدمه الإسلام لشعب هذا الإقليم

وقد استطاع العرب المسلمون، بيسر وسهولة، وفي وقت قصير جداً، أن يفرضوا سيطرتهم السياسية على هذه البلاد، ويندمجوا مع سكانها الأمازيغ، ويؤثروا فيهم، بفضل المبادىء السمحة للدين الإسلامي الجديد الذي جاؤوا به ومن أجله، إلى هذه البلاد، وأعاد هذا الاندماج السريع بين المسلمين الوافدين الجدد، وبين سكان هذه البلاد الأصليين، الوحدة الوطنية والقومية للإقليم، وأزال ذلك التشتت، والتمزق، اللذين خلفهما العهد البيزنطي السابق، والروماني قبله، وبذلك انسجمت الوحدة الجغرافية والتاريخية للإقليم، مع الوحدة السياسية، والدينية، واللغوية الجديدة.

وربط الإقليم بالخلافة الإسلامية في المدينة المنورة أولاً، ودمشق ثانياً، وبغداد ثالثاً، وبقي على هذه الحال حتى عهد هارون الرشيد، ثم حدثت تطورات جديدة فرضتها الأحداث الجارية، وبرزت زعامات محلية إقليمية جديدة، سعت لتحقيق استقلالها وانفصالها عن الخلافة بالمشرق، ولكن في إطار الإسلام دائماً، وهو أمر له أهمية خاصة، في بقاء شعب الإقليم مسلماً حتى اليوم وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

قيام المراكز الحضارية ببلدان المغرب

وكان أهم شيء قدمه الإسلام الجديد الوافد لهذا الإقليم وشعبه، هو وحدة اللغة والعقيدة، التي دعمت وحدته العرقية، والجغرافية، والتاريخية، وهو أمر جد هام لم يستطع الرومان، ولا مسيحية روما وبيزنطية، أن تقدمه وتوفره لهما.

وبفضل وحدة اللغة والعقيدة هذه، وفي إطار الإسلام، انكب شعب الإقليم على البناء والإبداع الحضاري في أوسع مجالاتهما، وفي جو من الحرية السياسية، والبحبحة الاقتصادية، وقامت بالإقليم مراكز حضارية هامة لا تقل مكانة ورقياً عن مراكز الشرق الإسلامي. مثل: القيروان، وفاس، وتيهرت، والمسيلة، وأشير، وقلعة بني حماد، وبجاية، ومراكش، وتلمسان، وقسنطينة، إلى جانب حواضر الأندلس الكبرى، وصقلية الإسلامية، التي تعتبر جزءاً من هذا الإقليم المغاربي، ومن صنعه وإبداعه.

وقد أخصب فيها الفكر، ونفقت التجارة، وتطور العمران واتسع، وازدهرت الفلاحة والصناعة، والحياة الاقتصادية بصفة عامة، وتطورت الحياة الاجتماعية وازدهرت، ونما السكان وكثروا، وأبدعوا في كل مجالات الحضارة.

وأنجب الإقليم أبطالاً من عظماء الرجال، وذوي المكانة العالمية، أمثال طارق بن زياد، وأسد بن الفرات، وجوهر العقلي، وجعفر بن فلاح، وجعفر بن علي، وزيري بن مناد، وبلكين بن زيري وحماد بن بلكين، والناصر بن علناس، وعبد المؤمن بن علي، وياغمراسن الزياني، امتد تأثيرهم إلى خارج الإقليم، وكان من نتيجة أعمالهم فتح الأندلس، وصقلية، ونشر الإسلام بهما، وتأسيس مدينة القاهرة والجامع الأزهر بمصر، وغرناطة بالأندلس.

كما أنجب الإقليم فطاحل العلماء، والأدباء، والشعراء، والفقهاء، والكتاب، والمفكرين، والفلاسفة، والمؤرخين أمثال: ابن رشيق المسيلي، وسحنون القيرواني، وابن عرفة التونسي، والقاضي عياض السبتي، والشريف السبتي الإدريسي، وابن مرزوق الخطيب، والحفيد، وحفيد الحفيد، وإبراهيم الآبلي، وأحمد المقري، وسعيد العقباني، التلمسانيون، وأحمد الغبريني، وأحمد بن إدريس البجائي، وعبد الرحمان الوغليسي، وابن معطى النحوي، والشيخ ابن مروان العنابي، وعبد الرحمن الثعالبي، وعبد الرحمن بن خلدون وأخيه يحيى، وعبد الكريم الفقون، ويحيى العيدلي، والحسين الورتلاني،

وغيرهم، شاركوا كلهم في بناء صرح الحضارة العربية الإسلامية، وإثرائها، تلك الحضارة التي ستكون أهم رافد لنهضة أوروبا ويقظتها[1].

مركز بجاية الحضاري:

ونظراً للدور الهام الذي قامت به بجاية في الميدان الحضاري، خاصة الجوانب الفكرية والثقافية، التي ستنعكس على منطقة جبال البيبان، والبابور، وحوض الصومام، والحضنة، فلا بد من كلمة حولها، وحول هذا الدور كقاعدة لعمل الأجيال المتلاحقة بعد ذلك.

لقد تم تأسيس مدينة بجاية في بداية النصف الثاني من القرنين: الخامس الهجري (460 هـ) والحادي عشر الميلادي (1067 م)، على أيدي الأمير الناصر بن علناس الحمادي، كصنوة، لقلعة بني حماد التي هي صنوة لمدينة أشير.

وكانت في الأصل ميناء بحرياً قديماً يدعى: صلداي، يرد عليه البحارة منذ عهد الفينيقيين، وعندما أسسها الناصر سماها: الناصرية، ولكن الناس غلبوا عليها اسم: أَبْقَايَتْ، البربري، الذي كان اسماً لإحدى القبائل الأمازيغية القاطنة هناك حسب رواية ابن خلدون، وما تزال هذه التسمية الأمازيغية حتى اليوم مستعملة من طرف سكان المنطقة ذوي الأصول الأمازيغية، وهي التي صحفت بالعربية، وأصبحت هكذا: بجاية. في المصادر العربية، والنطق العربي.

وقد أسست هذه المدينة: بجاية، على السفح الشرقي للجبل الذي يشرف على البحر إلى جوار مصب وادي الصومام الكبير غرباً، وعندما انتقل الناصر بن علناس الحمادي إليها عام 461 هـ، أسس بها ورشتين، لبناء السفن، والمراكب

---

(1) يحيى بوعزيز: جهود الجزائر الفكرية في موكب الحضارة العربية، **الأصالة**. عدد 19 (مارس ـ ابريل 1974) ص 287 ـ 301.

البحرية: الحربية، والتجارية وقصرا لزوجته بلارة، بنت تميم بن المعز أمير المهدية الصنهاجي.

وتوسع عمرانها، بعد ذلك، حتى أصبح بها إحدى وعشرون حياً، واثنان وسبعون مسجداً، ومائة وخمسون ألف ساكن، وقصور، وحمامات، ودكاكين، وتكايا، ووكالات، وكتاتيب، وورش لصناعة الخشب، والأدوات الطينية، والنحاسية، والحديدية، والحلي الفضية، والذهبية.

وجلب إليها الماء عبر السواقي، والقنوات العلوية، واهتم الفلاحون حولها، وفي فحصها، بفلاحة الحبوب، وغراسة الأشجار المثمرة، وتربية المواشي، وتوفير المؤن والأغذية، والحبوب، والخضر، والفواكه، واللحوم، ونشطت بها صناعة الأسلحة، والذخائر، والعتاد الحربي، كالنبال، وصناعة الشموع ـ والأدوات الخشبية، والطينية، والطرز، والنسيج، ونسخ الكتب، وصناعة الورق، والجلود.

ومن أبرز قصورها: قصر اللؤلؤة، وقصر أميمون، بجوار ضريح سيدي التواتي، وقصر الكوكب، وقصر بلارة، وقصر الرياض البديع، الغربي، وقصر الرياض الرفيع الشرقي.

وقد وصف صاحب الاستبصار قصر اللؤلؤة فقال: «وفي بجاية موقع يعرف باللؤلؤة، وهو أنف من الجبل قد خرج في البحر متصل بالمدينة فيه قصور من بناء ملوك صنهاجة، لم ير الراؤون أحسن منها بناء، ولا أنزه موضعاً، فيها طاقات مشرفة على البحر عليها شبابيك الحديد، والأبواب المخرمة المنحنية، والمجالس المقرضة المبنية حيطانها بالرخام الأبيض، من أعلاها إلى أسفلها، قد نقشت أحسن نقش، وأنزلت بالذهب والأزورد، وقد كتبت عليها الكتابات المحسنة، وأنزلت بالذهب، وصورت فيها، الصور الحسنة، فجاءت من أحسن القصور منزهاً وجمالاً»[1].

(1) الاستبصار. ط. فيينا (1852) ص 21.

وكان الشريف الإدريسي أبلغ في إبراز ما وصلت إليه بجاية من رقي وتطور حضاري هائل في منتصف القرن السادس الهجري (12 م) حيث قال: «بجاية في وقتنا هذا (548 هـ) مدينة المغرب الأوسط، وعين بلاد بني حماد، والسفن إليها مقلعة، وبها القوافل منحطة، والأمتعة إليها براً وبحراً مجلوبة، والبضائع نافقة، وأهلها مياسير تجار، وبها من الصناعات ما ليس بكثير من البلاد، وأهلها يجالسون تجارب المغرب الأقصى، وتجار الصحراء، وتجار المشرق، وبها تحل الشذوذ، وتباع البضائع بالأموال المقنطرة، ولها بَوَادٍ، ومزارع، والحنطة، والشعير، بها موجودان كثيران، والتين وسائر الفواكه بها منها ما يكفي لكثير من البلاد، وبها دار صناعة لإنشاء الأساطيل، والمراكب، والحرابي، لأن الخشب في أوديتها وجبالها كثير موجود، ويجلب إليها من أقليمها الزفت البالغ الجودة، والقطران، وبها معادن الحديد الطيب، موجودة وممكنة، وبها الصناعات كل غريبة، ولطيفة، وعلى بعد ميل منها نهر يأتيها من جهة المغرب من نحو جبال جرجرة، وهو نهر عظيم يجاز عند فم البحر بالمراكب وكلما بعد البحر كان ماؤه قليلاً. ومدينة بجاية قطب لكثير من البلاد، وهي قد عمرت بخراب القلعة التي بناها حماد»[1].

وقد وطد الحماديون في أول عهدهم صلاتهم الودية بروما، والجمهوريات الإيطالية الأخرى، وأبرم الناصر معاهدة مع بيزا، وخول لتجارها حق المتاجرة مع بلاده، وتراسل مع البابا ڤريڤوري السابع، الذي أجابه برسالة أبلغه فيها سروره على قبوله تعيين أسقف مسيحي في كنيسة عنابة، وعلى إطلاقه سراح أسرى مسيحيين، وتعهده بإطلاق سراح كل من يقع في الأسر بمملكته، وجدد الموحدون هذه المعاهدة مع بيزا، وجنوة، والبندقية، ومرسيليا، وقطالونيا، وبروفانس، وكثر تردد تجار هذه المدن الأوروبية إلى بجاية للتجارة، والاستفادة من العلوم والمعارف الإسلامية المزدهرة[2].

---

(1) الشريف الأدريسي: وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية المأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (الجزائر ـ 1957) ص 63.

(2) دائرة المعارف الإسلامية. جـ 3. ص 253.

رواد الفكر والثقافة في مركز بجاية الحضاري

شهدت بجاية نهضة علمية وفكرية وثقافية هائلة خلال العصر الحمادي، والعصور التي تلته إلى مطلع القرن السادس عشر الميلادي.

وقامت بها مدارس ومعاهد، علمية ذات شهرة، ومساجد جامعة، وزوايا صوفية عريقة، ونبغ بها علماء أجلاء كان لهم رأي في الشريعة الإسلامية، وشعراء فحول، وحكماء متضلعون في الفلسفة والحكمة، وعلم التوحيد، والمنطق، ولغويون مبرزون، ومحدثون أمناء، ومدققون ومحققون في الرواية والسند، ومتصوفون في القمة، ورياضيون مبتكرون، وطلاب علم ومعرفة من أنحاء العالم الإسلامي شرقه وغربه، من الأندلس إلى بلاد فارس، ومن بلاد أوروبا خاصة إيطاليا، وفرنسا، واليونان.

وحسب رواية أبي حامد الصغير المسيلي، فإن بجاية وحدها كان بها تسعون مفتياً أواخر القرنين السادس الهجري، والثاني عشر الميلادي[1] كما كان بها أطباء، ورياضيون. وذكر ياقوت الحموي بأنه حتى العوام، والعُمْيُ، في بجاية كانوا يحفظون عن ظهر قلب كتب البخاري، والمدونة، والموطأ، والتلقين، ويشرحونها للناس من ذاكراتهم[2]. وهي شهادة لها مغزاها ومدلولها.

ومن أبرز الأعلام التي يمكن الإشارة إليها في هذا المقام:

الفقيه الفضل بن سلمة البجائي (ت. 319 هـ ـ 931 م)، والرحالة المقرئي أبو القاسم يوسف البسكري (403 ـ 465 هـ ـ 1012 ـ 1072 م) والفقيه الفيلسوف محمد بن علي ابن الرمامة (478 ـ 567 هـ ـ 1085 ـ 1171 م)، والفقيه المحدث أبو عبد الملك مروان البوني (ت 439 هـ ـ 1047 م) واللغوي النحوي الحسن بن علي التيهرتي (ت. 501 هـ. 1108 م)، والعلامة يوسف الورجلاني (500. 570 هـ ـ 1106. 1174 م)

---

(1) عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام ج 1. (الجزائر. 1982) ص 320 ـ 321.
(2) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج 3 (بيروت. 1957) ص 113.

والفقيه الفيلسوف أبو حامد الصغير (ت 580 هـ 1185 م)، والحجة الحافظ أبو عمران الأشيري (ت 589 هـ/ 1193 م)، والقاضي الفيلسوف محمد بن إبراهيم الأصولي (ت. 1216/612 م)، والأديب المؤرخ محمد بن حمد الصنهاجي (ت. 628 هـ/ 1230 م)، والفقيه المقرئي أبو محمد عبد السلام الزواوي (681.589 هـ/ 1282.1193 م)، والنحوي اللغوي يحيى بن معطى الزواوي (628 هـ. 1231 م) والأديب محمد بن الحسن القلعي (ت 673 هـ/ 1274 م)، والفقيه المقرئي والمؤرخ أبو زيان ناصر بن مزني البسكري (ت 823 هـ/ 1420 م)، والعالم إبراهيم بن فائد الزواوي (ت 857 هـ/ 1453 م) والأديب الشاعر محمد بن عمر المليكشي (ت 740 هـ/ 1339 م)، والعلامة أحمد الغبريني. (ت 644هـ/ 704 م)، والصوفي أحمد بن إدريس، والفقيه المجتهد عبد الرحمن الوغليسي، ومحمد المشدالي (ت 864 هـ/ 1466 م) وعبد الرحمن الثعالبي، (ت 875 هـ/ 1470 م)، والقطب الصوفي أبو مدين شعيب بن الحسين (ت 595 هـ)، وغيرهم ممن يطول ذكرهم.

وقد ترجم أحمد الغبريني في كتابه: «عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية»، لأكثر من مائة وعشرة من العلماء، والفقهاء والأدباء، والشعراء، والأطباء، والحكماء، والرياضيين، والفلكيين، والمتصوفة، والفلاسفة، والمحدثين، والمناطقة، واللغويين، وغيرهم ممن أنجبتهم بجاية، أو جاؤوا إليها من الأصقاع البعيدة، ليستقروا بها، ويتعلموا، ويكتبوا، ويؤلفوا الكتب، وينسخوا المخطوطات، ويقرئوا القرآن، ويعظوا ويرشدوا، ويفتوا، ويؤموا الناس، أو مروا بها، وأقاموا مدة ثم رحلوا إلى المشرق أو المغرب. مثل ابن خلدون، والشيخ الهواري الوهراني، وأبي مدين شعيب.

وهذا الحشد من العلماء والمفكرين، في هذ المركز الثقافي والحضاري البجائي برقعته الواسعة التي تشمل حوض وادي الصومام، وجبال البيبان وجبال جرجرة، وحوض الحضنة وجبالها، أثروا الحضارة العربية الإسلامية إثراء واسعاً، في مختلف مجالاتها: الفكرية، والمادية، والروحية، والأدبية، وفي

كل أصقاع المغرب والأندلس وبلدان المشرق، وشاركوا في نهضتها وتطورها، ورقيها وتوسيع مجالاتها، ومفاهيمها، علماً، ودراية، واستيعاباً وتأليفاً، وإبداعاً، وكانوا في المستوى المطلوب، وعبدوا الطريق لمن جاء بعدهم من الأبناء والأحفاد، في سائر الجزائر كلها، وفي هذه المناطق الجبلية الشماء من الولاية الثالثة بجبال البيبان، والحضنة وجرجرة، وحوض الصومام.

إن هذا الماضي المشرق: الفكري والثقافي، والسياسي، والعسكري، والديني، هو الذي يبرز أهمية هذه المنطقة، وحيوية شعبها، والدور الذي سيلعبه في الثورة المسلحة المباركة، ثورة التحرير الكبرى التي انطلقت يوم أول نوفمبر 1954 م، ودامت سبع سنوات ونصفاً لغاية 19 مارس 1962 م.

الولاية الثالثة ومناطقها الأربعة



عمل بوعزيز

الولاية الثالثة أو بلاد القبائل

الموقع والحدود خلال الثورة:

تقع الولاية الثالثة في شرق الجزائر، وتتألف من جبال جرجرة، وحوض واد الصومام، وجبال البيبان، والجزء الغربي من جبال البابور، وقسم من السهول العليا السطيفية، وقسم من الهضاب العليا الشرقية، جنوب وغرب جبال الحضنة.

وتمثل شكل إجاصة مقلوبة قاعدتها العريضة إلى الشمال على ساحل البحر وقمتها الحادة إلى الجنوب عند مدينة بوسعادة، ويحدها من الشمال البحر المتوسط من سوق الاثنين شرق أوقاس، وبجاية، إلى زموري حالياً (كوربي مارين سابقاً) شرق عين الطاية غرباً.

ومن الشرق الولاية الثانية من سوق الاثنين على البحر، إلى سطيف عبر خراطة، على طريق الجزائر، قسنطينة، والولاية الأولى من سطيف إلى بوسعادة عبر برج بوعريج، والمسيلة.

ومن الغرب الولاية الرابعة من زموري على البحر شمالاً إلى بوسعادة جنوباً عبر الأخضرية والبويرة، وسيدي عيسى، وعين الحجل.

ومدينة سطيف في الشرق تابعة لها، ولكن طلب من مناضليها أن يقدموا المساعدة للولايتين: الأولى، والثانية.

ومدينة بوسعادة في الجنوب تابعة للولاية السادسة، ولكن طلب من مناضليها أن يمدوا يد المساعدة للولايتين: الأولى، والثالثة.

السطح والتضاريس والمناخ والنباتات

يتألف سطح الولاية الثالثة من تضاريس متنوعة جبلية ومنبسطة:

فهناك جبال البيبان، والبابور، وجرجرة في الشمال وهناك حوض واد الصومام الطويل بين جبال البيبان وجرجرة، وهناك السهول والهضاب العليا في الجنوب.

فجبال البيبان تمتد ما بين مدينة سور الغزلان غرباً، وسطيف شرقاً، وبرج بوعريريج جنوباً، وخراطة وڤرڤور شمالاً، ويفصلها وادي الصومام عن جبال جرجرة في الغرب، وتشتهر بمضايقها، وخوانقها العميقة والضيقة، وأبوابها، وبحدة قممها، وشدة انحدارها، وفقر تربتها ذات الطابع الرملي الهش، ومنى أشهر خوانقها أبواب الحديد.

ويكسوها غطاء نباتي وشجري متنوع، دائم الخضرة، متوسط الكثافة من أنواعه: الحلفاء، والصنوبر، والبلوط، والعرعار، والسنديان، والصفصاف، والضرو، والدفلة، والدوم، والزيتون، والتين وتتخللها بعض الأحواض والسهول التي يمارس فيها السكان العمل الفلاحي الزراعي، ويربون حيوانات: الأغنام، والأبقاء، والحمير، والمعز، والخيول، ويصنعون الأدوات التقليدية من نبات الحلفاء. والأخشاب، والطين.

وتنالها نسبة لا بأس بها من الرطوبة في فصل الشتاء البارد، ويشتد الجفاف فيها صيفاً، وتنتشر القرى العمرانية في أحواضها وسفوحها، وقممها.

وتمثل هذه الجبال صلة الوصل بين الشرق القسنطيني والجزائر العاصمة، والمعبر الأساسي، رغم تعقد تضاريسها وصعوبتها وكثرة خوانقها وعمقها، وصعوبة المواصلات عبرها.

وجبال جرجرة تحتل رقعة استراتيجية مهمة وواسعة كذلك، وتمتد من واد يسر غرباً على مشارف سهول متيجة الشرقية، إلى وادي الصومام شرقاً على

مشارق جبال البابور والبيبان، ومن البحر شمالاً إلى سور الغزلان جنوباً في الهضاب العليا.

وهي جبال شديدة الانحدار، حادة القمم، كثيرة الخوانق، تزحف بسفوحها إلى شاطىء البحر شمالاً ولا تترك أي سهل أو منبسط، كثيفة الغطاء النباتي، والشجري، دائمة الخضرة متنوعة الأشجار، متوسطة العلو، وغلظ الجذوع، ومن أنواعها: الصنوبر، والعرعار، والبلوط، والخروب، والأرز، والزان، والسنديان، والصفصاف، والزيتون، والتين، والدفلة، وغيرها.

تنالها نسبة كبيرة من الرطوبة لإشرافها على البحر المتوسط، وتغطي الثلوج قممها العالية في فصل الشتاء الطويل، وتكثر بها الينابيع والجداول، المائية العذبة المتدفقة، وحقول الخضروات في أحواض الأودية، وسفوح الجبال، وتزدهر بها أشجار التين والزيتون التي باركها الله سبحانه وتعالى وأقسم بها في قوله تعالى: ﴿والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾، والرمان، والإيجاص، والخوخ، وعين البقرة، والكروم، والكرز، والعناب، وغيرها.

وكثافة السكان فيها عالية جداً لظروف تاريخية. وجبال البابور تقع إلى شمال شرق جبال البيبان، وتشتهر بغابات السنديان ذات المردود الاقتصادي للسكان، ويمثل حوض الصومام منطقة نموذجية للفلاحة البستانية لخصوبة تربته، وكثرة مياهه، كما يمثل الشريان الرئيسي للمواصلات بين الشمال والجنوب.

الإمكانيات والنشاطات الاقتصادية

وتتخلل هذه الجبال في أحواض الأودية، والسفوح، والمنخفضات، والبساتين، والحدائق، التي تخصب بها غراسة الأشجار المثمرة، كالتين، والزيتون، والكروم، والتفاح، والإيجاص، والرمان، والخوخ، والمشمش، والكرز، وعين البقرة، والبرتقال، والعناب، والتوت والزعرور، كما تخصب بها فلاحة كل أنواع الخضر، والحبوب، لتوفر الينابيع المائية المتدفقة، والأودية

الجارية، وتخصب بها أشجار التين والزيتون بصورة خاصة.

ويمارس الفلاحون فيها العمل الفلاحي بالوسائل التقليدية اليدوية، والحيوانية لتعقد تضاريسها، وصعوبة استعمال الآلات الحديثة بها. ولشدة انحدار هذه الجبال يطبق السكان أسلوب فلاحة المدرجات، لحماية التربة من الانجراف، وتوفير أماكن العمل الفلاحي لغراسة الأشجار المثمرة.

أما السهول العليا في الجنوب فتخصب فيها فلاحة الحبوب، بأنواعها المختلفة خاصة القمح والشعير، وتربية قطعان المواشي كالأغنام، والأبقار والجمال، والخيول، والأحمرة، والمعز. وتزدهر صناعة الأدوات الخشبية والحديدية والطينية.

عناصر السكان

وكثافة السكان عالية جداً في هذه الجبال، وقراها كثيرة، ومتقاربة من بعضها على قمم الجبال، والربى، والسفوح الملاصقة لها، لتوفير الدفاع الذاتي لها، وللحفاظ على الأراضي الزراعية للاستغلال الزراعي، وينتمون كلهم إلى العنصر البربري الأمازيغي - وعربهم الإسلام حتى أصبحت جبالهم قلاعاً للإسلام والحضارة العربية الإسلامية، بما أنجبته من علماء، وأدباء، وفقهاء، ومحدثين، وفلاسفة، ومؤرخين، ومقرئين، ولغويين، ورحالة، وقضاة، ومفتين، وقادة كباراً، على مستوى العالم الإسلامي كله شرقاً، وغرباً، تجاوزت شهرتهم الجزائر وبلدان المغرب، إلى الأندلس غرباً، والعالم العربي الإسلامي شرقاً، وتركوا بصماتهم على كل جوانب الفكر والثقافة، والحياة العلمية والأدبية، والدينية، والاجتماعية، والاقتصادية، وغيرها، للحضارة الإسلامية في عصورها المختلفة حتى اليوم.

دور الإسلام في نشر اللغة والثقافة العربية بهذه المنطقة

فلقد آمن شعب هذا الإقليم العريق بالدين الإسلامي الحنيف، وصدق به، وبمبادئه ومثله العليا عن اقتناع ومن أعماق القلب منذ أن وصل إليه في بلاده عن طريق الفاتحين المسلمين الأوائل، وتمسك به غاية التمسك، وحارب في

سبيله حتى خارج البلاد، وبذل النفس والنفيس لصالحه، وشارك مع غيره في إرضاء قواعده في كل أصقاع القارة الإفريقية، شرقاً وغرباً، وفي أعماق الصحراء الكبرى وما وراءها جنوباً، وفي بلاد الأندلس، وصقلية، وجنوب إيطاليا بأوروبا، خلال عصر الفتوحات، كما شارك في إثراء الحضارة العربية الإسلامية، مشاركة فعالة، وبصورة مكثفة، في مختلف جوانبها الفكرية، والعلمية، الدينية، والأدبية، على امتداد التاريخ الإسلامي حتى اليوم.

ويتضح ذلك، ويتجسم في كثرة المؤسسات العلمية، والدينية، والتعليمية، التي لا تخلو منها قرية أو عرش، تقريباً في هذه المنطقة وهذا الإقليم، وفي كثرة العلماء، والمفكرين، والمبدعين، الذين أنجبهم شعب هذه المنطقة على مر العصور، خاصة العصر الإسلامي المشرق حتى اليوم، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ومنهم الفقهاء، والأصوليون، والمحدثون، والبلغاء، والكتاب، والفلاسفة، والقضاة والعدول، والأئمة، وحفاظ القرآن الكريم، وكتاب السير، والأدباء، والشعراء، وغيرهم. وبالتأكيد فإن لقلعة بني حماد، وبجاية، دوراً هاماً في تطور العلوم والمعارف، وازدهار الدراسات الإسلامية الدينية والأدبية، في هذه المنطقة، ابتداء من مطلع القرن الخامس الهجري (11 م)، باعتبارهما عاصمتين بصفة متوالية للدولة الحمادية، ولعمال الدول الإسلامية الأخرى بعدها: الموحدية، والزيانية، والحفصية، استقطبتا رجال الفكر والثقافة، وقادة السياسة من الأقاصي البعيدة: تلمسان، وفاس، ومراكش، وقرطبة، وقسنطينة، وبسكرة، وورفلة، والقيروان، والقاهرة، ودمشق، وبغداد، ومكة والمدينة، وغيرها، فزاروهما، وأقاموا بهما، وأخذوا عن علمائهما، ومفكريهما، وتزودوا من علومهم ومعارفهم، ومن تجاربهم في الحياة، ومعظمهم كما سنعرف من جبال البيبان، والبابور، وجرجرة، والحضنة، وحوض الصومام، إلى جانب المناطق الأخرى.

لقد خدم علماء هذه المنطقة الفكر، والثقافة العربية الإسلامية خدمة

جليلة، وعظيمة جداً، تفوق حد التصور في مختلف مجالات المعرفة، دراية، وحفظاً، واستيعاباً، وتأليفاً، ومنها: الفقه، وأصول الدين، وعلم الحديث، والسير، والتفسير، ونظم الشعر، وفنونه، والأدب، والتوحيد، والمنطق، والحساب، والفلك، وعلم الهيئة، والطب العلاجي، وطب الأعشاب أو الصيدلة، والتصوف، والتاريخ، وعلم الأنساب، وجغرافية الأرض، وعلوم القراآت، وغيرها.

ولكي تتضح الصورة، وتبرز بجلاء، لا بد من استعراض قائمة المؤسسات العلمية، والتعليمية، وسير عدد من أعلام الفكر والثقافة، الذين أنجبتهم المنطقة، أو جاؤوا إليها، وأثروا الفكر والحضارة العربية الإسلامية بأبحاثهم ودراساتهم، ومؤلفاتهم، وكوَّنوا أجيالاً من العلماء، والفقهاء، والبلغاء، والفلاسفة، والشعراء، والكتاب، والمحدثين، وغيرهم، ساروا على دربهم كذلك، وحملوا الأمانة، وكانوا خير خلف لخير سلف، حتى اليوم، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

إن القوائم التي سنوردها فيما يلي لمؤسسات التعليم، وللعلماء والكتاب، والمفكرين والمعلمين، والأساتذة، والشيوخ، وحفاظ القرآن الكريم، ورجال التربية والتعليم، خير دليل، على الدور الكبير، والناصع، والمشرق، الذي بذله شعب هذه المنطقة لنشر التعليم، وغرس الأخلاق والآداب الإسلامية الفاضلة، ورفع المستوى الحضاري المادي والأدبي، للسكان، وحماية الوجه العربي الإسلامي لهذه البلاد، خاصة خلال الحقبة الاستعمارية الأوروبية البغيضة.

لقد بذل شعب هذه المنطقة ما لم يبذله غيره في هذا الميدان، رغم كل الصعوبات، والعراقيل، المادية، الطبيعية، والسياسية، والعسكرية، وليس ذلك بغريب لأنه يدخل في إطار الدفاع عن الذات، والوجود، والكيان، والاستمرارية الحضارية في إطار الإسلام وآدابه وثقافته العربية الإسلامية الراقية، والخالدة، وكانت كل مساجد القرى ومدارسها بمثابة معاهد علمية خرجت أجيالاً من العلماء، والمثقفين، وطلبة العلم، وحفاظ القرآن الكريم، على مر

العصور من صدر الإسلام حتى اليوم، وكانوا بمثابة النحل في خلاياها، يكدون ويجتهدون في مقاومة الجهل، ونشر العلم وغرس الأخلاق الفاضلة.

الجذور الثقافية لمنطقة جبال البيبان وحوض الصومام، والحضنة وجرجرة

إن منطقة بني ورثلان وبني يعلى، وبني عيدل، والجعافرة، وبني لعلام، وزمورة، وتفرق، وبني عباس، والقلة، وقرى حوض الصومام، وحوض الحضنة وجرجرة، اشتهرت عبر مراحل التاريخ الإسلامي، بازدهار الفكر والثقافة، والتعليم، وكثرة المؤسسات العلمية والتعليمية، ونبوغ عدد كبير، قد لا يحصى، من العلماء، والمفكرين، على اختلاف تخصصاتهم وتنوعها.

وبما أنه ليس من السهل، وقد يكون من غير الممكن، حصرهم وحصر المؤسسات الثقافية، فإننا سنستعرض ما أمكن من ذلك حسب الظروف التي يسمح بها الموضوع وحجم الكتاب، وسوف نركز على الذين تجاوز تأثيرهم، رقعة الجزائر وبلدان المغرب إلى غيرها من أصقاع العالم الإسلامي ومشرقه، ومغربه، وكان لهم دور رائد في إثراء الفكر والثقافة، والحضارة العربية الإسلامية، وفي تربية الأجيال وتكوين الإطارات لهذه البلاد الجزائرية المؤمنة، والمسلمة، والمجاهدة، والصبورة، والصمودة، وفي قيادة الأمم كذلك من الناحية السياسية.

النماذج السياسية

ولنبدأ بالمجال السياسي مع الملاحظة أننا لم نتقيد بالزمن هنا بقدر ما تقيدنا بالرقعة الجغرافية لإبراز دور المنطقة الحضاري سواء قبل قيام الدولة الحمادية أو خلالها وبعدها، لأن الدولة الحمادية لم تخلق من العدم، ولم تنزل من السماء، وإنما كان لها سوابق، ولواحق، ومقدمات، ومؤخرات.

1 ـ ابن الأندلسية: أبو علي جعفر بن علي بن حمدون، تولى إمارة المسيلة وإقليم الزاب، بعد وفاة والده حمدون خلال المواجهة العسكرية مع أيوب بن أبي يزيد الخارجي عام 334 هـ (945 ـ 946 م) وأنجز أعمالاً

حضارية مهمة مما جعل ابن حماد يقول: إن مدينة المسيلة وصلت إلى الغاية القصوى، والأمد الأقصى في عهد علي بن حمدون وابنيه: جعفر، ويحيى، وأشاد أبو عبدالله البكري بأسواقها، وحماماتها، وبساتينها، ومزروعاتها ومنها القطن، وبلحومها الوافرة والرخيصة.

وبسبب التنافس السياسي بين جعفر بن علي، وزيري بن مناد حاكم أشير، حول الحصول على رضا الخليفة الفاطمي المعز بن المنصور، وفوز الأخير بذلك، فضل جعفر الالتحاق بزناتة مع قومه بني برزال المسيلة عام 360 هـ (970 م)، ونشبت حروب بينهما انتهت بمقتل زيري، فحز رأسه وأرسله مع وفد مغربي قاده أخوه يحيى إلى الخليفة الأموي المستنصر بالأندلس ليتقرب منه، وينال الحظوة، ثم لحق هو نفسه به بعد أن اشتدت الحروب بينه وبين بلكين بن زيري وعجز عن المواجهة.

وهناك بالأندلس استعان بهما وببني برزال، المنصور بن أبي عامر على خصومه، وتمكن بفضلهم من تحقيق الانتصار، ولكنه مع ذلك أقدم على قتل جعفر بن علي، ونكب به مخافة أن ينقلب عليه، وذلك عام 364 هـ (974 ـ 975 م)، ففر أخوه يحيى إلى القاهرة ونزل عند العزيز بن المعز الفاطمي حتى توفي.

وكان الشاعر الأندلسي الكبير أبو القاسم محمد بن هاني، قد مدح جعفر بقصيدة رائعة يوم زاره بمدينة المسيلة ومما جاء فيها:

المدنفان من البرية كلها ... جسمي، وطرف بابلي أحور

والمشرقات النيرات ثلاثة ... الشمس والقمر المنير وجعفر

أبني العوالي السمهرية والموا ... ضي المشرقية والغدير الأكثر

من منكم الملك المطاع كأنه ... تحت السوابغ تبع في حمير

وقال في قصيدة أخرى:

ألا أيها الوادي المقدس بالندى ... وأهل الندى قلبي إليك مشوق

ويا أيها القصر المنيف قبابه ... على الزاب لا يسدد إليك طريق

ويا ملك الزاب الرفيع عماده   بقيت لجمع المجد وهو نزيق
على ملك الزاب السلاح مرددا   وريحـان مسـك بـالسـلاح فتيـق

2 ـ بنو برزال المسيلة: وقد عبروا إلى الأندلس بعد أن مهد لهم جعفر بن علي، وأخوه يحيى، لدى الخليفة الحكم المستنصر، وحظوا هناك بالتجلة والاحترام، وعين زعيمهم أبو عبدالله محمد بن عبدالله البرزالـي حاجباً له، ثم حاكماً على مدينة قرمونة في أواخر الدولة العامرية، وأظهر مقدرة وكفاءة كبيرين، ووسع رقعة إمارته الجغرافية حتى أصبحت ثاني إمارة بعد غرناطة واستمر في الحكم ثلاثين عاماً، وتلاه بعد ذلك أبناؤه وأحفاده، والفضل في ذلك لأبناء هذه الرقعة الحمادية، ولجبال الحضنة، والبيبان، والبابور، وحوض وادي الصومام.

3 ـ جعفر بن فلاح الكتامي: وقد مثل دوراً سياسياً وعسكرياً في مصر والشام، مثلما فعل جعفر بن علي وأخوه يحيى، وبنو برزال بالأندلس.

فقد كلفه الخليفة الفاطمي المعز لدين الله الفاطمي، بمصاحبة القائد جوهر الصقلي لفتح مصر، وبناء مدينة القاهرة، والجامع الأزهر، بها، فأنجزا المهمة ثم قاد جيشاً لفتح بلاد الشام، وضمها إلى الدولة الفاطمية كمرحلة ثانية في المشروع الفاطمي الكبير الذي استهدف القضاء على الخلافة العباسية ببغداد، والقضاء على المذهب السني المعارض للشيعة. وانتزاع الخلافة من بني العباس، ففتح الرملة، بفلسطين، وطبرية، ثم تقدم إلى دمشق ودخلها عامي 358 ـ 359 هـ (969 ـ 970 م). وقضى على حكومة ابن طغج.

ورغم أنه قتل على أيدي القرامطة عام 360 هـ (971 م) الذين هاجموه بظاهر دمشق، إلا أن أولاده الثلاثة: سليمان، وعلي، وإبراهيم، توارثوا حكم دمشق الشام من بعده باسم الدولة الفاطمية.

وكما مدح ابن هاني الأندلسي جعفر بن علي، مدحه هو كذلك، وقال:

كانت مساءلة الركبان تخبرني   عن جعفر بن فلاح أطيب الأثر
حتى التقينا فلا والله ما سمعت   أذني بإحسن مما قدر أي بصري،

هكذا يتضح أن هذه الرقعة الجغرافية التي نؤرخ لأحداثها المعاصرة، أنجبت قادة خدموا الدولة الإسلامية في رقعتها الواسعة شرقاً وغرباً وبذلوا جهوداً كبيرة، سياسية، وعسكرية كان لها أبلغ الأثر في الرقي الحضاري، وكانوا خير خلف، لخير سلف، كما كانوا خير مثل للنضج والوعي والإقدام والشهامة، والشجاعة وحصافة الرأي.

النماذج الفكرية وأعلام الفكر والثقافة في العصر الوسيط

إن أعلام الفكر والثقافة لهذه الرقعة والمنطقة كثيرون، وأدوا دوراً رائداً في إثراء مظاهر الحضارة العربية الإسلامية، بمفهومها الواسع، وقدموا مجهودات متنوعة في الأدب، واللغة، والدين، والتشريع، والأصول، وغيرها، استيعاباً، وتدريساً، وتأليفاً، ولبعضهم دور خارج الجزائر في الأندلس، والمشرق، حتى إلى نيسابور في بلاد فارس.

1 ـ ابن أبي شحمة أبو الوليد مروان المسيلي: (ت 240 هـ ـ 854 ـ 855 م):

كان معاصراً للقاضي المجتهد سحنون بن سعد القيرواني، وفي مستواه علماً وثقافة، ومكانة، قام بجهد مشكور في هذه المنطقة، وعندما رمي بالتشبيه، دافع عنه سحنون وقال: إن مروان لا يقول إلا بما يرى، ولما سأله الأمير الأغلبي الذي استدعاه إلى القيروان، عن حقيقة هذه الوشاية، اكتفى بتلاوة سورة الإخلاص، فتأكد الأمير من كذب الوشاية، وبالغ في إكرامه.

2 ـ محمد بن حسين الطبني: ولد بطبنة عاصمة الزاب عام 303 هـ (915 ـ 916 م)، وكان أديباً وشاعراً مفلقاً، وصفه ابن بشكوال، بسعة العلم، والتبحر في الآداب، وقال عنه إنه لم يصل إلى الأندلس أشعر منه، ومما يدل على صحة هذا الرأي، أن المظفر عبد الملك، ابن أبي عامر، ورجال دولته، ساروا كلهم في جنازته لما توفي هناك في ذي الحجة عام 394 هـ (1004 م) وصلى عليه ابن فطيس.

3 ـ أبو علي الحسن بن رشيق: وهو أشهر من أن يعرف لأنه كان أحد أعلام اللغة والأدب ـ على مستوى كل البلدان الإسلامية التي كانت اللغة العربية

لغتها، ولد بمدينة المسيلة عام 385 هـ (995 ـ 996 م)، ودرس بها حتى نبغ في العلوم العربية، خاصة نظم الشعر ونقده، ثم رحل إلى مدينة القيروان عاصمة الدولة الأغلبية عام 406 هـ (1015 ـ 1016 م). وشهر بها، ولقب بالقيرواني، فاعتكف على الدراسة والتحصيل لنفسه، وعلى التدريس لغيره فذاعت شهرته، واختاره الأمير المعز، الأغلبي لبلاطه، واصطفاه وقربه، وكذلك فعل ابنه تميم بعده، وبقي على هذه الحظوة والمكانة حتى حصلت هجرة عرب بني هلال، وبني سليم، وأثبج، إلى إفريقيا، فرحل إلى صقلية، واستقر ببلدة مازرة حتى توفي بها عام 463 هـ (1070 ـ 1071 م)، وخلف لنا من ورائه تراثاً أدبياً رفيع المستوى وغزيراً، ومن ضمنه كتاب العمدة في صناعة الشعر وفنونه، ونقد عيوبه. ذلك الكتاب الذي قال عنه ابن خلدون إنه انفرد به في هذه الصناعة وأعطاها حقها، ولم يكتب فيها أحد قبله ولا بعده، وهي شهادة لها مكانتها. لأنها صدرت من رجل مدقق، ومحقق، يزن ما يكتب ولا يورد الكلام جزافاً، وليس من السهل أن يطري أحداً.

ومن كتب الحسن بن رشيق الأخرى:

- قراضة الذهب في نشر أشعار العرب.
- ميزان العقل في تاريخ الدول.
- الشذوذ في اللغة.
- أنموذج الزمان في شعراء القيروان.
- تاريخ القيروان.
- الروضة الموشية في شعراء المهدية.
- رسالة نجح الطلب.
- رسالة قطع الأنفاس.
- رسالة وضع الأشكال.
- المساوىء في السرقات الشعرية.
- شرح على موطأ مالك.
- ديوان شعر.

ـ رسائل عديدة ومتنوعة.

وقد اطلع الصلاح الصفهدي على كل هذه الكتب، وتأكد من تبحره في الشعر والأدب، وقيل إنه ابتكر 37 نوعاً من أنواع فن البديع.

4 ـ أبو العباس أحمد الباغائي: ولد بمدينة باغاية عام 345 هـ (956 ـ 957 م). وكان علماً من أعلام الفكر والثقافة خاصة علوم القرآن، حتى قال عنه ياقوت الحمودي بأنه لا نظير له على مذهب مالك، وقد رحل إلى قرطبة عام 376 هـ (986 ـ 987 م)، وتصدى للإقراء في جامعها الكبير، وتدرج حتى تولى خطة الشورى، ثم رحل إلى المشرق وتوفي هناك في مطلع القرن الخامس الهجري (11 م).

5 ـ الشيخ أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي: أصله من مدينة المسيلة، ومن مواليدها وقيل من مواليد واحة ليانة بأعمال بسكرة حيث يوجد له مسجد ومقبرة يحملان اسمه. وقف ضد الشيعة الفاطميين وكفر كل من يدعو لهم على المنابر، وترجم له كل من ابن فرحون في الديباج، والشريف العلمي في نوازله، وعياض في ترتيب المدارك، رحل إلى طرابلس وأقام بها مدة، ثم عاد وقصد إلى تلمسان فراراً من الشيعة، وبها توفي عام 402 هـ (1011 م).

ومن كتبه الأخرى التي خلفها:

ـ النامي، وهو شرح لكتاب موطأ الإمام مالك في الفقه والحديث.

ـ النصيحة، وهو شرح لكتاب صحيح البخاري في الحديث.

ـ كتاب تفسير القرآن الكريم الذي استفاد منه الشيخ عبد الرحمن الثعالبي في تفسيره: جواهر الحسان.

ـ الواعي في الفقه.

ـ الإيضاح في الرد على القدرية.

ـ الأصول.

ـ الأموال.

وهي كلها تراث فكري جيد ورفيع المستوى، زاد في إثراء الحضارة العربية الإسلامية بهذه البلاد.

6 ـ الشيخ أبو القاسم يوسف البسكري: ولد بمدينة بسكرة عام 403 هـ (1012 ـ 1013 م) ودرس بها مبادىء العلوم والمعارف، ثم شد عصا الترحال غرباً وشرقاً، لطلب العلم والمعرفة، والتفقه في علوم الدين، حتى وصل إلى بغداد، وأصفهان، ونيسابور، واهتم بدراسة علوم اللغة والآداب العربية، وخاصة علم القراآت، حتى قال عنه ابن الجوزي: إنه لا يعلم أن أحداً من هذه الأمة رحل في طلب علم القراآت، رحلته، ولاقى من لقي من الشيوخ، ثم بعد ذلك تفرغ لتدريس هذا العلم، وكون لنفسه ترجيحات وتفسيرات وآراء، واختيارات خاصة فيها، وأصبح أستاذه أبو القاسم القشيري، يراجعه في مسائل وإشكالات كثيرة، في النحو والقراآت.

وبسبب طول باعه في هذه العلوم، وذيوع صيته، استدعاه الوزير السلجوقي نظام الملك، إلى نيسابور عام 458 هـ (1066 م) وعينه أستاذاً في مدرستها المشهورة، وبقي يدرس بها حتى توفي عام 465 هـ (1072 ـ 1073 م).

ومن تآليفه المشهورة:

كتاب الكامل في القراآت الذي ضمنه خمسين قراءة في ألفين ومائتين وتسعين (2290) ومما ذكره بصدد تأليف هذا الكتاب قوله: «خرجت من بسكرة وهي وسط المغرب، حتى وصلت إلى أوش (بنواحي فرغانة) وهي وسط المشرق، مع مازرت ودخلت من البلدان، يميناً وشمالاً، وسهلاً وجبلاً، ولم استنكف أن أقرأ على أحد صغير، ذكراً أو أنثى، أقتبس منهم، ثلاثاً وأربعين سنة في السفر مع الجوع والفقر، ليلاً، ونهاراً، وأقل ما قرأت في بلد على خمسة أو على ستة، بل على عشرين أو أكثر مع جمعهم لي في كل ختمة، روايات، وطرقاً حتى جمعت هذا الكتاب. . . . فجملة من لقيت في هذا العلم ثلاثمائة وخمسة وستين شيخاً من آخر المغرب إلى باب فرغانة ـ يميناً، وشمالاً، جبلاً وبحراً، ولو علمت أحداً تقدم علي في هذه الطريقة في جميع

بلاد الإسلام لقصدته. . . ألفت هذا الكتاب فجعلته جامعاً للطرق المتلوة، والقراآت المعروفة، ونسخت منه مصنفاتي، كالوجيز والهادي.

وعندما اطلع ابن الجوزي على هذا الكلام وقرأه قال: كذا ترى همم السادات في الطلب.

7 ـ **أبو محمد عبدالله الأشيري التطراوي:** كان إماماً في الفقه والحديث، والأدب، غادر الجزائر إلى المشرق في وقت مبكر، واستقر بحلب الشام، وتصدى للتدريس، وتفوق في مختلف فروع المعرفة، حتى قال فيه ياقوت الحموي: إنه إمام الحديث، والفقه، والأدب بحلب، وبلاد عامة، يتسابق الناس إلى حلقات دروسه، والانتساب إليه، ويتفاخر الوزراء، والأمراء، والملوك، والأعيان، بمجالسته، والأخذ بعلومه، وفنونه، ومعارفه وآرائه.

وبفضل هذه الشهرة طلبه الوزير المظفر عون الدين يحيى بن هبيرة، إلى بغداد ورغب من الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي، أن يأذن له، ويشخصه إليه، فوافق، وأرسله إليه مكرماً، مبجلاً، وتصدى هناك للإقراء، والتدريس من كتاب الوزير ابن المظفر نفسه، وهو الإيضاح عن شرح معاني الصحاح، ثم سافر إلى مكة، قبل أن يعود إلى الشام حيث توفي ببقاع بعلبك عام 561 هـ (1165 م).

8 ـ **العلامة أبو عبدالله محمد بن علي ابن الرمامة:** ولد بقلعة بني حماد في شهر رجب 478 هـ (1085 ـ 1086 م)، وعاش بها في صدر شبابه، وتنقل بينها، وبين بجاية، والجزائر، للدراسة والتحصيل، ثم رحل إلى الأندلس لطلب العلم، وممارسة التجارة، والتقى بالفيلسوف الأندلسي الكبير أبي الوليد ابن رشد، وابن عتاب، وأبي بحر، وابن طريف، وأخذ عليهم جميعاً ثم عاد إلى فاس ليتولى خطة القضاء عام 356 هـ (1141 ـ 1142 م)، وألف عدة كتب منها:

ـ تسهيل المطلب في تحصيل المذهب.

ـ التفصي في فوائد التقصي.

ـ التبيين في شرح التلقين.

وقام بتحقيق كتاب البسيط للغزالي، وجمع نكته ومباحثه.

9 ـ أبو علي حسن بن علي بن محمد المسيلي: الذي لقب بأبي حامد الصغير، تشبيهاً له بأبي حامد الغزالي، عاش في صغره بالمسيلة والقلعة، ثم رحل إلى بجاية، ودرس، وتعلم حتى تضلع، وأصبح علماً يشار إليه بالبنان، فأسندت إليه خطة القضاء، وشهد غزو يحيى ابن غانية المرابطي، للمدينة، وأرغم مع غيره على مبايعته، وتكونت بينه وبين القاضي عبد الحق الأشبيلي، والفقيه محمد بن عمر القرشي، صحبة متينة، فدأبوا على اللقاء باستمرار، في متجر خاص بطرف حارة المقدسي المقابل للطالع إلى الحارة، وذلك للحوار والمناقشة، في المسائل الفكرية والأدبية.

ومن أهم تآليفه:

ـ التفكير وهو دراسة في القرآن الكريم.

ـ التذكير في علم أصول الدين.

ـ النبراس في الرد على منكري القياس.

وقد توفي عام 580 هـ أو 584 هـ (1184 ـ 1185 م).

10 ـ العلامة محمد بن حماد القلعي (ت. 628 هـ ـ 1230 م): أصله من برج حمزة (البويرة حالياً)، وبها توفي، درس بقلعة بني حماد حتى تضلع في علوم التاريخ والسير، والآداب، ثم رحل إلى بجاية ودرس على أبي مدين شعيب بن الحسين، وأبي علي المسيلي، وابن جبارة، وبعد ذلك انتقل إلى مدينة الجزائر، وتلمسان، طلباً للعلم، والمعرفة، وظل يتنقل بين عواصم المغرب الإسلامي العلمية، يدرس ويروي الكتب والمؤلفات، حتى بلغ ما رواه مائتين واثنين وعشرين كتاباً من مروياته.

تضلع في التاريخ، واللغة، والآداب، والفقه، والحديث وتولى منصب القضاء في سلا بالمغرب الأقصى، وفي الجزيرة الخضراء بالأندلس.

ومن مؤلفاته:

ـ الديباجة في أخبار صنهاجة، الذي اعتمد عليه ابن خلدون، في كتابه تاريخ صنهاجة، واستفاد منه عدد من المستشرقين الغربيين، كليفي بروفانسال، الذي نشر نبذة منه في كتابه عن أخبار البربر عام 1933 م، وعمارى الصقلي في كتابه: المكتبة الصقلية، وشربونو في المجلة الآسيوية خلال أعوام 1852 ـ 1853 م.

ـ عجالة المودع في علامة المشيع، في الأدب والشعر.

ـ كتاب لخص فيه تاريخ ابن جرير الطبري، وشرح مقصورة ابن دريد، وكتاب الإعلام بفوائد الأحكام لعبد الحق الإشبيلي، وشرح الأربعين حديثاً النبوية وغيرها،

وبما أنه عاش وشهد سقوط الدولة الحمادية، وخراب القلعة وقصورها، فقد نظم شعراً مؤثراً في رثائها، ومما قاله:

أن العروسين لا رسم ولا طلل	فانظر ترى ليس إلا السهل والجبل
وقصر بلارة أودى الزمان به	فأين ما شاد منها السادة الأول
قصر الخلافة أين القصر من خرب	عين اللجين وفي أرجائها زحل
وليس يبهجني شيء أسر به	من بعد أن نهجت بالمنهج السبل
وماروى الكوكب العلوي معتصم	وقد عرى الكوكب التغيير والبَدل
وقد عفا قصر حماد فليس له	رسم ولا أثر باق ولا طلل
ومجلس القوم قد هب الزمان به	بحادث قل فيه الحادث الجلل
وإن في القصر قصر الملك معتبرا	لمن تغرره الأيام والدول
وما رسوم المنار الآن ماثلة	لكنها خبر يجري بها المثل
حتى المصلى بلت آياتها وعفت	إلا جداراً وما طلت به الطلل
كرجعك الطرف كانت كل آبرة	فما تراه كذاك العمر والأجل

وكان قد نظم شعراً في مدح المنار قبل ذلك وأشاد به فقال:

وأنظر طيقان المنار مطلة	على الوجنات الزاهرات الخمائل
كأن القباب المشرقات بأفقه	نجوم تبدت في سعود المنازل

وقال أيضاً:

وقـد قـام المنـار علـى ذراهـا   كمـا قـام العـروس أو الأميـر

بنـاء يـزدري إيـوان كسـرى   لـديـه والخـورنـق والسـديـر

11 ـ أبو العباس أحمد بن محمد بن عبدالله المعافري القلعي: وكان حجة في النحو، واللغة، والقراآت، درس على أبيه في حدود عقد التسعينات من القرن السادس الهجري (1194 ـ 1204) ثم رحل إلى بجاية واعتكف على الدراسة والتحصيل قبل أن يتفرغ للتدريس، ويصبح شيخ المشايخ في الجامع الأعظم.

ومن الأعمال التي قام بها اختصار كتاب التفسير لأبي عمر الداني، وقد توفي ببجاية.

12 ـ أبو محمد عبدالله بن محمد بن عمر القلعي: كان فقيهاً، ومحدثاً ومؤرخاً، درس في القلعة وكان حجة في فقه المذهب المالكي يجلس إليه القضاة ليسمعوا منه في مجلس القضاء، وعين عضواً، ومستشاراً، ونصوحاً في مجلس الديوان مدة، ثم عزف عن ذلك، وتخلى بإرادته، ورحل إلى بجاية، وتصدى للتدريس والإقراء، ووقع أسيراً مع بعض الفقهاء، لدى بعض البحارة الأوروبيين، فلم يتخل عن التدريس، وعندما تمكن من الخلاص والإفلات، عاد إلى التدريس وكان من ضمن تلاميذه: أحمد الغبريني صاحب كتاب: عنوان الدراية، وتوفي عام 699 هـ (1299 ـ 1300 م).

13 ـ أبو محمد عبدالله بن محمد بن عمر بن عبادة القلعي: كان محدثاً ومؤرخاً، وعضواً في مجلس القضاء، ومستشاراً في مجلس الديوان بالقلعة، رحل إلى بجاية ودرس بها ودرّس، ومن تلاميذه أحمد الغبريني كذلك، وكانت له حظوة ومكانة لدى أمراء بجاية الذين كانوا لا يقطعون في أمر إلا بعد العودة إليه مما يدل على مكانته توفي عام 669 هـ (1270 ـ 1271 م).

14 ـ أبو عبدالله محمد بن الحسن بن علي بن ميمون القلعي: (ت. 673 ـ 1274 م) كان نحوياً، ولغوياً وأديباً، ومؤرخاً، ورث العلم عن أبيه ميمون الذي كان قاضياً بقلعة بني حماد انتقل إلى بجاية ودرس على علمائها

حتى تضلع في الفنون السابقة، وفي مادة الصرف حتى أصبح مثل ابن جنى، وفي مستواه فكثر حوله الطلاب والدراسون ومنهم العلامة الغبريني.

ومن مؤلفاته:

- الموضع في علم النحو.
- حدق العيون في تنقيح القانون.
- نشر الخفي في مشكلات أبي علي، على الإيضاح.

وكان يقول الشعر في الزهد، ومدح الرسول عليه الصلاة والسلام، ومن ذلك قوله في مطلع إحدى قصائده:

أمن أجل أن بانوا فؤادك مغرم   وقلبك خفاق ودمعك مسجم

وتبادل الشعر مع أبي عبدالله محمد الأريسي، وسلك فيه أسلوب وطريقة أبي تمام حبيب ابن أوس الطائي، بينما سلك صديقه رئيس الديوان، طريق أبي الطيب المتنبي.

ومع أن شعره لم يدون إلا أنه كان منتشراً عند المثقفين كثيراً على عهد أحمد الغبريني، الذي أشار إلى ذلك وقال بأنه لو جمع لكان في عدة مجلدات.

15 - ابن الخراط أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد المعافري القلعي: نشأ بقلعة بني حماد ودرس بها على عدد من علمائها الأجلاء الأفاضل أمثال: الفقيه ابن الإمام، والنحوي ابن عفراء ثم انتقل إلى بجاية، وتصدى للتدريس والتعليم في جامع القصبة، والخطابة والإمامة فيه، وفي الجامع الأعظم، وانتفع به خلق كثير، ومنهم الولاة والأمراء، والوزراء، والأعيان.

16 - ابن يبكي أبو محمد عبد الكريم بن عبد المالك بن عبدالله بن طيب الأزدي القعلي: الذي انتقل هو الآخر إلى بجاية وأصبح من الأعيان والوجهاء لها، في العلم، والدين والمكانة الاجتماعية، وبلغ إلى مستوى عبد الحق الإشبيلي، وكانت له حظوة ومكانة لدى خلفاء بني المؤمن، ودفن في رابطة تحمل اسمه رابطة ابن يبكي، داخل باب أميسون في أعلى بجاية.

17 ـ ابن صمغان أبو عبدالله محمد القلعي: ولد وعاش بقلعة بني حماد، واشتغل في بداية أمره بالجندية، ثم تحول إلى دراسة العلوم والمعارف، ورحل إلى بجاية، وتوطن بها، ودرس على القاضي عبد الحق الإشبيلي، وتضلع في مختلف العلوم خاصة علم الحديث، نقلاً، ورواية، وسنداً، وتولى خطة القضاء في عدة مدن مغربية كما تولى نيابة قاضي الأنكحة أبي عبدالله الأصولي في بجاية، واتخذ سقيفة داره مكان للتدريس لطلبته.

18 ـ ابن المنصور أبو عبدالله محمد بن أبي بكر القلعي: كان فقيهاً، وفرضياً ورياضياً، تصدى لتدريس مادة الحساب، والفرائض في بجاية، وكذلك الفقه، والتوثيق، حتى توفي عام 670 هـ (1271 ـ 1272 م).

19 ـ الشيخ عمر بن عبد المحسن الصواف الوجهاني: عالم وفقيه، درس في بجاية، ثم رحل إلى المشرق في حدود عشرية الستينات من القرن السابع الهجري (660 هـ) (1262 م)، وحج واعتمر، وزار واتصل بالعلماء والفقهاء، ثم عاد إلى مصر ودرس بالأزهر حتى تفوق، ثم تفرغ للتدريس، وتفوق في الفتوى بصورة خاصة وأصبح رأيه راجحاً، ورغب الملوك في زيارته، أو تزاوره، ولكنه عزف عن ذلك، وحج مع الركب المصري وهو من بني وجهان شرق وادي الصومام.

وتوفي في عشرية التسعين من نفس القرن (690 هـ / 1291 م).

20 ـ الشيخ عيسى بن أحمد الهنديسي ابن الشاط البجائي:

عالم، وفقيه، متضلع في علوم الشريعة، وأديب، وأصولي، من قرية هنديس إحدى قرى بني عباس، على حافة واد الساحل، كانت له اليد الطولى حفظاً ودراية في هذه العلوم مما أهله أن يتولى الإفتاء، والإقراء والخطابة في جامع بجاية، وقد تحدث عنه السخاوي في الضوء اللامع، وقال إنه كان ما يزال حياً عام 890 هـ (1485 م) وتحدث عنه الشيخ زروق، وذكر أنه له تعاليق على كتاب مسلم في الحديث.

وقد حصلت بينه وبين شيخه محمد بن بلقاسم المشدالي مشادة، ومناقشة

حول مسألة فقهية فاحتكما إلى مفتي تلمسان قاسم العقباني وراسلاه، فأجابهما، ونقل المازوني ذلك في فتاواه.

وإلى هذه القرية ينتمي الشيخ أحمد بن يوسف شيخ زاوية هنديس الذي له صلة بزاوية الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي دفين مليانة، ويعتبر مقدماً له، وسيأتي الحديث عنه وعن الزاوية فيما بعد.

وهنديس هذه قرية من قرى جبال قلعة بني عباس، في جبال البيبان، وينطق السكان بها حالياً بحرف الحاء في أولها هكذا: حنديس، وليس بالهاء كما كتبها الرحالة الورثلاني في رحلته.

نماذج من العصر الحديث والفترة المعاصرة

لقد كانت النماذج السابقة لرجال الفكر، والثقافة، والسياسة، تخص العصر الحمادي في القلعة، وبجاية، وتواصل هذا الدور بعد ذلك، ولا يمكن تتبعه، لأن ذلك سيخرج الدراسة عن موضوعها، ويضخم حجمها.

ولذلك ننتقل بسرعة إلى العصر الحديث، والفترة المعاصرة، لنستعرض مؤسسات التعليم، وبعض النماذج من رجال الفكر، والتربية، والثقافة، والتعليم، الذين أدوا دوراً رائداً للإسلام، واللغة والثقافة العربية الإسلامية، رغم الصعوبات، والعراقيل الطبيعية والبشرية، خاصة خلال الحقبة الاستعمارية الفرنسية الأوروبية البغيضة، ويعتبرون جنود الخفاء بحق في هذا الميدان الفكري والثقافي، والديني، والحضاري بصفة عامة.

وهذه القاعدة الثقافية المتينة هي التي توضح لماذا استمات شعب هذه المنطقة في الدفاع والمقاومة عن مقدساته الدينية، والثقافية، وعن استقلاله السياسي، وحريته التاريخية، والحضارية.

إن كل مساجد القرى في هذه المنطقة، كانت بمثابة معاهد، ومدارس، للتعليم والتربية، والتكوين، وثكنات لتدريب المجاهدين، ومصادر إلهام للمناضلين، ومراكز إشعاع للأجيال الصاعدة عبر التاريخ، ولعل قائمة المعاهد

والمدارس، والعلماء، والمدرسين، والأساتذة، خير دليل على هذا الدور الرائد والمشرق الذي كان أساساً للكفاح الوطني المتأجج على مدى قرن وثلث القرن، وهو ما نوضحه فيما يلي:

المؤسسات العلمية في جبال البيبان والسهول العليا

1 ـ معمرة وزاوية يحيى العيدلي بثاموقرة في بني عيدل.
2 ـ معمرة وزاوية أمالو، وتدعى بمعمرة سيدي أحمد أُويَحْيَ ـ بواد الصومام.
3 ـ معمرة فريحة قرب بني ورثلان.
4 ـ معمرة وزاوية الشيخ الحداد بصدوق أُوفَلَّةْ (العليا).
5 ـ معمرة وزاوية الشيخ أبو بَلْقَاسَمْ في بوجليل ببني منصور.
6 ـ معمرة سيدي أحمد الشريف الحسني ببني عشاش قرب بني ورثلان.
7 ـ معمرة زرعة بأولاد حَالَّةْ.
8 ـ معمرة ثَالْمَاتْ، قرب بني ورثلان.
9 ـ معمرة وزاوية أَنُو ببني ورثلان، لجد الحسين الورثلاني صاحب الرحلة.
10 ـ معمرة أَقْلِيمْ بإيث جَمَاتِي قرب بني ورثلان.
11 ـ معمرة وزاوية الجعافرة ببني عيدل.
12 ـ معمرة وزاوية الشيخ عبد الرحمن بأَمَزْرَاقْ.
13 ـ معمرة ثَاوْرِيرْتْ أَنْتَفْرِقْ بجبال ثفرق.
14 ـ زاوية ومعمرة سيدي أحمد أُوسْعِيدْ ببني يَمَّلْ (إِيثْ يَمَّلْ) في بني ورثلان.
15 ـ زاوية سيدي الولهي بجبل ثَاقَرْبُوسْتْ في المعاضيد، شمال شرق المسيلة.
16 ـ زاوية شرفة الهامل ببو سعادة.
17 ـ معمرة سيدي مخلوف بمزيتة.
18 ـ معمرة الشيخ أُوبُودَاوَدْ بحوض الصومام.
19 ـ مدرسة قلعة بني عباس لجمعية العلماء (فتحت عام 1934 م).
20 ـ مدرسة ابن خلدون في بونده الكبيرة، لجمعية العلماء.
21 ـ مدرسة ابن باديس في أوشانن الكبيرة لجمعية العلماء.
22 ـ مدرسة أولاد سيدي يذير لجمعية العلماء.

23 ـ مدرسة برج بوعريرج لجمعية العلماء.

24 ـ مدرسة بني ورثلان لجمعية العلماء.

25 ـ مدرسة ثَازَايَرْثْ ببني عباس.

26 ـ مدرسة أَقَمُّونْ بني خيار لجمعية العلماء.

27 ـ مدرسة الجابية حرة.

28 ـ مدرسة بوحمزة. حرة.

29 ـ مدرسة سيدي إبراهيم. حرة.

30 ـ مدرسة المنصورة. حرة.

31 ـ مدرسة إِغِيلْ عَلي. حرة.

32 ـ مدرسة قِينْدُوزْ. حرة.

33 ـ مدرسة ثنية الخميس.

34 ـ مدرسة برباشه. التي كان يعلم بها الشيخ عبد الحفيظ أمقران ويديرها، تابعة لحركة الانتصار للحريات الديمقراطية.

35 ـ مدرسة أُومَعْرَاطْ بجوار برباشة.

36 ـ مدرسة خليل إيفسار، بنفس الجهة.

37 ـ مدرسة إِيثْخَاطَبْ (بني خاطب) بنفس الجهة.

38 ـ مدرسة بُوقَاعَةْ في قُرقور.

39 ـ مدرسة عين الروَّةَ قرب سطيف.

40 ـ مدرسة خراطة.

41 ـ مدرسة قربيسة قرب سطيف.

42 ـ مدرسة كمدونة.

43 ـ مدرسة الفتح بمدينة سطيف. ولها فروع في المدينة نفسها (لجمعية العلماء).

44 ـ مدرسة قنزات ببني يَعْلَي (جمعية العلماء).

45 ـ مدرسة بجاية (جمعية العلماء).

46 ـ مدرسة بني عشاش.

47 ـ مدرسة ثِيطَسْتْ ببني يعلي.

48 ـ مدرس ثِيغِيلْتْ أُومَيَّالْ (ببني عباس).

49 ـ مدرسة بوشقفة (ببني عباس).

50 ـ زاوية سيد محمد بن يوسف قرب قرية حنديس (ببني عباس).

51 ـ زاوية ثَاقُرَّابْتْ ببني عباس، وكانت منافسة لزاوية حنديس.

52 ـ مدرسة البويرة (برْج حمزة) لجمعية العلماء.

53 ـ مدرسة الشيخ الفضيل الورثلاني بزمورة. لجمعية العلماء.

54 ـ مدرسة أُلْمُوثَنْ. ببني ورثلان. لجمعية العلماء.

55 ـ مدرسة عراصة. ببني ورثلان. لجمعية العلماء.

56 ـ مدرسة الشريعة ببني يعلي. لجمعية العلماء.

57 ـ وكل مساجد القرى بالمنطقة معاهد، ومدارس، وكتاتيب قرآنية كان لها دور عظيم في نشر العلم والفكر والثقافة. والتمسك باللغة العربية لغة العلم والحضارة لهذه البلاد وكل البلدان التي انتشر فيها الإسلام والقرآن.

أعلام الفكر والثقافة

الشيخ يحيى العيدلي

من مواليد قرية ثَامُقْرَةْ ببني عيدل خلال القرن التاسع الهجري (15 م) حفظ القرآن الكريم ودرس العلوم الدينية واللغوية، وتضلع في علوم الشريعة والتصوف، وأسس لنفسه زاوية بمسقط رأسه ما تزال قائمة حتى اليوم. ودرس عليه كثيرون من جهات كثيرة، ومنهم الشيخ أحمد بن عبد الرحمن دفين قرية قلعة بني عباس، وجد عائلة أولاد مقران أمراء الإمارة المقرانية هناك، وابنه هو مؤسس قلعة بني عباس، والشيخ الولي الصالح يحيى بن موسى جد عائلة الشيخ يحيى حمودي، وقد تغيب الشيخ يحيى العيدلي حوالي عشر سنين، ثم عاد وتفرغ للتدريس.

كان الشيخ يحيى العيدلي معاصراً للشيخ عبد الرحمان الثعالبي، بالجزائر، والشيخ سيدي التواتي ببجاية، والشيخ أحمد زروق البرنوسي الفاسي الذي زاره وتتلمذ عليه.

وقد راسل الشيخ يحيى العيدلي، زميله الثعالبي وسأله ثلاثة أشياء: لمن يزوج ابنته: ومن يجعله وصياً على أولاده، وتأليف كتاب لأصحابه، فأجابه بقوله: زوج بنتك لفلان، وكن أنت وصياً على أولادك، وقد ألفت ما فيه الكفاية، وكبرت ولم يبق لي ما يسمح بذلك.

وراسله الشيخ التواتي معاتباً عليه عندما سمع أنه ذكره بسوء، فأجابه بأنه ما ذكره إلا بخير، وأنه أثنى عليه واعترف بفضله عليه وعلى العلم، وشهد بفضله الشيخ عبد الرحمن الصباغ شارح المنظومة الوغليسية في الفقه للشيخ عبد

الرحمن الوغليسي، والبردة للبصيري، ورثاه بقصيدة كبيرة وعظيمة بعد موته.

وقيل إن فتاواه في الفقه لا ترد ولا تعارض ما بين بجاية وتوزر، وعندما زاره الشيخ زروق البرنوسي الفاسي إلى زاويته بثاموقرة مكث عنده مدة، وألف هناك بعض تآليفه، وأخذ عنه علمي الظاهر والباطن، ثم رحل إلى المشرق وتوفي زليطـن قرب طرابلس الغرب.

وقد بقيت زاويته بعده عامرة، بتحفيظ القرآن الكريم للأطفال، وتعليم العلوم الدينية، والأدبية للكبار، ولم تتوقف عن هذا الدور إطلاقاً خاصة وأنها لها أوقاف كثيرة في الجهة، عقارية ومنقولة.

وقبيل الحرب العالمية الثانية قيض الله لها عالماً فاضلاً أحيا ما اندثر واندرس من أعمال السلف الصالح هو الشيخ الفاضل والعالم المتواضع محمد الطاهر أيت علجت بن الشيخ مقران المقراوي فتجند للتعليم، وأقبل عليه طلبة العلم من كل جهة، وكون جيلاً من العلماء والفضلاء التحق كثير منهم بجامع الزيتونة لمتابعة الدراسة، والتحق آخرون بالقرى المختلفة للتعليم والتدريس، وأحدثوا نهضة كبرى علمية وثقافية، كانت ثورة بحق في ميدان التعليم، وعندما اندلعت الثورة كانوا في طليعة المجندين في صفوف جيش وجبهة التحرير الوطني، واستشهد الكثير منهم في ميدان الشرف.

والفضل كل الفضل للشيخ الطاهر، وجهوده، ولمؤسس الزاوية الشيخ يحيى العيدلي.

الولي الصالح يحيى بن موسى

من أهل القرن 9 هـ (15 م) ـ وتلميذ للشيخ يحيى العيدلي، ومن أولاده: الشيخ يحيى بن حمودي الذي أنجب كذلك: الشيخ أبا القاسم، والشيخ أحمد حمودي.

الشيخ محمد الصالح الورتلاني

من مواليد قرية أفلميم، بعرش ايَثْ جْمَاتِي (بني جماتي)، من أعراش بني ورثلان، وهو من أهل القرن 11 هـ (17 م) حفظ القرآن الكريم في صغره، وانكب على الدراسة والتحصيل لمختلف العلوم العربية العقلية، والدينية، والأدبية، وسخر نفسه بعد ذلك للتعليم والتدريس سنوات طويلة، وانتقل من قرية ييكن إلى قرية يتن، في بني عيدل، واستقر بها، ووجدهم لا يعملون بالشرع الإسلامي في الميراث، فنهاهم، ولم يرعووا، وعزم على هجرهم فمنعوه، واغتنم فرصة غيابهم عن القرية ليغادرها فتفطنوا له، وتجمعوا ليمنعوه، واشترط عليهم لبقائه بينهم، أن يعودوا للعمل بالشرع الإسلامي، ويتخلوا عما هو مخالف له، فقبلوا وأقسموا له بذلك فعدل عن السفر، وبقي بينهم.

ومن رفاقه الشيخ علي الصوفي جد الشيخ يحيى حمودي بقرية أولاد سيدي علي بأيث إبراهيم (بني براهم).

ومن أولاده الشيخ محمد الصالح، الشيخ سيدي عبدالله.

ومن أحفاده: الشيخ عبد الرحمن، والشيخ أحمد، والشيخ عبد الوهاب، والشيخ علي، وكلهم علماء فضلاء.

الشيخ الحسين الورتلاني

(1713 ـ 1780)

هو الحسين بن محمد السعيد بن الحسين بن محمد بن عبد القادر بن أحمد الشريف نجل الشيخ الولي سيدي علي البكَّايْ البجائي الذي أصله من مدينة تافيلالت بالمغرب الأقصى.

ولد عام 1125 هـ (1713 م) بقرية أَنُو بجوار قرية بني ورثلان، وحفظ القرآن الكريم في زاوية جده ووالده بنفس القرية على الشيخ يوسف بن بشران، ثم تفرغ لدراسة علوم الفقه، والحديث، والنحو والصرف، والعروض، على

والده، وشيوخ القرية، والزاوية، الآخرين، أمثال: الشيخ علي بن أحمد بن عبدالله، والشيخ يحيى اليعلاوي، والشيخ أحمد زروق بن الشيخ العنابي صاحب المؤلفات العديدة، وتضلع في علوم الفقه، والتوحيد، والصرف، والنحو، والبلاغة، والأدب، وحفظ الشعر ونظمه.

وبعد أن أستنفذ ما عند شيوخ القرية من العلوم والمعارف شد الرحال إلى غيرها داخل الجزائر وخارجها، لطلب العلم والمعرفة كذلك، فزار بجاية، والجزائر العاصمة، وتلمسان، ومليانة، والبليدة، ودللس، وجبال زواوة، والمسيلة، وبسكرة، وسيدي عقبة، وسيدي خالد، وتبسة، وقسنطينة، وعنابة، للتبرك بالأولياء والصالحين، وللاستزادة ما أمكن من العلوم والمعارف.

وزار تونس، على أمل الذهاب إلى الحج، ولكن لم يوفق، فاغتنم الفرصة وتعرف على عدد من العلماء، ودرس على البعض منهم، ثم قام بثلاث رحلات إلى البلاد المقدسة لأداء فريضة الحج، والاتصال بالعلماء، والفقهاء، والمتصوفة، فيما بين 1153 هـ و1179 هـ.

الحجة الأولى عام 1153 هـ (1740 ـ 1741 م).

الحجة الثانية عام 1168 هـ (1754 ـ 1755 م).

الحجة الثالثة عام 1179 هـ (1765 ـ 1766 م).

وقد أتاحت له هذه الرحلات أن يوسع ثقافته، ومداركه، وتجاربه ويحصل على زاد ثقافي واسع، نفع به أبناء جيله، وتصدى للتدريس والتعليم في قرية أنو مسقط رأسه ببني ورثلان، وفي مدينة بجاية التي يقيم بها خلال شهر رمضان من كل سنة.

ومن أبرز تلاميذه الذي تخرجوا عليه، ولازموه، ورافقوه حتى في سفراته إلى الشرق: الشيخ محمد بن الفقيه، والشيخ محمد السكلاوي، ويحيى بن حمزة، ومحمد بن عبدالله، من زمورة، ومحمد الجوادي، ومحمد بن أخروف، وأبو القاسم بن مدور من قرية ثفرق الذي تولى وظيفة القضاء ببجاية، وابن عمه الشيخ محمد الصالح.

كما درس الورثلاني بتونس، وأخذ عنه عدد من الطلبة، وفي صفاقس، وقابس، وتحاور مع العلماء والفقهاء، والطلبة.

وقد كتب الورثلاني وألف في عدد من الأغراض والمظان، وشرح وعلق على مؤلفات غيره في الفقه والحديث، والتصوف، والبلاغة، والنحو، ضاع أكثرها للأسف، أشهرها: رحلته التي سماها: «نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار» المعروفة بالرحلة الورثلانية.

وشرح على المنظومة القدسية للشيخ عبد الرحمن الأخضري في التصوف.

وشرح على الصغرى للشيخ السنوسي التلمساني.

وحاشية على حاشية الكتاني على شرح السنوسي.

وشرح على وظيفة الشيخ يحيى العيدلي، وبعض كراماته.

وكراس في وصف برقة الليبية ومنازلها، ومياهها، ومراحلها. ضاع منه قرب قرية الزعفران في يوم شديد العواصف.

ورسالة في شرح قول: وقفت بساحل وقفت الأنبياء دونه لأحد الأولياء وذلك رداً على أسئلة طلبة وعلماء تدلس.

ورسالة في شرح لغز صوفي للشيخ أحمد بن يوسف الملياني بعث به إلى سلطان فاس بعد أن عجز علماؤها عن فهمه والرد عليه.

ورسالة حول اختلاف العلماء والفقهاء بالأزهر في تفسير أو شرح الخرشي لخطبة الشيخ خليل عند قوله: وحمد المؤلف العام والخاص فكان الخلاف في هل الخاص أفضل أم العام.

وشرح كتاب: الصلاة.

وشرح على وسطى السنوسي في التوحيد.

وشرح على محصل المقاصد لأحمد بن زكري التلمساني.

وحاشية على صغير الخرشي. على هوامش الشرح.

وحاشية على كتاب المرادي.

وقصيدة في مدح الرسول في 500 بيتاً.

وأهم هذه المؤلفات كلها كتاب الرحلة.

وقد بدأ في كتابتها قبل الشروع في الرحلة أو الحجة الثالثة، وأتم تدوينها بعد عودته بمدة يسيرة، وشرع التلاميذ والطلبة في نسخها ابتداء من عام 1181 هـ (1768 م) أي بعد عام من عودته من الحجة الثالثة والأخيرة، وتحوي أخباراً كثيرة: ثقافية، وتاريخية، واجتماعية، وسياسية، واقتصادية، وعسكرية، وسير العلماء والفقهاء، وطلبة العلم.

وقام العالم الجزائري محمد بن أبي شنب بتحقيق هذه الرحلة ونشرها عام 1908 لأول مرة.

وتوفي الشيخ الحسين الورتلاني عام 1193 أو 1194 هـ (1779 ـ 1780 م) بمسقط رأسه أنو، ودفن في مقبرتها وما يزال قبره قائماً يزوره الناس باستمرار ويتبركون به، ويتذكرون من خلاله ماضي هذه البلاد المشرق. وقمت أنا شخصياً بزيارته خلال الاحتفال بالذكرى الثلاثين لوفاة حفيده الشيخ العالم الفضيل الورتلاني في شهر مارس عام 1989. وكان معنا الشيخ الطاهر آيت علجت المقراوي وآخرون من المثقفين.

علماء أسرة أولاد بوعزيز
ودورهم في حركة التعليم العربي الإسلامي
خلال القرنين التاسع عشر والعشرين

من الدعائم الأساسية للاستعمار الفرنسي في الجزائر، التفقير والتجهيل، وما أنجز عنهما من التقتيل، والتشريد، والأمراض والأوبئة المعدية، والمتوطنة. فقد طبق هذه السياسة بكل قسوة، وغلو، وشراسة لا نظير لها وصادر من الأهالي الجزائريين كل أراضيهم الزراعية الخصبة المقدرة بثلاثة ملايين هكتار، وقراهم العمرانية المهمة، وقطعان مواشيهم ومراعيها السهبية. وملكها كلها لمائات الآلاف من الأوروبيين الذين هجرهم من فرنسا وأوروبا إلى الجزائر ليحلوا محلهم. ودمر كل مؤسسات التعليم العربي، وخربها واستولى على الباقي، وحولها إلى مؤسسات إدارية، ومهنية، بل وحتى إلى اصطبلات لتربية الخنازير، وليس حتى للأحمرة والخيول[1] واستولى على أملاك الأوقاف الإسلامية، التي كانت تمون هذه المؤسسات وطارد رجال التعليم العربي، وشردهم وقتل الكثير منهم، ونفى آخرين إلى خارج البلاد. وضيق على الباقي منهم ومنعهم من ممارسة مهنهم، وحال دون فتح المدارس العربية. وفرض وصاية على نشاطهم المهني التربوي. وعانى الشعب الجزائري ما لم يعانه شعب آخر، فحرم من نور العلم والمعرفة، وأفقر بشكل تام مرعب ومخيف،

---

(1) كما حصل لمدرسة خنق النطاح بمدينة وهران التي أسسها الباي محمد بن عثمان الكبير أواخر القرن 18 م: إذ سلمتها سلطات المدينة الاستعمارية إلى معمر اسباني لتربية الخنازير وبقيت في يده حتى أوائل عقد الخمسينات من هذا القرن العشرين.

وأصبح الفقر والجهل من السمات الأساسية له خاصة في البوادي والأرياف واعترف الكثير من الفرنسيين المنصفين بهذا. وأكدوا أن 90% من الجزائريين أصبحوا أميين نتيجة لهذه السياسة، واعتبروا ذلك كارثة على الشعب الجزائري.

فقال أوجان كومب عضو مجلس الشيوخ الفرنسي: «أنّ مما لا شك فيه أن التعليم في الجزائر كان عام 1830 أكثر انتشاراً، وأحسن حالاً مما هو عليه الآن... فقد كان هناك أكثر من ألفي مدرسة ابتدائية، وثانوية، وعالية، يتولى التدريس بها نخبة من الأساتذة الأكفاء، وكان الطلاب من الشباب متعطشين للعلم. هذا فضلاً عن مئات المساجد التي تعلم اللغة العربية»[1].

وقال بولارد في كتابه: تعليم الأهالي في الجزائر: «كانت الجزائر فيما مضى تضم معاهد علمية عظيمة الشأن، فالفلسفة، والآداب، والعلوم، والطب، وقواعد اللغة، والقانون الإسلامي، وعلم الفلك، يقوم بتدريسها أساتذة كبار من الجزائريين أنفسهم. كما كانت هناك مدارس عديدة متخصصة في تعليم القضاء الشرعي والعلمي.. ولقد أحدث وجود الفرنسيين اضطراباً بالغاً بين هؤلاء المفكرين الأدباء واضطر معظم العلماء والفقهاء إلى ترك وظائفهم التي كانوا يشغلونها كما تشتت شمل التلاميذ الذين اضطروا إلى السعي وراء العلم في السر بدلاً من العلانية والحرية. وأسندت السلطات الغاشمة إدارة المساجد إلى أيدي غير آمنة بددت القسم الأكبر من الأموال. ومنذ ذلك الحين أهمل أمر هذه المساجد التي كانت بمثابة دور ومدارس للتعليم»[2]. ولكن الشعب الجزائري لم يستكن، ولم يستسلم بل قاوم هذه السياسة الاستعمارية بكل ما لديه من إمكانيات خاصة في الأرياف والمناطق الجبلية البعيدة عن مناطق التوطن الأوروبي الاستعماري، ورد على التحدي الأوروبي المسيحي النصراني بمثله. وتصدى أجيال من حفاظ القرآن الكريم، والمعلمين والفقهاء والعلماء، للتعليم والتفقه ونشر نور العلم والمعرفة، ووجدوا تشجيعاً كبيراً وواسعاً من المجتمع الجزائري المتمسك بعروبته وإسلامه، والرافض لسياسة الفرنسة والتنصير،

---

(1) حزب الشعب الجزائري: التعليم في الجزائر (القاهرة ـ 1951) ص جـ.

(2) نفس المصدر. ص جـ و هـ.

والتغريب والتجهيل خاصة في الأرياف والبوادي الواسعة والشاسعة.

ونظراً للفروق الاقتصادية والثقافية التي كانت قائمة بين المناطق الريفية والجبلية فقد حاول السكان أن يحققوا نوعاً من التوازن فيما بينها، وتبادلوا المنافع والمصالح بكيفية منطقية ومعقولة، ومفيدة.

فالمناطق الغنية اقتصادياً تتزود بالثقافة والتعليم من المناطق الغنية ثقافياً، والعكس. وللتوضيح نجد مثلاً مناطق الهضاب العليا الشرقية والشمال القسنطيني والأوراس غنية فلاحياً. ومناطق جبال القبائل الصغرى والكبرى غنية ثقافياً، ولذلك يتجه مثقفوها ومعلموا القرآن الكريم بها إلى تلك المناطق للتعليم مقابل مبالغ مالية معتبرة نقدية وعينية، خاصة الحبوب.

وينفق الموسرون بسخاء على الثقافة والتعليم خاصة تحفيظ القرآن الكريم لأولادهم وتلقين العلوم العربية الدينية واللغوية. ويبرمون اتفاقات مع معلمي وعلماء وفقهاء منطقة القبائل للقدوم إليهم وممارسة التعليم والتفقه في فصول معينة كل عام. ولا يتخلفون عنها. لأن كل طرف محتاج للآخر.

ومعلوم أن منطقة القبائل التي تشمل جبال البيبان، وجرجرة، وحوض الصومام، تكثر بها الزوايا، والكتاتيب القرآنية. والمعمرات. والمدارس التي تعد بالمآت. ويقبل السكان عليها بكثرة، وبصورة جماعية لحفظ القرآن الكريم، وتعلم العلوم الدينية واللغوية والأدبية بل وحتى العلمية. وتخرج كل عام أجيالاً من المعلمين والمثقفين، وحفاظ القرآن الكريم فيغادرونها للبحث عن أماكن للتعليم في كل قرى المنطقة، وخارجها. ويتجه جمع منهم إلى قرى جبال الأوراس، والهضاب العليا الشرقية، والشمال القسنطيني، والنمامشة، للتعليم والتدريس كذلك. ومن هذه القرى: قالمة، والنبايل، وبوشقوف، وعزابة، وعنابة، وتاورة، وعين عبيد، وسوق اهراس، وعين الفكرون، وعين رقادة، وواد الزناتي، وتبسة والوانزة، وبوخضرة والشمّرة، وخنشلة، وعين البيضاء، والحراكتة، ومقاوس، وعين أزال، وعين ارنات، وراس الواد، وعين

تاغروط، وزمورة، وأولاد عمار، وأولاد سعدالله، ومجانة وعين السلطان وعين الرّوى، وغيرها.

فيتجهون إلى هذه المناطق في بداية فصل الخريف ويعودون في فصل الصيف إلى ديارهم بعد الحصاد والدرس، محملين بالحبوب، والبضائع المختلفة، والأمتعة والألبسة وقطع القماش، والنقود.

وكلما كان الموسم الفلاحي خصباً، كان إيرادهم من أجورهم مرتفعاً. وقد تكونت رابطة مهمة ومتينة بين سكان هذه المناطق وهؤلاء المعلمين والطلبة، وتوطدت كثيراً. وأصبحت كل جماعة منهم مرتبطة بناحية معينة. وكثيراً ما يحتفظ البعض منهم بأماكنهم طيلة حياتهم حتى يموتوا.

واشتهرت عائلات كثيرة في جبال القبائل بالعلم والثقافة، وتوارثت العلم والتعليم عشرات السنين. وتصدى مثقفوها ومعلموها وطلابها لمهنة تحفيظ القرآن الكريم للأجيال الصاعدة وتعليم العلوم العربية الدينية واللغوية، والأدبية سنوات طويلة في المنطق المشار إليها، حتى أصبحت شهرتهم كنار على علم في طول الجزائر وعرضها.

عائلة البعازيز ودورها في حركة التعليم العربي الإسلامي

وسنتخذ من عائلة البعازيز نموذجاً لهذه العائلات العلمية التي توارثت العلم والثقافة ومهنة التعليم أباً عن جد لعدة قرون، وسخر مثقفوها أنفسهم لمهنة التعليم والتدريس، وتحفيظ القرآن الكريم للأطفال، سنوات طويلة بل وعقود، وكتابة العقود والوثائق والصلح بين الناس وتوزيع المواريث، لأننا عثرنا على مجموعة من الوثائق تعود إلى القرن الماضي، والبعض منها إلى القـرن السادس عشر، سمحت لنا بالكشف عن قضايا كثيرة، ومكنتنا من الوصول إلى نتائج جد مقنعة، ويمكن إبراز محتوياتها في الأمور الأساسية التالية:

1 ـ البحث عن الكتب، وأسعارها، وكيفية الحصول عليها، واقتنائها

وتبادلها فيما بين المثقفين، والتعرف على المواطن التي توجد بها خاصة قسنطينة وتونس.

2 ـ الاستفسار عن حالات المواسم الفلاحية من خصوبة وقحط، لارتباط ذلك بأجورهم ومستحقاتهم مقابل مهنهم التربوية.

3 ـ الحديث عن بعض القضايا الاجتماعية المتصلة بهم وبمن يتعاونون معهم حتى ولو كانت ذات آثار سيئة.

أن الكشف والتعرف على هذه القضايا في هذه الوثائق يخدم توجهات المدرسة التاريخية الجزائرية والمغاربية الحديثة، التي تعتبر الوثيقة أساساً لكل بحث أو دراسة وقاعدة لها لا غنى عنها.

وأن عدداً كبيراً من مثقفي، هذه العائلة مارسوا مهنة التعليم طوال حياتهم في معظم قرى بلاد القبائل، وفي منطقة قالمة شمال قسنطينة، وفي جبال الأوراس والنمامشة وفي الهضاب العليا الشرقية ومنطقة سطيف.

وهناك أكثر من ثلاثة شيوخ توفوا في النبايل وأحوازها بمنطقة قالمة حيث كانوا يعلمون، وفارقوا الحياة غرباء عن الأهل والولد، منهم عمنا الشيخ محمد بوعزيز، وابن عمنا الشيخ الحسين بن العربي، وعمنا الشقيق الشيخ يحيى، أخو الوالد. الذي تزوج واستقر هناك حتى توفي وخلف وراءه ابناً وبنتاً، وعليه سميت أنا.

وقد علم جدي الشقيق الشيخ الحسن بوعزيز، والد أبي، خمسة وثلاثين عاماً في قرية الجعافرة، وانتهى به الأمر في قرية القُلَّة بعرش القُلَّة التي توفي بها في مطلع هذا القرن.

وعلم جدي الشقيق لأمي الشيخ الهادي بوعزيز، سنوات طويلة في عدة قرى حتى توفي بالجعافرة خلال عقد الثلاثينات من هذا القرن. وعلم والدي الشيخ الحاج عبد الرحمن بوعزيز سنوات طويلة بقرية الجعافرة التي علم بها والده الشيخ الحسن. وبها تزوج زواجه الأول والثاني، والثالث وأنجب كل أولاده ومنهم أنا (يحيى) هناك ما عدا الأخ الصغير الهادي، ومن الجعافرة عاد

إلى مسقط رأسه أمزرراق ليواصل مهنة التعليم بها حتى توفي عام 1955 م.

وهاجر عدد من فروع هذه العائلة إلى قرى أخرى للتعليم وتوطنوا بها بصفة نهائية، فانتقل جدنا العربي بوعزيز، إلى قرية عشابو العليا، واستقر بها هو وأولاده وأولاد أولاده، وتوارثوا مهنة التعليم بها حتى اندلعت ثورة أول نوفمبر 1954 م.

وانتقل جدنا الشيخ الصالح بن الصالح بوعزيز إلى قرية أولاد سيدي المسعود قرب ثنية الخميس واستقر بها هو وأولاده وأولاد أولاده وتوارثوا مهنة التعليم بها حتى ثورة أول نوفمبر 1954 م.

وكان عمنا الشيخ مُحَنْدْ، صاحب ثقافة عالية، وعلم في الجعافرة وغيرها وأتقن علوم القرآن اتقاناً جيداً، وحذق الروايات السبع، وزار تونس وجلس إلى حلقات دروس علماء الزيتونة وحاور البعض منهم، وظهر تفوقه عليهم كما حكى لي ذلك الوالد. الذي أدركه وعاش معه طويلاً.

وكذلك الأمر بالنسبة لجدي الشيخ الحسن، الذي تفصح الرسائل والعقود والتعليقات التي خلفها، ووصلت إلينا، على المستوى الثقافي الرفيع الذي كان يتمتع به لغة، وفقهاً، وتشريعاً، وقانوناً، وأدباً، وعلى الاهتمامات المتنوعة التي كانت تشغل باله وبال أمثاله من المثقفين.

فمن خلال العقود التي كتبها لبيع وشراء العقارات، نلاحظ الدقة في الألفاظ والعبارات والشروط المطلوبة لصحة العقد، فيما يخص العقار، وأوصافه وحدوده والبائع والمشتري والثمن والتاريخ، والشهود، والاستلام، وبراءة الذمة. مما يدل عى تضلعه في فهم أحكام الفقه والشريعة الإسلامية، ومن خلال الرسائل نلاحظ اهتمامه بالكتب، والبحث عن أسعارها وأماكن وجودها. وأنواعها. والأهم منها على غيرها. وإرشاد الراغبين فيها إليها في مواطنها. كما نلاحظ حرصه على التعرف على الأوضاع الاقتصادية والسنوية، التي ينتظرها هو وأمثاله بفارغ الصبر حتى يعرفوا مقدار الدخل الذي سيحصلون عليه مقابل عملهم التربوي في أماكن ومواطن عملهم. وخلال هذا وذاك نلاحظ

أيضاً الاهتمام ببعض القضايا الاجتماعية الصرفة الحلوة منها والمرة.

موطن عائلة البعازيز، وموجز تاريخها

تنحدر عائلة البعازيز أو آيت بوعزيز، (وكلمة آيت معناها أولاد) من الولي الصالح والفقيه العالم الشيخ سيدي أبي عبدالله محمد بن عبدالله (ويدعوه أهل القرية جدّي أَمْحَنْدْ أَو عَبْدْ اللَّهْ) دفين قرية أمزرراق بعرش إلماين. في منطقة بني عيدل، أو يعدل، بجبال البيبان في القبائل الصغرى شرق وادي الصومام.

وحسب رواية والدي الشيخ الحاج عبد الرحمن (1884 ـ 1955 م). فإن الشيخ أبا عبدالله محمد بن عبدالله، هذا، أصله من الساقية الحمراء، وهاجر من هناك صحبة أخوين له أحدهما استقر في قرية خليل إيفسار، بأعراش بني ورتلان، والثاني استقر بإحدى قرى زواوة في جبال جرجرة، بينما نزل هو بحمام باينان على ضفاف واد مهاجر قرب أولاد حالة الحالية ثم انتقل إلى قرية أمزرراق الجبلية واستقر بها بصفة نهائية حتى توفي ودفن بها وبنيت على قبره قبة وضريح.

واستناداً إلى رواية الوالد كذلك فإن الشيخ أبا عبدالله محمد بن عبدالله، شريف ومرابط ينتهي نسبه الحسني إلى السيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول محمد بن عبدالله عليه الصلاة والسلام. وقد رأى بنفسه شجرة نسبه مكتوبة على جلد حيوان لدى الشيخ الربيع بن بلقاسم أحد شيوخ القرية الذي كان يتولى وظيفة قايد على عرش مقدّم. ويتولى معه العم أَبْعَازِّيَّ الشريف وظيفة خوجة لديه. وقد لحقت أنا بالشيخ الربيع ولم يتوفّ إلا أواخر الحرب العالمية الثانية أو بعدها بقليل عن عمر طويل.

وتشاء الصدف في مطلع شهر سبتمبر 1990 م أن تقع بيدي هذه الشجرة، إذ سلمها لي ابن العم الصالح بوعزيز، بن الشيخ المدني بن الشيخ الصالح في مدينة برج بوعريريج مع عدد من العقود والرسائل والتسجيلات أغلبها لجدي الشقيق الشيخ الحسن بن بلقاسم بوعزيز والد أبي، وكانت محفوظة ضمن كتب

ووثائق والده بأولاد سيدي المسعود أين توفي، ودفن خلال الحرب العالمية الثانية. ورغم أن هذه الشجرة تعرضت لبعض التلف في حاشيتها اليسرى والعلوية، وفي بعض أجزائها الداخلية، ولكن ذلك لم ينل من اللب المقصود منها. وكان مما اكتشفته فيها بعد قراءتها أن سيدي موسى الذي دفن على بعد خمسمائة متر منه إلى الغرب وبنيت عليه قبة وضريح كذلك هو أخوه. وتنص هذه الوثيقة هكذا قائلة: «أما بعد فإن شهداءه الموضوعة أسماؤهم فيه عقب تاريخه يعرفون الفقيه المعظم التقي الزكي العالم الأفضل الأكمل أبا عمران موسى، وشقيقه الأحسب الأنسب المعظم الأجل التالي لكتاب الله عز وجل أبا عبدالله محمد، ابني الفقيه العالم، العلم المدرس المنعم المرحوم أبا عبدالله محمد القاضي بن[1] ومحمد بن عبدالله الزّدوني معرفة كاملة معتبرة شرعاً. يشهدون بها بأن الشقيقين المذكورين حازا الشرف الصميم، والحسب الكريم، من والدتهما المبرورة المعظمة أم السعد. وأن أم السعد حازن ذلك من أمها[2] وأن[3] حازت ذلك من أمها الشريفة المعظمة المرحومة المنعمة عائشة بنت الشيخ الأفضل المبرور أبي عثمان سعيد بن حجاج الشريف المزودي. وأنهما قد حصل لهما بهذا النسب النبوي، والانتماء إلى الجانب (كذا) الكريم الحسني من البر والاعتناء، والرعي (كذا) والاحتفاء ما انسحب على أمثالهما من السادة الشرفاء».

وقد شهد على صحة هذه الشجرة، وهذا النسب عشرة أشخاص من قرى المنطقة، وصادق عليها قاضي الجماعة بمحروسة الجزائر السيد محمد، بمجلس قضائه، في نفس تاريخ كتابتها وهو: أواخر جمادي الأولى عام 986 هـ. وهو ما يوافق أوائل شهر أوت عام 1578 م. وسنورد نص هذه الشهادة والشجرة ضمن ملاحق هذه الدراسة في الأخير.

ومن أحفاذ هذا الولي الصالح محمد بن عبدالله:

---

(1) هناك إتلاف لثلاث كلمات.

(2) هناك إتلاف لكلمة.

(3) هناك محو لاسمها، وصعوبة قراءته.

الحاج محمد أُو عَبْدْ العزيز، الذي أنجب الشيخ الولي الصالح:

الحسين أُوبَعْزِيزْ (1765 ـ 1857 م) الذي ما يزال ضريحه قائماً حتى اليوم في منزلنا بقرية أمزرراق، وهو عالم حافظ للقرآن الكريم، وفقيه، وأنجب أربعة أبناء كلهم علماء وهم: الشيخ بلقاسم، والشيخ العربي، والشيخ الصالح، والشيخ محند، وكلثوم.

1 ـ الشيخ بلقاسم أو بعزيز: أنجب: الحسن، والهادي.

- الهادي ترك رزقية، وفطوم (أمي)، وكلثوم، وهو جدّي من أمي.
- الحسن: ترك عبد الرحمن (والدي) ويحيى، عمي، ومات له ابن اسمه عبد العزيز وهو أكبرهم ولد عام 1871 خلال ثورة المقراني والحداد.

2 ـ الشيخ العربي: خلف: عمرو، والحسين، والمختار، وعبد القادر، وفاطمة.

- عمرو ترك: العربي، والمختار، وبلقاسم، وفطة، ومنانة، وعدودة، وخدوجة، وحليمة.
- الحسين، ترك: الشريف، وفاطمة، وعائشة.
- المختار: ترك محمد السعيد، والزهرة، التي تزوجت الشيخ مُحَمَّد أُو يَحْيَى بقرية أولاد سيدي علي بعرش آيت ابراهم (بني براهم).

3 ـ الشيخ الصالح: ترك: الصالح، وبلقاسم.

- بلقاسم: ترك: جميلة التي تزوجت الطاهر، ولد فطومة بنت حالة شقيقة إدريس بن حالة، وقد لحقت بفطوم هذه وشقيقها إدريس. وزرتها في منزلهما بقرية أولاد حالة.
- الصالح: ترك فاطمة، والمدني، والحسن، وأمهم فاطمة بنت الشيخ العربي، وقد توفي الصالح هذا ودفن في زاوية ابن الربيعي بأولاد خلوف.
- المدني، ترك: الصالح، وجعفر، والصالح هو الذي سلم لي وثائق هذه الدراسة مشكوراً خلال شهر سبتمبر 1990 بمدينة برج بوعريريج.

4 ـ الشيخ محند: ترك جعفر، والزينة.

5 ـ كلثوم: تزوجت الشيخ العالم محمد أمزيان أُو بَتْقَةْ من قرية إلماين وأنجبت

أربعة أبناءهم: محمد الطيب، ومحمد أُوعَبْدْ القادر، ومحمد أرزقي، والحسن، وكان محمد الطيب عالماً كبيراً وفقيهاً أنجب هو الآخر أربعة أبناء اثنان منهم علماء وهما:

محمد أمزيان ـ ولحلو. وقد لحقت أنا بالشيخ محمد الطيب. وزرته مع والدي في قريته المدعوة لَمْطَرْض. المجاورة لقرية إلماين مقر الدوار والبلدية.

الشيخ الحاج عبد الرحمن بوعزيز (أُوبَغْزِيزْ)

1301 ـ 1374 هـ

1884 ـ 1955 م

هو الشيخ الوالد عبد الرحمن بن الحسن بن بلقاسم، بن الحسين، بن الحاج أو عَبْدْ العَزِيزْ، وله شقيق أكبر منه اسمه عبد العزيز ولد عام وفاة الباشاغا المقراني زعيم ثورة 1871، وتوفي قبله، وشقيق آخر يدعى يحيى، حفظ القرآن الكريم، وذهب إلى منطقة النبايل بجهة قالمة لتعليم القرآن الكريم واستقر هناك حتى توفي وخلف وراءه إبناً وبنتاً، لا نعلم عنهما شيئاً حتى اليوم وقد رفضت أمهما تسليمهما إلى الوالد عندما ذهب لاستقدامهما إليه، وذكر الوالد بأنه سافر ليحضرهما ووجدهما قد أفسدت أمهما وجهيهما وأيديهما بالوشم، فعزف عن مصاحبتهما خاصة البنت التي يصعب أن تتزوج بسبب ذلك الوشم.

وتعلم هو (الوالد) القرآن الكريم، على والده، بقرية أمزرراق وحفظه حفظاً جيداً. وأتقن تجويده على الروايات، السبع، والعشر، وشغف بتعلم علوم القواعد العربية كالنحو والصرف، ومادة الفقه، والحديث، ومال إلى حياة التصوف وأكثر من مطالعة سير شيوخ القوم، من مختلف المصادر، خاصة عنوان الدراية، والبستان، كما شغف بمطالعة كتب الفقه والحديث، وعندما كبر تفرغ لتعليم القرآن في عدة قرى منها: أمزرراق مسقط رأسه وبومسعدة، وثاورميث، وكان يذهب إلى قرية أورير الجعافرة لتجويد القرآن على الروايات

السبع والعشر على العالمين: الشيوخ على أوقَاسِمي، والشيخ الصالح أوقَاسِي، ودرس علوم الفقه على الشيوخ. الطيب أُوصَالَحْ، ومحند أرزقي أوصَـالَحْ ، من قرية مذواس، بجبال ثفرق.

وأثناء تعليمه بقرية ثاورميث بالجعافرة، تزوج السيدة مباركة بنت العمرى بن لخضر بن بلعمار الزياني الزيتوني، فأنجبت له الزروق الأول، والنذير، والحسن، وخديجة، وبعد وفاتها تزوج بالسيدة يمينة طالبي بنت بلقاسم من قرية أولاد سيدي يذيـر فأنجبت له أحمد الزروق، وصفية، والحسين، ثم تزوج أمي، وبنت عمه فطوم بنت الهادي، بن بلقاسم، وأنجبت له يحيى (مؤلف هذا الكتاب) وكلثوم، وزينب، والهادي الأول، والهادي الثاني.

وخلال الحرب العالمية الأولى ذهب إلى وادي الصومام وتتلمذ على شيخ صوفي هناك قرب بجاية يدعى الشيخ مزيان، وأخذ عنه «وِرْدَ» طريقته، ولكنه لم يقنع ولم ينل ما كان يصبو إليه رغم أنه فرض عليه أن يصوم الدهر كله.

وعندما ظهرت الطريقة العلوية بمدينة مستغانم اتصل بشيخها أحمد بن عليوة وحكى له سيرته مع الشيخ مزيان ببجاية، فقال له إن عملـك هذا كله يضاعف لك إن شاء الله لأنك قصدت به وجه رب العالمين، ولكن صيـام الدهر كله، وأكل خبز الشعير فقط مع شرب الماء فيه مشقة، وقد لا يوصل إلى المرغوب. ويحسن هنا أن نورد جواب الشيخ الوالد عن سؤال طرحه عليه الشيخ محمد ابن عبد الباري التونسي ونشره في كتابه: «الشهائد والفتاوى. فيما صح لدى العلماء من أمر الشيخ العلاوي» الذي طبع بتونس عام 1344 هـ (1925 م). لأنه فيه معلومات مهمة عن كيفية اتصاله بالشيخ مزيان في بجاية، وتحوله بعد ذلك إلى الشيخ ابن عليوة، وفيه أيضاً معلومات عن نشاطه في هذه الفترة. قال الشيخ محمد بن محمد بن عبد الباري الحسني التونسي ما نصه في صفحات 120 إلى 124 بما فيه من التعليقات التي وضعها المؤلف:

الشهادة العاشرة:

فيما أجاب به المرشد الجليل والصوفي النبيل البركة الشيخ السيد[1] عبد الرحمن بوعزيز الجعفري عن سؤال ورد عليه هذا نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

في 20 جمادي الثاني سنة 1342[2]

ذو الفيض الرباني والمدد الرحماني الشيخ السيد عبد الرحمن بوعزيز عليكم وعلى من اجتمع بكم من المريدين أطيب السلام وأجمل الاحترام هذا أيها الشيخ قد بلغني عنكم أنكم كنتم منتسبين للطريقة الخلوتية وقد حصلتم على الإذن فيها وبعد هذا بلغني انتقالكم لصحبة الشيخ أحمد بن عليوه المستغانمي وأنكم الآن من أخص أتباعه وبما أن بعض الناس استشكلوا ما بلغهم من المنكرين ظهر لنا الرجوع إليكم في تحقيق النوازل ولعلمنا أنكم لا تكتمون الشهادة التي حرم الله كتمانها فما هي شهادتكم في هذا الرجل أخبرونا بارك الله فيكم بلا عصبية قاصدين في ذلك وجه الله نصيحة في ذات الله وحسابكم على الله أن أخبرتمونا عن شيء أنتم فيه على غير بصيرة وحاشاكم من ذلك إنما ذكرنا هذا توفية للمقام والسلام والجواب ينتظر مع حامله والسلام من خديم النسبة الإلاهية محمد بن عبد الباري الشريف التونسي.

---

(1) أقول إن فضيلة المشار إليه من أجله المشايخ بأرض القبائل ذو زاوية عظيمة بعرش الجعافرة عمالة قسنطينة أما فضيلته فقد ظهرت عليه بركة النسبة ظهوراً بيناً بمجرد التعلق بها والعمل بمقتضاها والإذن له في الإرشاد فقد انتشر ذكره وطار صيته وأقبل عليه الناس أفواجاً للاشتغال بالذكر والانفراد في الخلوة حسبما أذن له بذلك وقد بلغنا أن الخلوة كانت عنده لا تخلو من نحو خمسين أو ستين رجلاً منقطعين للذكر إلى أن بلغ عدد المتخرجين منها على يده ما يقرب من ستة آلاف أما أهل التبرك فلا يحصون لكثرتهم وهذا من فضل الله عليه وعلى الناس أما الرجل فلا يرى فيما ظهر عليه إلا متواضعاً حسبما كان يرى بين الفقراء كأحدهم لا يمتاز عن اللفيف إلا بما لا بد منه وبالجملة أن تأثير هذه النسبة في تابعيها لا ينكر وجوده إلا مكابر براء أو جاهل بطريق القوم.

(2) الموافق 28 جانفي 1924 م.

الجــواب

بسم الله الرحمن الرحيم
في 7 رجب سنة 1342[1]

حمداً لمن جعل الذكر مفتاحاً لباب حضرته وأجلى سحاب الوهم عن بصائر أحبابه وأزال آثار الشك والارتياب عن قلوب أوليائه وصلاة وسلاماً على أشرف مظاهر الوجود وعلى آله أولي الكرم والجود هذا وأنه وصلنا مكتوب من طرف أخينا وصفينا في الله ولي الله الشيخ سيدي محمد بن عبد الباري عليكم منا جميل السلام ومن جهة ما أردتم منا أن نؤديه لكم من الشهادة فيما علمناه من أحوال الشيخ سيدي أحمد بن عليوه المتسغانمي فإن غاية ما يكون عليه الجواب في هاته النازلة أن نبسط لكم شيئاً من أطوار حياتي باختصار ومنه يتضح لكم من أمر المسؤول عنه ما يكون فيه الكفاية إن شاء الله.

كنت منذ الصغر أتشوق لأخبار الصالحين ولم يسمعني عنهم حتى ألهمني الله أن نبحث عمن انتهت إليه أسرار التربية من أهل عصرنا وكان من حسن التوفق أن لا نتقيد[2] بطريق إذا لم يكن صاحبها يملك من السر شيئاً أو ملك ولم يستطع أن يملكه غيره لأني كنت لا أميز بين طريق وأخرى بل كل من يوجد لديه هذا الفن فهو بيت القصيد وقد درجت على هذه الحالة حتى ذات يوم ذكر لي عن بعض المشائخ بمدينة بجاية فقصدته وأخذت عليه بعد ما اشترط علي جملة وافية من الأوراد اليومية فالتزمت بذكرها وبعد مدة زمانية أمرني بصيام الدهر وأكل خبز الشعير بالماء فقط فبقيت أيضاً على ذلك إلى أن لقنني الأسماء السبعة المعروفة في الطريقة الخلوتية وبعد أيام قلائل أمرني بالتصدر[3] للإرشاد وما

(1) الموافق 13 فيفري 1924 م.

(2) وهذا لمن يروم الغاية من طريق القوم العارف بما وضعت الطريق من أجله أما المتقيد بالألقاب فلا يحسن في نظره ذلك ولربما براه من الخرق وهو حقيق بأمثاله بما أنه حمل الطريق على محملها ودخل البيوت من غير أبوابها ألهمنا الله والمسلمين آمين.

(3) وهذا من الأغاليط الفادحة التي يرتكبها بعض المشائخ ظناً منه أن من سلك ذلك السبيل بعد الأسماء وما هو من ذلك القبيل حصل على نصيبه من طريق القوم حتى كأن الطريق=

سمعت منه ذلك حتى ارتعدت فرائصي لعلمي أن مقصودي ليس هو هذا وما بلغت منه سوى إشارات منامية لا علم لنا بتأويلها ولما ذكرت له ذلك انتهرني أن لا نعود نذكر مثل هذا أمامه أو أمام الأتباع لئلا يشوش عليهم ذلك وعندما سمعت منه هذا علمت في نفسي يقيناً أن المتبوع ليس من رجال الشأن الذي اتبعناه عليه وحينئذ فارقت هذا الشيخ وصرت نبحث عمن هو بالصحبة أحرى إلى أن من الله علينا بملاقاة هذا الأستاذ الأعظم مولانا أبي العباس الشيخ سيدي أحمد بن مصطفى العلاوة المستغانمي في أواخر عام 1337 بشهر ذي الحجة[1] بواسطة تلميذ من أخص تلاميذه يسمى السيد محمد[2] الشريف الزواوي بعدما ناولني كتاب الأستاذ المسمى بالمنح القدسية ولما نزل الأستاذ رضي الله عنه

= عندهم لا تبنى إلاّ على شبه ذلك ولم يعلم أن جميع الأذكار وما يشاكلها إنما هي مجرد قربات ووسائل أما المقصود فمن وراء ذلك.

(1) الموافق سبتمبر 1919 م.

(2) ابن الحسن الجعفري ولنذكر نبذة من ترجمة هذا الرجل بما له من المزايا فإني قد رأيت من اللازم التنويه بشأنه ليعلم القارىء ما عليه أفراد هاته النسبة وقبل ذلك أقول أن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء من عباده كان فضيلة المشاء إليه قبل قدومه على الأستاذ من أرض القبائل عريقاً في الأمية لا يعرف شيئاً أكثر من العمل البدني مع بعض سور قرآنية كان حصل عليها في صغره فاستأذن الأستاذ في المكث عنده بالزاوية بقصد التجريد فأذن له فقام بسقي الماء للفقراء نهاراً والاشتغال بذكر الاسم الأعظم ليلاً منفرداً إلى أن أخذت مرآة باطنه في الصفاء وكان من أحسن الفقراء معاشرة غير أنه يرى أبعد من أن يتصدر مثله للإرشاد وبعدما مرت عليه الأعوام بالزاوية أخبر الأستاذ ذات يوم أنه رأى في المنام كأنه وجد صندوقاً وعندما فتحه خرج منه إنسان وإذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فالتفت إليه قائلاً فضحتني فضحك الله بالنور الذي لا يطفأ وبعد ما قصها على الأستاذ أحدثت فيه تأثيراً وعند ذلك قال له اذهب لوطنك وارشد الناس بما تعلم أنه صواب وبما علمك الله وإني ما أراك إلاّ مؤيداً منصوراً فيما تدعو إليه فخرج في ذلك الحين من الزاوية وكان كلما مر على قبيلة من القبائل ودعا أهلها للانتساب والرجوع إلى الله إلاّ وانقادوا إلى الله ذكراناً وأناثاً وهو السبب الوحيد في نشر النسبة العلاوية في أرض القبائل وقد عمل بإرشاده علماء أجلة وإني رأيتهم إلى الآن يعترفون بالجميل ومنهم فضيلة الكاتب المشار إليه ومن خصال هذا ارجل التي هي أحرى بالذكر أنه السبب الوحيد في فتح زاوية بمدينة باريس مع رفيق له يدعى السيد الأخضر بن عمروش وهذا ما تأتي لي ذكره من ترجمة هذا الرجل الجليل.

بعرشنا جددنا عليه العهد بعدما سألني عن حالي فأخبرته بجميع ما كنت عليه فقال لي أن عملك هذا كله يضاعف لك إن شاء الله لأنك قصدت به وجه رب العالمين وبعد ذلك لقنني الذكر الخاص بكيفيته المعروفة عند أهله وأجاز لي أن أذكره أينما تيسر لي خلوة أو جلوة ومكث ببلدنا ثلاثة عشر يوماً فدخل على يده في طريقه نحو ألفين بين رجال ونساء وشبان وبعدما رجع لبلده رضي الله عنه قصدته فأمرني أن أدخل الخلوة فمكثت فيها ستة أيام وكان منها ما كنت أترجاه من قبل من جهة التشرف على ما كان عليه أكابر القوم رضوان الله عليهم فحمدت الله على هذه النعمة وهكذا حصل عليها الجم الغفير من أهل قطرنا الزواوي مما يزيد على الستة[1] آلاف نسمة زيادة على من بقي مقتصراً على عهد التبرك ولم يطلب الزيادة لله وإلى الآن لا زال الناس يدخلون هاته الطريقة أفواجاً أفواجاً وعدد المتصدرين للإرشاد من أخواننا لا يحصى[2] كثرة ومذهب الشيخ أن لا يتصدر أحد بعد تصفية باطنه وتنوير بصيرته وإلا فلا يأذن له الأستاذ في ذلك (وهنا التفت فضيلة الكاتب إلى جماعة المغرضين ونصحهم أن لا يتمادوا على ما كانوا توهموه في هاته الطائفة حيث اتضح لديهم أنها على خلاف ذلك أورث الله الناصحين خيراً والمنصوحين عملاً ثم قال) والسلام من صديقكم عبد الرحمن بن الحسن أبي عزيز الجعفري كان الله له آمين.

وأصبح الوالد من كبار مقاديم الطريقة العليوية وأسس لنفسه زاوية بالجعافرة، ورتب فيها الطلبة لحفظ القرآن الكريم وتعلم العلوم العربية الدينية والأدبية، ومن بين الشيوخ الذين رتبهم لتعليم العلوم العربية: الشيخ علي

(1) يعني بذلك من حقق ما أسست الطريقة من أجله ولا شيء أكثر من معرفة الله على طريق الخصوص مع اكتساب الأخلاق الكريمة والسجايا السليمة والعمل بالسنن المأثورة. وكفى بها نعمة يشعر بها من حصل ولو على الأقل منها ولهذا ترى أفراد هاته الطائفة يبالغون في الاعتراف بفضلها عليهم أما من لا خبرة له بما حصلوا عليه فيها فلا يرى ذلك منهم في الغالب إلاّ من طريق التهافت على غير طائل.

(2) لانتشارهم في الأقطار النائية والقريبة وقل أن تجد قرية أو دشرة خالية من أفراد هاته النسبة ونعني بهم المرشدين المتصدرين ولولا خشية الإطالة لذكرت من أسمائهم ما يفوق حد الكثرة ممن عرفناه وأحرى من لم نعرفه منهم.

البوديلمي المسيلي، ولتعليم القرآن: الشيخ رمضان المعضادي، والشيخ محمد أُويَحْيى من آيت براهم، والشيخ الزين بلحداد من بوفنزار، والشيخ أحمد الورثراني، والشيخ لحلو المزيتي. والشيخ عمر بو حفص.

وقد كان عدد الطلبة المرتبين يقرب من الخمسين يأكلون ويشربون طول العام وكان الوالد رحمه الله يذهب خلال فصل الحصاد إلى دواوير الأعراش، وبلاد المعاضيد ليجمع أعشار الزكاة حتى يضمن مؤونة هؤلاء التلاميذ والطلبة، ويوفر احتياجاتهم السنوية من الأغذية والمعاش.

وإلى جانب هذا كان الوالد الحاج عبد الرحمن بوعزيز يتولى وظيفة الإفتاء والفصل في مشاكل الناس نظراً لتضلعه في مادة الفقه الإسلامي، ومادة الفرائض، يحضرون إليه من سائر القرى والأعراش ليحكم بينهم بما أنزل الله من الكتاب والسنة، ويريحهم من الالتجاء للمحاكم الفرنسية التي تكلفهم ضياع أوقاتهم، وأموالهم، وأعراضهم. وطيلة حياة الوالد منذ أن أصبحت أُدرك، لم يخل أسبوع واحد من حضور وفد أو مجموعة وفود ليفصل فيما بينهم في القضايا والمشاكل القائمة، والطارئة، فيبدأ بعرض الصلح أولاً ثم إن رفضوا يقدم لهم حكم الله حسب القرآن، والسنة، وأحكام الشريعة الإسلامية. وفي معظم الأحيان والأوقات ينجح في الفصل بين المتخاصمين ويعودون لبلدانهم فرحين مسرورين. وفي بعض الأحيان يأخذونه إلى عين المكان للفصل، ونظراً لهذا النجاح في هذا الميدان كان قائد الدوار السيد زين العابدين بن حالة يحيل عليه الكثير من المتخاصمين ويحثهم على الأخذ بحكم الشرع، وعدم الالتجاء إلى المحاكم الفرنسية.

كان الوالد الحاج عبد الرحمن، رحمه الله، يكثر من قراءة القرآن الكريم، ويحفظه عن ظهر قلب، بالروايات السبع والعشر، وعنه حفظته أنا وختمت فيه أربع سلكات، الأخيرة منها بالروايات السبع مما سهل علي تجويده في جامع الزيتونة بتونس، حتى حصلت على السنة السادسة منه، وبقيت لي سنة واحدة لأحصل على شهادة التحصيل في القراءات.

وقد تصدى لتعليم القرآن والعلوم العربية في مسقط الرأس: أمزرراق، سنوات طويلة منذ عام 1939 إلى وفاته عام 1955 م. وكل سكان القرية ذكروا وإناثاً درسوا عليه، ويعتبرون تلاميذ له الكبار والصغار، وكان ينام بعد صلاة العشاء ويقوم مبكراً في الثلث الأخير من الليل ليصلي النافلة، ويقرأ القرآن الكريم، وكنت أنا معه في غرفته التي هي بمثابة جامع وزاوية، ويوقظني معه لأحفظ اللوحة، وأمحيها وأكتبها ولا تلو ما لا يقل عن خمسة عشر حزباً قبل صلا الصبح. وبعد الصلاة يشرب القهوة ويعود للنوم قليلاً، أو يذهب إلى المسجد لتحفيظ الأطفال القرآن الكريم، وكنت أساعده أنا وأخي الكبير النذير، في تعليم الأطفال، وغالباً ما يتكل علينا يعد أن أتقنا حفظه أنا وأخي بالتناوب أحياناً وبالتعاون أحياناً أخرى عندما نعود إلى القرية أنا من عنّابة أو تونس حيث كنت أدرس، وأخي من وهران حيث يمارس التجارة.

وإلى جانب الجهد العلمي هذا يتولى الوالد رعاية البستان الذي نملكه في القرية فيشرف على خدمته، من تقليب الأرض، وغرس الخضر، والأشجار المثمرة، وجمع الغلال والثمار، وتقليم الأشجار، والريّ طبعاً، بمساعدة عامل أجير في معظم الأحيان، ومساعدتنا نحن الأبناء، وهذا البستان مجاور للقرية، والمنزل ولا يبعد عنه إلا بضعة أمتار ويقع تحت الماء ويعتمد على الري والسقي، ومعظم أشجاره من التين والكروم والرمان والخوخ، والإجاص، والمشمش، وفي شهر رمضان يصلي بالناس التراويح، وأساعده أنا وعندما ختمته أصبحت أنا الذي أصلي بالناس التراويح ويصلي إلى جانبي ليساعدني فيما إذا عثرت، وهو أمر نادراً ما يحدث، لأني كنت أحفظه عن ظهر قلب وأعرف بالتفصيل رسمه وسوره، وآياته.

وقد استفاد كثيراً من الكتب العلمية والأدبية والدينية التي كنت أقتنيها وأحضرها من تونس، فكان يقرأها كلها، بشغف ومن ضمنها كتب الرافعي، والعقاد، والمنفلوطي وينبسط كثيراً عندما يطالع مجلة الأزهر التي تزخر بالدراسات الإسلامية والتاريخية وهو الأمر الذي جعله يشجعني على مواصلة

الدراسة ومتابعتها رغم الضائقة الاقتصادية التي كانت تعانيها العائلة، إذ ليس لنا أرض أو مورد آخر ما عدا الأجرة السنوية التي يتقاضاها الوالد عن التعليم في القرية، والمداخل الهزيلة التي يحصل عليها الأخ النذير من تجارته في وهران.

وإلى جانب القرآن الكريم الذي حفظته عليه، حفظني كذلك عدداً من المتون مثل: ابن عاشر، والأجرومية، وألفية ابن مالك، والشاطبية، وأتقنت عليه دراسة شرح ابن عاشر في الفقه، وشرح الأجرومية في النحو، ومبادىء من قطر الندى قبل أن ألتحق بعنابة وتونس للدراسة، كما أتقنت عليه الروايات السبع في تجويد القرآن، والمتون المتعلقة بضبط رسم القرآن الكريم.

الطلبة الذين تخرجوا على يديه

ومن جملة الطلبة الذين درسوا عليه، وأصبحوا شيوخاً في عدد من قرى ومداشر المنطقة:

الشيخ عبدالله أوشَرْعَ اللَّهْ من قرية ثاوريريث نتيزى عيذل.

الشيخ الشريف حموده عديس، من قرية إغيل أورير.

الشيخ علي أُوحَالَّهْ من قرية أولاد حالة.

الشيخ جعفر أُو الطَّيْبْ، وأخوه الشيخ عباس أُو الطَّيْبْ من أولاد سيدي يذير.

الشيخ يحيى أُولَفْقِي من ثاوريرث نتيزى عيدل.

الشيخ محمد أكلي أو حموده زبوري من بوفنزار بالجعافرة.

الشيخ لحلو أو يحيى من أمزرراق.

الشيخ رابح بسعى من أورير الجعافرة.

الشيخ محمد الحاج عمارة من أولاد عياض.

الشيخ الطيب بومياسة من أمزرراق، وهو ضرير حفظ عليه القرآن حفظاً جيداً وما يزال حتى اليوم يؤذن ويصلي في مسجد القرية.

الشيخ أحمد الورثلاني الذي عاش لديه سنوات طويلة، وحفظ القرآن وأصبح يعلم غيره في زاويته، ولم يغادره إلا مع بداية الحرب العالمية الثانية.

الشيخ الطيب أو عشاش من قرية أقلقال.

الشيخ المختار بن عمرو أوبعزيز من أعشابو، وهو ابن العم.
الشيخ الطاهر وعَمْرَوْ من أمزرراق.
الشيخ جعفر أُوبعزيز من أمزرراق، وهو ابن العم الشيخ محند.
الشيخ الحسن دُوعُو، من أولاد سيدي يذير وآخرون كثيرون.

موقف السلطات الاستعمارية من الشيخ الوالد عبد الرحمن بوعزيز

ونظراً لجهود الشيخ الوالد المكثفة، والمتواصلة، في ميادين التربية والتعّليم، والتثقيف، والتوعية الدينية، والإصلاح الاجتماعي بين مختلف شرائح سكان المنطقة. شددت السلطات الاستعمارية، المراقبة عليه، وعلى زواره المترددين عليه من الإخوان، ومن المريدين، وطلبة العلم. وحفاظ القرآن الكريم، وأصحاب القضايا الذين يرجون منه الفصل فيها، دون اللجوء إلى المحاكم الفرنسية التي كانت تنهكهم مادياً، وتطيل أجل الفصل فيها عن قصد.

وقد بدأت هذه المراقبة تشتد ضده منذ نهاية الحرب العالمية الأولى كما توضح ذلك الرسالة التالية التي وجهها عامل عمالة قسنطينة الفرنسي إلى المقيم العام الفرنسي بتونس يوم 11 جوان 1921 م. وحدثه فيها عن نشاط الشيخ الوالد. وزميله الشيخ الصديق بو فليج في بلدية البيبان المختلطة وأكد له أن هذا النشاط ديني وسياسي ضدّ الفرنسيين.

ولهذا قصة لا بد من إيرادها قبل إيراد نص الرسالة نفسها. ففي عام 1993 أرسل إلينا الأستاذ التونسي الشاب والباحث التليلي العجيلي مقالاً حول نشاط أتباع الطريقة العليوية بتونس، نشره في مجلة إبلا. وعندما قرأته وجدته يذكر اسم والدي الحاج عبد الرحمن بوعزيز ضمن هؤلاء من خلال رسائل اطلع عليها بأرشيف الوزارة الأولى بتونس. فراسلته طالباً منه التفضل بتزويدي بنسخ من تلك الرسائل وأجاب الرغبة شاكراً. ومما جاء في رسالة العامل: أن المقدمين المحليين: بن بعزيز عبد الرحمان، وبوفليح الصديق، في بلدية البيبان

المختلطة يقومان بنشاط ديني وسياسي ضد الفرنسيين، وعبّر عن لقب والدي ببن بعزيز وهو خطأ من المخبرين الذين قدموا المعلومات للمعامل.

ولأهمية الرسالة في توضيح بعض جوانب القضية نورد الترجمة الكاملة لها بعد إيراد نص رسالة الباحث التونسي الذي نشكره غاية الشكر لأنه لولاه ما أمكن لنا الاطلاع على هذه الرسالة، واكتشاف هذه المعلومات.

رسالة الأستاذ التليلي العجيلي

تونس في 1993/9/10.

حضرة الأستاذ الجليل الدكتور يحيى بوعزيز إليك مني تحية ملؤها الإكبار والتقدير على سعة إطلاعك ودقة بحثك، أما بعد فقد أسرتني ملاحظاتك كثيراً خاصة وأني ساهمت، دون شعور مني، في الإتيان على ذكر والدك دون علم مني، فسررت بذلك خاصة وأن المرحوم الشيخ بوعزيز عبد الرحمن، هو والد من أكنّ له كل التقدير والاحترام لما بذله ويبذله من مجهود معترف به، ومشهود له على المستويين العربي والدولي، وتعبيراً مني على غبطتي تجاه هذا الاكتشاف الذي ما كنت لأتفطن إليه لولا ما آمنت به من تبادل بحثي ومعرفي مع من تيقنت من جديتهم وإسهامهم في إضاءة جوانب عديدة ومتعددة من تاريخ شعوبنا وبلداننا. ها أنا أبادر وبكل سرور، إلى مدك بكل الوثائق التي طلبتها مني والمتوفرة في أرشيفنا الوطني في سلسلة من فيهم «Les Gens Suspects» والمتعلقة بدعاة الطريقة العليوية.

إن هذا الاكتشاف الذي جاء كنتيجة توجت تبادلنا المعرفي المحتشم تدعونني بكل أسرار إلى مواصلة الاستفادة منك كما سبق أن أكدت لك كذلك المرار العديدة ذلك أني أنوي، بإذن الله خلال هذه السنة، أن أمدك ببعض المعطيات والإشكاليات التي لها علاقة وطيدة بموضوع أطروحتي حول المغرب العربي راجياً منك أن تمدني في حدود ما تسمح به الظروف، بكل ما يساعدني على التقدم في البحث وإنجازه وفق الشكل والمضمون. الذي يكفل له أهميته

على مستوى البلدان الثلاثة حتى أكون قد أسهمت من جانبي في دعم كتابة التاريخ المشترك لمغربنا للحد نسبياً من تكريسي القطرية الغالبة على الدراسات التاريخية المعاصرة لذلك، فإن أعدك بأن أراسلك هذه السنة بانتظام أكثر ليقيني بأني استفدت إلى أبعد حدّ من جل ما كتبته وبالتالي فإني مدين إليك في تكويني حول تاريخ الجزائر الذي أدرسه منذ 6 سنوات لطلبة السنة الثانية تاريخ.

فحتى نلتقي ثانية، أرجو إليك أطيب الأوقات ودوام الصحة والعافية والسلام.

أخوك العجيلي

رسالة عامل عمالة قسنطينة

إلى المقيم العالم الفرنسي بتونس

عمالة قسنطينة — الجمهورية الفرنسية

مكتب الشؤون الأهلية[1]

رقم 15737

الموضوع: قضية المسمى بغدادي من الطريقة الرحمانية ـ الشاذلية.

خاص، سري، يوم 11 جوان 1921.

عامل عمالة قسنطينة إلى السيد المقيم العام الفرنسي بتونس.

لـي الشرف أن أنهي إلى عملكم بأن مركز نشاط ديني إسلامي قوي ظهر في عمالتي، داخل بلدية البيبان المختلطة. وهذه الدعاية الدينية يقودها المقدمان المحليان. بن بعزيز عبد الرحمن، وبوفليح الصديق. وكلاهما من البلديـة المذكورة. وهما يخضعان لأوامر الشيخ بن عليوة بمستغانم. هذا الشيخ (بن عليوة) الذي يتبع للطريقة الشاذلية ولكنه تجاوزها في الحقيقة ليؤسس لنفسه طريقة خاصة به مستقلة عن الأولى. وهيأ لنفسه عونين آخرين للدعاية لهما تأثير كبير، وهما الأخوان: بغدادي الصالح بن عبد العزيز، وبغدادي مولاي

(1) Les Archives Natiionales de Tunisie. E550-30/ 15-2494.

الحسن بن عبد العزيز، وكلاهما من أصل تلمساني.

ـ الأول منهما رجل ذو ثقافة ومعرفة عالمية، وبهذا الوصف لعب دوراً كبيراً وتأثيراً قوياً على زملائه في الطريقة.

أما مولاي الحسن، فهو طالب، وليس له وصف آخر، يسكن بمدينة مستغانم، ومنذ شهرين غادرها، وإبلغ إليّ خبر مروره حوالي آخر الشهر الماضي، بمنطقة برج بوعريريج والبيبان، أين حدث التشويش، ثم اختفى من جديد، وحسب المعلومات التي وصلت إليّ، فإنه توجه إلى تونس، والهدف من رحلته هذه، هو الاتفاق مع صاحب مطبعة في تلك المدينة لطبع الكتب الدينية لشيخه (ابن عليوة).

وأيضاً الهدف من هذا التبشير الديني من طرف الشخصيات التي سميتها أعلى، ليس إلا تجنيد المريدين، والأتباع، وغرس الطريقة الرحمانية والشاذلية فقط حتى هذه الساعة في مسابقة المنطقة.

حالياً ثبت بالتأكيد، أن التشويش الذي حدث في منطقة البيبان من طرف ابن بعزيز عبد الرحمن، وبوفليح الصديق، له مظهر واضح، سياسي، وضد الفرنسيين.

من جهة أخرى رحلة بغدادي مولاي الحسن نحو تونس بصفة سرية لسنا مرتاحين لها، ويظهر لي في هذه الحالة، أنه لا بد من اتخاذ الاحتياطات والاحتراس من طرف السلطات العامة، واليقظة التامة.

لهذه الأغراض، سيدي المقيم العام، التي أطلعتكم عليها بالنسبة لهذه الشخصيات، الدينية، يرجى منكم وجوب القيام ببحث من أجل العثور على أثر للمسمى بغدادي مولاي حسن، وجمع المعلومات الكاملة، والممكنة حول هدف سفره إلى تونس، وذهابه وإيابه ولقاءاته، واهتمامه وأخيراً إذا قفل راجعاً إلى أين اتجاهه.

العامل

(إمضاء غير واضح)

وللتوضيح أكثر فإن الشيخ الصديق بوفليح عالم، وفقيه، فاضل، من قرية اقلقال بدوار إلماين في بني عيدل، زاول التعليم والتدريس في عدة زوايا المنطقة، مثل زاوية أمالو، وزاوية مزيتة، وفي عدة مساجد قرى المنطقة قبل أن يتحول إلى العمل الفلاحي، حيث اشترى أرضاً ببلدة المشرع التابعة لبلدية البيبان المختلطة قرب مجانة. وهو صديق حميم للشيخ الوالد. أدركته وكان يزورنا مرة على مرة إلى منزلنا بالجعافرة، ثم في برج بو عريريج عندما انتقلنا إليها قبيل الحرب العالمية، الثانية، وقد توفي في بداية هذه الحرب وخلف وراءه أربعة أولاد. منهم محمد السعيد الذي زوجت لابنه سالم بوفليح ابنتي الطبيبة زكية بوعزيز في صيف عام 1993، وهو محامي في مدينة برج بوعريريج وأستاذ للقانون الجنائي في جامعة سطيف.

ـ أما المقدمان، أو العونان التلمسانيان: فهما الشيخ الحاج الصالح بن عبد العزيز، مقدم الطريقة العليوية بمدينة وهران، وهو رجل عالم وفاضل بما في الكلمة من معنى، مظهراً ومخبراً، تربطه بالوالد صداقة متينة ويتزاوران دائماً، وكان كثير التجوال والسياحة، له أخلاق عالية جداً. وورع إلى أبعد حدّ، وقد ضيفني بمنزله في وهران، عدة مرات، ويبدو على محياه الوقار وعندما كنت أدرس بتونس كان يحضر إلى هناك وألتقي به خلال عقد الخمسينات وقد توفي خلال عقد السبعينات بوهران، وحضرنا جنازته، وابنه شقيقه بغدادي مولاي الحسن بكلمة مؤثرة وبليغة كانت في مستوى عظمة الرجل، ومكانته، وماضيه.

وهذا الشقيق بغدادي مولاي الحسن تولى الكتابة للشيخ بن عليوة فس مستغانم عدة سنوات، ولربما حتى توفي عام 1934، وافترقت الجماعة فيما بينها إلى فريقين: فهاجر إلى الشام واستوطن دمشق ولم يعد إلى الوطن إلا بعد استعادة الاستقلال الوطني عام 1962 فوظفته وزارة الشؤون الدينية إماماً وخطيباً في مسجد بعين الطاية قرب مدينة الجزائر، والتقيت به في ملتقى الفكر الإسلامي بمدينة تلمسان خلال صيف 1975، وحدثني عن علاقاته الطيبة والحسنة بوالدي وزياراته له في الجعافرة خلال عقد الثلاثينات، وهو خطيب

مصقع، وذو ثقافة متينة وله لحن جميل عندما يؤذن، ويتلو القرآن الكريم، ويغني بأشعار المتصوفين توفي في عقد الثمانينات بالجزائر العاصمة.

والمراقبة التي بدأتها الإدارة الاستعمارية على الشيخ الوالد منذ نهاية الحرب العالمية الأولى لم تنته، بل تواصلت ضده. فقد فرضت عليه أن يقدم نفسه لمكتب المتصرف المدني الفرنسي في مجانة مقر البلدية المختلطة كل عشرين يوماً، ليسأل ويستفسر، ويجيب عن أسئلة روتينية، ومرة على مرة تداهم الشرطة ورجال الدرك منزلنا للتفتيش، ويسألون حتى عن السبورة إذا كنا نستعملها في أنشطتنا الثقافية التعليمية، وشهدت هذا بنفسي في حدود عام 1939 يوم أن كنا نسكن في مدينة برج بوعريريج لفترة قليلة، حيث داهمت الشرطة منزلنا وسألت عن السبورة التي أخفيناها قبل حضورهم. وكان الوالد خارج المنزل بالمدينة فجاء مسرعاً وعلم أن هناك من وشى بنا.

وعندما التحقت أنا بتونس للدراسة أصبح يسأل عن نشاطي، وعندما أعود إلى المنزل في عطلة الصيف، أدعى للاستجواب وتوضع أمامي عراقيل ضد الرجوع. وللتاريخ أذكر أن السيد زين العابدين بن حالة قائد الدوار، كان يتدخل ليذلل لي العقبات لأنه كان يقدر الوالد ويحترمه كثيراً، وكان رجلاً مثقفاً كذلك، يقدر الثقافة ورجالها، وعندما نشرت مقالاً في جريدة المنار عام 1951، في إطار الاستفتاء الذي طرحته الحركة الوطنية حول إمكانية توحيد التيارات السياسية لمواجهة الاستعمار، ثم استدعاء الوالد للاستفسار والاستجواب وطلب مني السيد زين العابدين إحضار نسخة من المنار ليطلع على الموضوع فأرسلته له. ومع أن الوالد يعرف اشتراكي في حزب حركة الانتصار لكنه لم يعارض ولم يقل لي في يوم من الأيام لماذا بل شجعني، وكان يتوق ليوم تتحرر فيه البلاد، وأذكر يوماً خطبت فيه صباح العيد على جمهور سكان القرية بعد صلاة العيد. وخطب معي زميل آخر كان يدرس معي بتونس، هو الأخ محمد بن بلقاسم، وكنت فصيحاً، ففرح واغتبط. كما فرح كل سكان القرية الذين لم يعتادوا على مثل تلك المهرجانات، والخطب وتأكد الوالد من نجاحي وتفوقي في الدراسة وعندما عدنا إلى المنزل وأراد أخي الكبير أن

يعاتبني على اتباع سبيل الحركة الوطنية، ردّ عليه الوالد قائلاً: دعه فهذا عصره، ولا يمكن أن نقاوم رياح التاريخ إنه يقرأ بتونس، ويتصل بالناس، ويقرأ الكتب والمجلات، ويعرف التيارات السياسية، ويدرك الصالح من الطالح، ولا بد من أن يخوض مع الخائضين.

وكم كنت مسروراً بهذا الجواب، وهذا الموقف، لأن والدي صوفي النزعة والمشرب، وكنت أتحذر من إبداء انتمائي السياسي أمامه، وجاء هذا الموقف مناسبة لأخرج من الصمت، وأصارحه بانتمائي لحركة الانتصار للحريات الديمقراطية، وعضويتي في جمعية الطلبة الجزائريين التابعة لها بتونس فرحب، وفرح، ولم يشر علي حتى بفكرة، الاعتدال والتحذر من السياسية ما عدا مرة واحدة أو اثنتين في إحدى رسائله إلي بتونس فيما بعد عندما اندلعت انتفاضة تونس، وقام الطلبة الزيتونيون بإضرابهم العام المشهور.

وبكل تأكيد فإن الكتب، والنشرات والمطبوعات، التي كنت أحضرها معي من عنابة، وتونس، أو أرسلها إليه، ويقرؤها جميعاً وبكل شغف، كانت إحدى العوامل التي أخرجته من الدائرة الضيقة للطرقيين، وجعلته يتفتح ويتطلع إلى هذه المجالات السياسية ويميل إليها، ويعطف عليها، ويتفهم موقفي كذلك، وأتذكر أن كل جرائد تونس لعام 1947 وما بعدها التي عايشت قضية فلسطين أحضرتها له وقرأها وعلى رأسها: الأسبوع، والزهرة، والنهضة، ومكنه ذلك من أن يكون على دراية تامة بأوضاع المشرق العربي، والقضية الفلسطينية، وقد أنجرّ على هذا تشدّد السلطات الفرنسية في مراقبة تنقلاتي وسفراتي بين الجزائر وتونس خاصة في نقط الحدود، وعلى الخصوص نقطة الببوش بعين دراهم عبر الحافلة حيث أستنطق وتفتش حقائبي وكتبي وأوراقي، وكثيراً ما هددت بالعقاب عندما لا أجيب عن الأسئلة بصفة مباشرة، وأتذكر مرة أن أحد حراس الحدود سألني عن قريتي، فقدمت له اسم الدوار بدلها، وبطاقة تعريفي بيده، فاغتاظ وهددني بالإيقاف، ولكن حارساً آخر تدخل وقال له بأنه لم يفهم مقصودك.

كان الوالد رحمه الله متشدداً في إقامة الصلاة في وقتها مهما تكن الظروف

فحيثما وجده الوقت يتوقف ليؤديها ماشياً، أو راكباً، مقيماً أو مسافراً، حتى أصبح مضرب المثل في كل المنطقة، وأتذكر مرة أننا كنا مسافرين في قطار، ففرش زربية وصلى داخل عربة القطار وهو يجري، ومرة أخرى كنا ننتظر القطار في مدينة سطيف وحضر وقت العصر فخرج إلى الساحة المجاورة وصلى قبل أن يركب.

ويحرص دائماً أن يؤدي الصلاة بالوضوء، ولا يستعمل التيمم على الحجر أو التراب إلاّ نادراً، ولم أره طول حياتي التجأ إلى التيمم إلاّ مرة واحدة.

ذهب إلى الحج براً عن طريق الحافلة عام 1953، بواسطة مؤسسة تابعة لأحد المهاجرين بفرنسا كان هو وأبوه صديقين له، ومن أبناء المنطقة في قرية أولاد سيدي يدير يدعى: علي أُوبَعْزِيزْ، عاشر فرنسا سنوات طويلة، وتزوج أوروبية ولكنه رجل متدين للغاية مظهراً ومخبراً، وبقي في هذه الرحلة أكثر من شهرين وفي فصل الصيف فأثرت فيه الحرارة، والمياه المثلجة، فعاد مريضاً ولم يتخل عنه المرض حتى أخذه إلى ربه يوم 9 فيفري 1955 (16 جمادى الثاني 1374 هـ)، ودفن بضريح جدنا الشيخ الحسين، وإلى جانبه في منزلنا بالقرية وحضر جنازه جم غفير من سكان الأعراش ضاقت بهم القرية، ولم أكن حاضراً لأني كنت بتونس، وحضرت بعد وفاته بحوالي عشرين يوماً وكانت بوادر الثورة بدأت تصل إلى المنطقة ورجا مني سكان القرية أن أصلي التراويح بهم فلبيت وحضرت من تونس بعد أن عدت إليها وقضينا شهراً ممتعاً أحكما خلاله تنظيم خلايا الثورة، وتدعيم الاتصالات مع المسؤولين لأن الأمور بدأت تتضح أكثر، وكانت إذاعة طانجة في هذه الفترة تذيع أحداث الثورة بالتفصيل على الساعة العاشرة والنصف ليلاً فتتابعها باستمرار. وأشرح للمصلين ما غمض عليهم ولم يفهموه. ويشاركنا في هذا النشاط عدد من سكان القرى المجاورة للتمتع بالجو الديني والسياسي الحيوي الجديد.

المدخل إلى الوثائق

يشتمل هذا الموضوع على الوثائق التسعة عشر التالية:

أولاً: شهادة شرعية تثبت شرف نسب الأخوين الشقيقين العالمين والفقيهين: أبي عمران موسى، وأبي عبدالله محمد بن عبدالله، وقد كتبت هذه الشهادة على جلد حيوان، طوله حوالي أربعون صانتيماً وعرضه حوالي ثلاثون صانتيماً. وشهد على صحة هذا النسب عشر أشخاص من المنطقة. وثناهم بعد ذلك وصادق عليها قاضي الجماعة بمحروسة الجزائر، وشهد على صحتها وثبوتها، وذلك عن طريق أمهم أم السعد وجدتهما عائشة بنت الشيخ أبي عثمان سعيد بن حجاج الشريف المزودي، وينتهي نسبها إلى الرسول محمد بن عبدالله عليه الصلاة والسلام. وتاريخ هذه الشهادة أواخر جمادى الأولى عام 986 هـ الموافق لشهر أوت 1578م[1]. وهذان الشيخان الشقيقان مدفونان في قرية أمزرراق بعرش إلماين في بني عيد أَوْيَغْدَلْ. وكل واحد منهما بنيت عليه قبة وهي قريتنا ومسقط رأس آبائنا وأجدادنا. وتدْعى: أَمَزْرَرَاقْ.

ومن العالم الفاضل أبي عبدالله محمد بن عبدالله أحد الشقيقين ينحدر معظم سكان قرية أمزرراق ومنهم فرقة البعازيز، التي تنحدر منها عائلة أولاد بوعزيز التي اتخذناها نموذجاً في هذه الدراسة لتبيان دور العائلات المثقفة في نشر الثقافة والتعليم بالأرياف الجزائرية في القرن الماضي والحالي.

---

(1) تسلمت هذه الشجرة وكذلك رسائل وعقود هذه الدراسة من ابن العم بوعزيز الصالح بن المدني في مدينة برج بوعريريج أوائل شهر سبتمبر 1990 م خلال زيارتي لها.

ثانياً: عقد شراء بحيرة ثاله عياط من بني عامر لصالح أجدادنا الأربعة بلقاسم، والعربي، والصالح، ومحمد، بجوار قرية أمزرراق مسقط الرأس.

ثالثاً: وثيقة الجد الشيخ الحسن بوعزيز، وفيهما قسمان:

القسم الأعلى: وهو عبارة عن نص منقول من كتاب المسالك للبكري حول وجود مدينتين إحداهما بالمشرق، والأخرى بالمغرب، مساحة كل منهما إثنا عشر ألف فرسخ. وأبواب كل منهما عشرة آلاف، يحرس كل باب في كل ليلة عشرة آلاف رجل، عمر كل واحد منهم ستة آلاف فما دون ولا يلحق دور أحد منهم إلى يوم القيامة.

ومر جبريل برسول الله عليهما فآمن سكانهما به. ودعاهم إلى الله فأجابوه، وفي نهاية هذا القسم وردت العبارة التالية: من خط عمنا العربي بن مصباح نقله من كنوز الأسرار. اهـ.

القسم السفلي: سجل فيه الجد بخط يده ميلاد ابن له، وميلاد ابن لعمه العربي بن عبد العزيز. أما ابنه هو فسماه عبد العزيز، وذكر أنه ولد «عام 1288 ثمانية وثمانين ومائتين وألف وهو عام الجهاد ومات فيه الأمير باش آغة» ويعني به الباشاغا محمد المقراني زعيم ثورة 1871 الذي استشهد يوم 5 ماي 1871 م. وأما ابن عمه فذكر أنه سماه عبد القادر، وولد عام 1293 هـ وهو ما يوافق عام 1877 م وسجل في آخر الوثيقة قوله: «كاتبه، كاتب الأعلى تاب الله عنه آمين» وقد ذكر اسمه في التسجيل عندما قال: «ولد ولـد لكاتبه الحسن بن بلقاسم بن عبد العزيز اسمه عبد العزيز».

رابعاً: عقد بيع وشراء لعقار بقرية أمزرراق يحمل اسم: أحريق أَوَّادًا كتبه الجد الشيخ الحسن بوعزيز بين المشتري أَعْرَابْ الزَّوَاوِي، والبائعين وهم الأخوة: «سي الطيب بن يحيى وشيقه (كذا)، سي مقران، وسي الشريف، مسكنهم جميعاً في القرية المذكورة». وقد تمت كتابة هذا العقد بتاريخ محرم الحرام عام 1313 الموافق لشهر جوان وجويلية 1895. وشهد على هذا العقد كل من بعازّى أرزقي بن الصديق، وبن بلقاسم الطيب بن العربي وبن بلقاسم

مولود بن السعيد، والكاتب بوعزيز الحسن بن بلقاسم. وحدد فيه سعر الشراء، وقال: (ومبلغ ثمن المبيع ستمائة فرنكاً وخمسون من النعت).

خامساً: عقد بيع وشراء لعقار كذلك هو ملك لوالد محرر العقد وعمه في نفس القرية أمزرراق يحمل اسم: تارقه يَغْرَاساً. كتبه الجد الشيخ الحسن بوعزيز بين المشترين لخضر بن بلقاسم بن السعيد، والبائعين «سي بلقاسم بن عبد العزيز، وشقيقه سي الصالح المزرراقيين نسباً وديارا». وسعر البيع أربعمائة فرنك وأربعون من النعت. وتم تحرير هذا العقد بتاريخ 15 جمادي الأولى عام 1313 هـ الموافق ليوم 3 نوفمبر 1895 م. وشهد عليه كل من أعراب الزواوي، ومحمد بن مياسة، ومحمد أرزقي بن عبد العزيز، والصالح بن موسى، والكاتب الحسن ابن عبد العزيز. ومعلوم أن البائعين للعقار هما والد الكاتب (الجد) بلقاسم، وعمه الصالح.

سادساً: رسالة الجد الشيخ الحسن بوعزيز إلى الشيخ السعيد بن محمد البشير بن أحمد الزين، حدد له في أعلاها أسعار خمسة كتب على شكل قائمة: ثم أخبره بأنه اتصل فعلاً برسالتيه: الأولى بتاريخ 2 جمادي الثانية، والثانية بتاريخ 7 من جمادي الثانية كذلك لعام 1314 هـ، وفرح بهما وبما جاء فيهما، ومضمونهما الرغبة في معرفة أسعار بعض الكتب. وقد أجابه عن البعض وحدد أسعارها في أعلى الرسالة. واعتذر عن الباقي حتى يصله الخبر عن أسعارها وأوضح له أن سعر كتاب ابن حجر ثمنه 10،50 فرنك، وجلبه يتطلب عشرة صوردى، ومع ذلك لوجهه سيحْضره له. وأن كتاب الدسوقي علي خليل لا يعرف سعره. وكتاب الدرة البيضاء لا يوجد بتونس ولكنه رآه مراراً في قسنطينة وصاحبه يطلب فيه ستة فرنكات، وسوف يكاتبه ليخفض فيه بعض الشيء وسيبلغه النتيجة، وذكر له في الرسالة بأن سبب تأخير الرد هو موت ولد بن خاله. وحدد له سوق الخميس مكاناً للقاء، وطلب منه أن يبحث عمن يشتري نسخة من كتاب الخرشي، بسعر 25، ونسخة من متن خليل بسعر 4. وتاريخ هذه الرسالة 11 جمادي الثانية 1314 وهو ما يوافق 17 نوفمبر 1896 م.

سابعاً: رسالة السيد المسعود بن الربيع إلى الجد الشيخ الحسن بوعزيز جواباً له على رسالة سابقة إليه استفسر فيها عن حالة الموسم الفلاحي. فأجابه بقوله: «فترا (كذا) في بعض المواضع (كذا) لا يحصدونها، وبعضها فيها شيء. وهو لا يغني في راية البصر. نعم وأنت الناس قد عرفت أحوالها فالذي يقوم بقدرك، والذي لا يقوم وما كان يعرفك به سي الحسين بن الشيخ العربي. وإذا تعين لك القدوم أخبرني». وطلب منه إذا حضر أن يشتري له الكتب التالية: الشيخ المصري على السنوسية، وفتح الأقفال شرح تحفة الأطفال. ومصحف صغير، وابن الواضح. وطلب منه أن يبلغ السلام إلى الشيخ الهادي عمه (الجد) وأمه (الهادي) صافية، ومحمد بن بلقاسم، والشيخ الصديق بن بلقاسم وطلب منه، ومن هؤلاء جميعاً الدعاء الصالح. واستدرك في الأخير قوله: «ويا سيدي لحسن تخبر سي البشير بن موسى إذا قدم إلى هذه البلاد فلا يقدم إلى جهة أولاد الشيخ فتراهم حالفين فيهما يمين كبير إذا حكموا أحدهما يقدموا به إلى أصحاب الحكم منكر فيهما لأن الدار قد رابت (كذا) لهما الغرابة السفلى وصلحوها (بمبلغ) 12 دورو، والغرابة العلي (كذا) كذلك والسلام». تاريخ الرسالة 16 محرم 1317 وهو ما يوافق 17 ماي 1899 م.

ثامناً: نبذة عن حياة الشيخ المدني بوعزيز بن الصالح بقلم ابنه الصالح التاجر حالياً بمدينة برج بوعريريج.

تاسعاً: نسخة من ورقة الاستدعاء من طرف الشيخ عبد الحميد بن باديس إلى الشيخ المدني بوعزيز عضو جمعية العلماء يدعوه فيها للمشاركة في اجتماع الجمعية السنوي بنادي الترقي يوم 16 جويلية 1934 م.

عاشراً: قصيدة الشيخ المدني بوعزيز التي نظمها في شهر ذي الحجة عام 1360، الموافق لشهر ديسمبر 1941. وموضوعها التنديد بأعمال الاستعمار الفرنسي. والتشهير بها، والاستنكار ضد نفي صديقيه: الحواس بن شناف، والجمعي بلحداد، إلى عين الصفراء وسجنهما هناك، بسبب احتجاجهما على المتصرف المدني لحوز مجانة والبيان الذي صادر الأراضي من أصحابها،

وملكها للباشاغا شيبان بالشرفة قرب تازمالت، وأقبو بحوض واد الصومام. وهذه القصيدة تقع في 51 بتاً. وهي مجرد نظم وليست شعر وتأتي أهميتها فقط في الأحداث التي تشير إليها.

وإلى جانب هذا هناك تسعة رسائل أخرى تم تبادلها بين الشيخ الوالد، وبيني أنا المؤلف والمحقق يحيى بوعزيز في تونس، وبينه وبين الأخ الأكبر النذير بوعزيز بوهران.

ولهذه الرسائل التسعة قصة لا بد من ذكرها هنا.

فقد احتفظت بها والدتي السيّدة فطوم بوعزيز بنت الشيخ الهادي بوعزيز، بعد وفاة الوالد الشيخ عبد الرحمن بوعزيز خلال شهر فيفري 1955 م. ثم لما دمر الجيش الفرنسي منزلنا بالطيران عام 1956، ودمر باقي منازل القرية أمزرراق، وبقيت النار تشتعل في مكتبتنا شهراً كاملاً بشهادة الوالدة، اضطرت الوالدة وأفراد الأسرة إلى الالتجاء إلى منزل صهرنا الحاج المختار طالبي بأولاد سيدي يذير، وأخذت معها هذه الرسائل مع أوراق أخرى وصور، وتم إخفاؤها في سقف إحدى الغرف تحت القرميد حتى لا يطلع عليها الجنود الفرنسيون الذين يقتحمون المنازل دون إذن، وفي كل الأوقات من الليل والنهار، وتنوسيت هناك مدة ربع قرن تقريباً، إلى أن قام أحد أفراد تلك العائلة ويدعى الطيب طالبي بإصلاح قرميد تلك الغرفة عام 1981، فعثر عليها، واكتشفها، وأخرجها. وكانت معها صورة لي، وأخرى للشيخ الوالد، ورخصة سياقة السيارات للأخ النذير بوعزيز، وتم إرسالها إلينا بوهران، فتصفحتها ووجدت فيها معلومات كثيرة تستحق التسجيل والنشر، سواء بالنسبة لتاريخ الأسرة والعائلة، أو للأوضاع الاقتصادية والاجتماعية التي تتشابه فيها كل الأسر الجزائرية. وفيما يلي تعريفات مختصرة لها، قبل إيراد نصوصها كاملة في الأخير.

حادي عشر: رسالة الشيخ الوالد من المدينة المنورة إلى أبنائه بمسقط الرأس بتاريخ 25 ذو الحجة 1372 هـ. الموافق 3 سبتمبر 1953، أعلمهم فيها

بأنه وصل إلى المدينة المنورة منذ 22 ذو الحجة قادماً من مكة وأنه سيعود إلى الوطن ومسقط الرأس في منتصف شهر محرم الحرام عام 1373 هـ.

ثاني عشر: رسالة الشيخ الوالد إلى ابنه النذير بوهران بتاريخ 24 شوال 1373 هـ. الموافق 25 جوان 1954 م، حدثه فيها عن صحتي المتدهورة أنا الذي أدرس بتونس، وأقترح عليه أن يدخلني إلى المستشفى للعلاج وإجراء عملية جراحية إن لزم الأمر فيما إذا لم أسافر إلى تونس للإمتحان، الذي كان قد علق في شهر جوان بسبب إضراب الطلبة، هذا إلى جانب معلومات أخرى عن العائلة اقتصادية واجتماعية.

ثالث عشر: رسالة الشيخ الوالد إليَّ بتونس بتاريخ 4 ربيع الثاني 1374 هـ. الموافق 29 نوفمبر 1954 م، حدثني فيها عن شؤون العائلة، وطلب مني أن ألتزم الحياد بالنسبة للمشاكل السياسية التي تمر بها البلاد التونسية، لأنه كان حريصاً جداً على إتمام دراستي، وأخبرني باشتداد المرض عليه، وكثرة الآلام التي كان يحس بها.

رابع عشر: رسالة الشيخ الوالد إليَّ بتونس بتاريخ 11 ربيع الثاني 1374 هـ. الموافق 6 ديسمبر 1954، أخبرني فيها بأنه اتصل برسالتي إليه، وطلب مني أن أبعث إليه ببرنامج الدراسة، والمواد التي ندرسها، ولم ينس أن يذكرني بأنه ما زال يعاني المزيد من الآلام والمرض.

خامس عشر: رسالة مني إليه من تونس بتاريخ 27 ربيع الثاني 1374 هـ. الموافق 23 ديسمبر 1954، حدثته فيها عن البرنامج والمواد التي ندرسها كما طلب مني، وعددها عشرون مادة، ومع الرسالة قصيدة شعرية نظمتها في موضوع مرضه، وآلامه كتسلية له، وسرّ بها كثيراً لأني شبهته بالنبي أيوب عليه السلام.

سادس عشر: القصيدة الشعرية التي نظمتها في موضوع مرضه، وبها 32 بيتاً وتاريخها 24 ربيع الثاني 1374 هـ. الموافق 20 ديسمبر 1954 م.

سابع عشر: رسالة الشيخ الوالد إلى ابنه النذير بوهران بتاريخ جمادي

الأولى 1374 هـ. 2 جانفي 1955 م حدثه فيها عن مشاكل العائلة، ومنها مرض الأخت جميلة الذي استعصى علاجه، وأرسل إليه مع الرسالة القصيدة الشعرية التي أرسلتها إليه من تونس. وقال له عندما تقرؤها أعدها إلي، وأعادها إليه فعلاً.

ثامن عشر: رسالة الشيخ الوالد إليَّ بتونس بتاريخ 5 جمادي الأول 1374 هـ. 2 جانفي 1955 م، وهو نفس التاريخ الذي أرسل فيه الرسالة السابقة إلى الأخ النذير بوهران، وقد حدثني فيها عن شؤون العائلة ومشاكلها، ومرض الأخت جميلة، كما حدثني على الأخ النذير بوهران، وهي آخر رسالة منه إليَّ لأنه سرعان ما اشتد عليه المرض، وأدخل إلى المستشفى بمدينة برج بوعريريج في شهر فيفري 1955، وتوفي يوم 9 من نفس الشهر على الساعة الرابعة صباحاً بحمام ابن سالم، بعد إخراجه من المستشفى بطلب منه.

تاسع عشر: رسالة الشيخ الوالد إلى ابنه النذير بوهران بتاريخ 22 جمادي الأول 1374 هـ. 15 جانفي 1955، أخبره فيها بأن الدواء الذي أرسله إليه وصله، وعاد للحديث عن مرض الأخت جميلة، وطلب منه أن يرسل إليه كمية من الشاي الأحمر والأخضر، وهي آخر رسالة إليه كذلك قبل أن يلتحق بربه يوم 9 فيفري 1955 عن عمر ثلاثة وسبعين عاماً قضى منها قرابة ستين عاماً في التربية والتعليم، والوعظ والإرشاد، والإفتاء، والإقراء.

نصـوص الوثـائق

أولاً ـ نص عقد شهادة شرعية بشرف نسب الشيخين الشقيقين أبي عمران موسى وأبي عبدالله محمد المزرراقيين

الحمد لله الذي خلع على ذرية نبينا محمد ﷺ، خلع الشرف[1] على سنن التقوى والاستقامة وخصهم بين الأمة بمراتب الرفعة ومزايا الأثرة والإمامة. وجبلهم على مكارم الأخلاق[2] الأعراق أوضح علامة. وبين ما لهم من التعظيم والترفيع (كذا) والتكريم، والتشريف، والتشفيع. فأحكم نظامه ورفع قدرهم وحتم برهم وإكرامهم على الخليقة كلهم وأقامة، وجعل حبهم براءة من النفاق، وولايتهم أمناً من العذاب، ودليلاً على صحة الإسلام والسلامة فقال من أحب حسناً وحسيناً وأمهما كان معي في دربي (كذا) حتى يوم القيامة. أحمد[3] محمد رسوله والقرآن إمامه. وأشكره شكر من اتخذ حب آل نبيه محمد أوثق عروة وأرفع دعامة. وأصلي على نبيه الذي أنزل عليه كتابه[4] وعلمه ما لم يكن

---

(1) هناك نقص ثلث سطر، وكلمة من بداية السطر الذي يليه لأن عقد الجلد أصابهُ تلف في عدة أماكن.

(2) هناك نقص كلمتين في نهاية السطر.

(3) هناك نقص حوالي أربع كلمات.

(4) هناك نقص ثلاث كلمات.

يعلم، وجمع[1] حكمه البالغة وأحكامه وبين له فيما أنزل عليه حلاله المبين، وحرامه، فأخرج الناس من الظلمات إلى النور، ومن العوج إلى الاستقامة ولم[2] عليه أجراً ولم[3] عليه غرامة، إلاّ المودة في قرباه وحب نسله الطاهر الطيب واحترامه، فمن أحبهم ووالاهم وأكرم نزلهم ومثواهم[4] له الكرامة، ومن باعدهم، وقلاهم، ونبذهم، ولم يتولاهم، وجبت عليه الملامة، ومن أعرض عن حبهم وقصر في حقهم، ولو ملامة، فكيف يستحق شفاعة جدهم عليه السلام في عرصات يوم القيامة، جعلنا الله ممن قام بحقهم الأكيد[5] في حقهم وتعظيمهم سئامه (كذا)[6] وتلقاهم بالقبول والبشرى ولم يرهم من وجهه جهامه. وصلى ثم سلم عليه وعليهم واحتسب عند الله سبحانه صلاته وسلامه صلى الله وسلم سلاماً[7] أطاله وطابه وأدامه ما والا (كذا) المزن انسجامه، وجلا عن الجو قتامه وحط عن محياه لثامه.

أما بعد فإن شهداءه الموضوعة أسماؤهم فيه عقب تاريخه، يعرفون الفقيه المعظم التقي الزكي العالم الأفضل الأكمل أبا عمران موسى. وشقيقه الأحسب الأنسب المعظم الأجل التالي لكتاب الله عز وجل أبا عبدالله محمد ابني الفقيه العالم العلم المدرس المنعم المرحوم أبا عبدالله محمد القاضي بن[8] ومحمد بن عبدالله الزدوني معرفة كاملة معتبرة شرعاً، يشهدون بهاء بأن الشقيقين المذكورين حازا الشرف الصميم والحسب الكريم من والدتهما المبرورة المعظمة أم السعد، وأن أم السعد حازت ذلك من أمها[9]

(1) هناك نقص كلمة.
(2) نقص كلمة.
(3) هناك نقص كلمة.
(4) هناك نقص كلمة.
(5) هناك نقص ثلاث كلمات.
(6) هناك نقص كلمة.
(7) نقص كلمة.
(8) هناك نقص حوالي ثلاثة أسماء.
(9) هناك نقص اسم واحد.

وأن[1] حازت ذلك من أمها الشريفة المعظمة المرحومة المنعمة عايشة بنت الشيخ الأفضل المبرور أبي عثمان سعيد بن حجاج الشريف المزودي. وأنهما قد حصل لهما بهذا النسب النبوي والانتماء إلى الجانب (كذا) الكريم الحسني، من البر والاعتناء والرعي (كذا) والاحتفاء ما انسحب على أمثالهما من السادة الشرفاء منتظمين[2] هذا الانتساب في سلك ذوي المفاخر والأحساب، من غير قادح يقدح فيهما ولا هادم لشيء من مبانيهما ولم يزالا[3] على كاهل المبرة والإكرام والرعي الوافر والاحترام إكراماً لهما ورعياً لنسبهما ولا يعلم شهوده أن أحداً عارضهم في هذا الانتساب لكمال أصلهم الثابت واشتهارهم في القديم والحادث (كذا) فمن علم ذلك وتحققه كما ذكر قيدت شهادته هنا مسؤولة منه بتاريخ أواخر جمادي الأولى عام ستة وثمانين وتسعمائة[4].

المكرم الزكي الخير موسى بن امعوش اليعدلي[5].
والمرابط الخير أبو الحسن علي بن أحمد الشريف المسروري.
والمرابط الخير الفقير واذفل بن عيسى اليعدلي ثم الجعفري.
والمكرم الزكي أبي علي بن برقة الجعفري ثم اليعدلي.
والمكرم أبو سعيد بن محمد السالمي.
والمكرم الزكي الخير إبراهيم بن مخلوف اليعدلي.
والمكرم الزكي الخير مسعود بن العزيز اليعدلي.
والتالي لكتاب الله المرضي أبو سليمان بن رحال اليعدلي.
والولي الصالح أبي عبدالله محمد بن صالح المزيتي.
والفقيه المكرم الزكي أبو عثمان ابن عبدالله اليعدلي.

الحمد لله أشهد الشيخ الفقيه الأجل الأفضل الأكمل قاضي الجماعة

---

(1) هناك نقص اسم.
(2) هناك نقص كلمة.
(3) هناك نقص كلمتين.
(4) يوم الجمعة 27 جمادى الأولى 986 هـ يوافقه 1 أوت عام 1578 م.
(5) يقصد باليعدلي عرش بني عيدل أويَعْدَلْ في جبال البيبان.

بمحروسة الجزائر وعملها وقت تاريخية المسمى نفسه بطرته العليا حفظه الله تعالى وأدام توفيقه وأنهج إلى كل صالحة طريقةُ أنه اكتفى لديه الرسم المقيد أعلاه اكتفاء تاماً على الواجب فيه مسؤولاً ذلك منه شهد عليه أعزه الله بما فيه عنه وهو على أكمل حال المشهدين (كذا) وتمامه وبمجلس قضائه والبلد المذكور نافذ الحكم به بتاريخ أعلاه محمد (الإمضاء معقد وغير واضح)[1] وكرر شهادته لأجل ما وقع فيها من المحو في التاريخ محمد (الإمضاء معقد وغير واضح).

ثانياً: عقد شراء بحيرة: تاله عياط بقرية أمزرراق من طرف أجدادنا

الحمد لله وحده[2] وصلى الله على سيدنا محمد وآله.

حضرنا، ومن سيذكر آخر الرسم، وأن أمة الله سبحانه النخلة (كذا) ابنة أحمد بن عامر الملقب بغيدة قد وقفت (كذا) ابن عمها حم (كذا) نجل عمر بن عامر، على بيع البحيرة المبيعة للحملات (كذا) أولاد الفاضل المرحوم بكرم الله الحي القيوم الوالي (كذا) الصالح الفاقية (كذا) الناصح السيد الحسين بن عبد العزيز منهم: سيدي أبو القاسم، وسيدي الصالح، وسيدي العرب (كذا) وسيدي محمد. وأنها رضيت ووفقا (كذا) ولد عمها المزبور أعلاه. وطوعته

(1) البايلر باي حاكم الجزائر التركي الذي حررت في عهده هذه الشهادة هو الباشا حسن فنزيانو الذي تولى الحكم بين ربيع الثاني 985 ورجب 988 هـ الموافق جوان 1577 - أوت 1580 م.

أما قاضي جماعة محروسة الجزائر الذي سمي نفسه في الوثيقة: محمد، فلا نعرف عنه حالياً شيئاً يذكر. واستعنا بالشيخ عبد الرحمن الجيلالي فلم تتوفر لديه المعلومات عنه كذلك.

(2) تسلمت نسخة من هذا العقد من ابن العم الصالح بوعزيز يوم الخميس 7 نوفمبر 1991 بمدينة برج بوعريريج. وكنت قد تسلمت منه رسائل وعقوداً أخرى عام 1990. كانت محفوظة عنده.

(كذا) في حال يصح منها ذلك شرعاً من طيب نفس. وعدم إكراه لها، ولا مطالبه لها طال الزمن أو قصر في البحيرة المسمة (كذا) بتال عياط[1]. والشهود الحاضرين (كذا) كلهم منهم: المسن في الإسلام سيدي أمحمّد بن يحيى، وولده سيدي محمد، وسيدي أحمد بن بلقاسم، وسيدي الحسين منه، وسيدي السعيد منهما، وسيدي الطيب بن عبد العزيز، وعمر أزواوي القاطن في قرية مزرراق، وسيدي أحمد بن الهاشم (كذا) الجعفاري. والسلام. وقع ذلك في شهر الله شعبان بعد ما خلت منه خمسة أيام عام 1061[2]. كاتبه المبروك نجل محمد بن الحداد لطف الله بن آمين. آمين. آمين.

ثالثاً: وثيقة الجد الشيخ الحسن بوعزيز سجل فيها تاريخ ميلاد ابنه عبد العزيز وميلاد ابن آخر لابن عمه

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد.

قال البكري في المسالك: أن في المشرق مدينة تسمى جابرقة، وبالمغرب أخرى تسمى جابر ساطر وكل واحدة اثنا (كذا) عشر ألف فرسخ ولكل مدينة عشرة عشرة آلاف باباً (كذا) يحرس كل باب كل ليلة عشرة آلاف رجل لا تلحقهم النوبة إلى يوم القيامة الرجل منهم يعمر ستة آلاف سنة إلى ما دونها. وهم يأكلون ويشربون وفيها حكم كثيرة والمدينتان خارجتان من الدنيا لا يرون

(1) تاله معناها عين. وهذه البحيرة تقع على بعد نصف كلم غرب قرية مزرراق مسقط رأس الأجداد. واشتراها أجدادنا الأربعة ومنهم بلقاسم جد والدي عبد الرحمن.

(2) هذا التاريخ فيه نظر، لأنه يوافق 25 جويلية 1651. والأخو الأربعة الذين اشتروا هذه البحيرة عاشوا في القرن 19 م. والصغير منهم وهو محمد الأخ الرابع كان حيّاً في مطلع القرن 20 م. والأقرب أن يكون ذلك في حدود عام 1261 هـ، الذي يوافق 10 أوت 1845 م. وحتى الشهود كانوا أحياء في القرن التاسع عشر ميلادي كذلك. ويبدو أن محرر العقد أخطأ فكتب تاريخ 1061 بدل 1261 هـ.

شمساً ولا قمراً قال رسول الله ﷺ ولا يعرفون آدم ولا إبليس. يعبدون الله تعالى ولهم كوثر يسعون فيه من غير شمس ولا قمر قال رسول الله ﷺ: مرّ بي جبريل عليهم فآمنوا بي فدعوتهم إلى الله فأجابوني محسنهم مع محسنكم ومسيئهم مع مسيئكم إهـ. من خط عمنا العربي بن مصباح نقله من كنوز الأسرار. إهـ.

ولد ولد لكاتبه الحسن بن بلقاسم بن عبد العزيز اسمه عبد العزيز جعله الله من الوارثين العلم والعمل وأنبته نباتاً حسناً وكان مولده سنة 1288 ثمان وثمانين ومائتين وألف وهو عام الجهاد ومات فيه الأمير باش آغة[1].

ولد ولد للسيد العربي بن عبد العزيز اسمه عبد القادر أنبته الله نباتاً حسناً وأورث له الكتب (كذا) والسنة والعمل بجاه النبي وآله عام 1293 ثلاثة وتسعين ومائتين وألف[2]ووقانا شره وشر ما بعده بجاه النبي وآله. كاتبه كاتب الأعلى[3] تاب الله عنه آمين.

رابعاً: عقد بيع كتبه جدنا الشيخ الحسن بوعزيز

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسول الله.

بوعوينة أعراب بن أعمر عدد 3087.

اشترى على بركة الله وحسن عونه حامله أعراب الزواوي الساكن بقرية أمزرراق إحدى قرى إلماين، الموضع المسمى: أحريق أَوَّادًا[4] المشجر بالزيتون بأحواز أملاك القرية المذكورة من المالكين أمر أنفسهم، وهم سي الطيب بن.

(1) الباشاغا محمد المقراني استشهد يوم 5 ماي 1871 وثورته بدأت يوم 16 مارس 1871 وانتهت يوم 20 جانفي ١٩٧٢ م.

(2) الموافق عام 1877.

(3) يقصد أن كاتب تاريخ ميلاد الطفل الأول هو كاتب تاريخ ميلاد الطفل الثاني وهو جدنا الشقيق الشيخ الحسن بوعزيز. وهذا التسجيل كما يلاحظ أسفل النص الذي نقل عن البكري حول مدينتين إحداهما بالمشرق وأخرى بالمغرب، من طرف العربي بن مصباح.

(4) يقصد الملكية السفلى وهو اسم المكان.

يحيى، وشقيقيه سي مقران وسي الشريف، مسكنهم القرية، المذكورة بحدوده المعلومة ومرافقه الداخلة والخارجة قديماً وحديثاً ومبلغ ثمن المبيع ستمائة فرنكاً وخمسون من النعت. وقبض البائعون المذكورون جميع الثمن المذكور قدره أعلاه وحصل في يدهم وحوزهم في مكان العقد بالتمام والكمال فبذلك برئت ذمة المشتري المذكور بإقرار البائعين المذكورين إقراراً شرعياً بإكمال الأوصاف المعتبرة شرعاً بيعاً صحيحاً لازماً بتابتلا (كذا) خالياً من جميع المفاسد والقوادح بأسرها وخلى البائعون بين المبيع والمشتري، التخلية الشرعية الموجبة للتسليم شرعاً بعد النظر والمعرفة والمعاقدة الشرعية لتاريخ شهر الله المعظم محرم الحرام عام 1313[1] ثلاثة عشر وثلاثمائة وألف وحضر ذلك فلان وفلان إلى آخر.

بعازّى آرزقي بن الصديق عدد 835.
بن بلقاسم الطيب بن العربي عدد 1718.
بن بلقاسم مولود بن السعيد عدد 1707.
والكاتب بوعزيز الحسن بن بلقاسم عدد 3144.

خامساً: عقد بيع حرره
الجد الشيخ الحسن بوعزيز

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسول الله وآله

اشترى على بركة الله وحسن عونه بمنه وكرمه وتوفيقه حامله الشاب الأكمل لخضر بن بلقاسم بن السعيد ابن النافع(؟) المزررقي نسباً ودياراً حرفته القراءة(؟) الموضع المدعو بلغة أهل القرية تَارْقَةْ يَغْرَاساً. المشجر بالزيتون بأحواز أملاك قرية مزرراق قدر مساحته ثلاثة أيام تميالا بالجابذة[2] بحدوده

(1) الموافق 24 جوان ـ 23 جويلية 1895.
(2) يقصد أن هذه المساحة يحرثها زوج من الثيران في مدة ثلاثة أيام.

المعروفة ومرافقه الداخلية والخارجية قديماً وحديثاً. من سي بلقاسم بن عبد العزيز وشقيقيه سي الصالح المزررقيين نسباً ودياراً حرفتهما القراءة، ومبلغ ثمن المشتري أربعمائة فرنك وأربعون من النعت. وقبض البائعان المذكوران جميع الثمن المذكور قدره أعلاه بإقباض المشتري ذلك إياهما وحصل في يدهما وحوزهما في مكان العقد بالتمام والكمال قبضاً وإقباضاً معتداً بهما شرعاً بحيث برئت ذمة المشتري المذكور بإقرار البائعين المذكورين إقراراً شرعياً بإكمال الأوصاف المعتبرة شرعاً من البلوغ، والرشد، والاختيار، بيعاً صحيحاً لازماً بتابتلا خالياً من جميع المفاسد والقوادح بأسرها. وخلي البائعان المذكوران بين المبيع والمشتري، التخلية الشرعية الموحية للتسليم شرعاً بعد النظر والمعرفة والمعاقدة الشرعية. حرر في شهر الله المعظم جمادى الأولى بعد أن خلت منه خمسة عشر يوماً في عام 1313 هـ ثلاثة عشر وثلاثمائة وألف هجرية[1] وحضر ذلك الأشيب أعراب الزواوي. ونظيره العدل المرضي محمد بن مياسه. والكهل الفاضل ابن عمناسي محمد أرزقي بن عبد العزيز. والشاب الأكمل سي الصالح بن موسى، حرفة الجميع الفلاحة، كلهم من قرية مزرراق نسباً ودياراً وكذلك الكاتب الحسن ابن عبد العزيز أيده الله آمين مصلياً ومسلماً على سيد الأنام.

سادساً: رسالة الجد الشيخ الحسن بوعزيز إلى الشيخ السعيد بن محمد البشير بن أحمد الزين

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسول الله

18 ـ الدسقي علي خليل براني.

02 ـ ابن حجر على الهزيمة.

04 ـ كتاب الرحمة. مطبعة غاية ليست كالأولى.

---

(1) الموافق يوم الأحد 3 نوفمبر 1895. والبائعان لهذه الملكية هم ابنا عم جدنا الشقيق الشيخ الحسن بوعزيز وأخيه الشيخ الهادي. والجد الشيخ الحسن هو الذي حرر هذا العقد.

50 = 01 أبو النجاء.

02 ـ نور الأبصار.

حضرة المكرم الأستاذ الكامل العالم الجليل أوحد الفضلاء قطب المعارف المحي بتدريسه للعلوم جعله الله أحسن خلف عن أشرف سلف السيد السعيد نجل البركة السيد محمد البشير بن السيد أحمد الزين، زين الله أحوال الجميع عليك أتم السلام وسوابغ التحية والأكرام ما يعمك ويعم من انتمى إليك من أهل الود والقرابة. أما بعد فقد وصلني منك سابقاً كتاب طرزت بلطائف البلاغة حلله، ودللت على عوارف الفصاحة سبله. مؤرخ في 2 جمادى الثانية فبادرنا لقبوله، وابتهجنا بحصوله. ثم منّ الله علينا بجواب ثانياً مؤرخ في 7 من جمادى الثاني. فلما أمعنت النظر فيهما علمت مضمنهما. والآن أيها المحب أما الكتب الموضحة أعلاه فها هي أسعارها مشروحة عندك. وأما الموضوعة أسفله حتى يأتينا الخبر عن أسعارها. وكتاب ابن حجر قيمته بتونس 10،50 وعشرة صوارد عليه مصروفاً ولكن في خاطرك نأتي به. وغيرك فوالله لم نأت به إلا بمائة فرنكاً. والدسقي علي خليل المطبوع بالبولاقية فلم يكن لي عنه علم في هذه الساعة.

وقد تراخينا عنك في رد الجواب لعذر نزل بنا من موت ولد بن حاله. وأدركنا الانشغال من أمره. والآن أن رزقنا الله بالصحة تكون ملاقتنا في سوق الخميس إن شاء الله وتفحص لنا على من يشتري نسخة الخرشي بسعر 25، ومتن السيد خليل مطبعة جيدة بسعر 4. وعليكم ألف سلام من فقيركم وحقيركم الحسن ابن عبد العزيز أيده الله آمين.

في 11 جمادى الثانية عام 1314 هـ[1].

وأما درة البيضاء التي ذكرتها لنا لعله لم توجد بتونس، فقد رأيتها مراراً بقسنطينة وصاحبها يطلب منها ستة فرنكاً (كذا) فإني سأخبره بجواب إن وضع

(1) الموافق يوم الثلاثاء 17 نوفمبر 1896 م. وولد بن حالة المتوفي هو الشيخ الشريف بن الحسن بن حالة. كما حدثني بذلك السيد محمد السعيد بن حالة.

لنا بشيء من ثمنها نخبرك عنها والسلام من كاتب الأصل.

شريعة الإسلام.

متن السيد خليل. بولاق.

درة البيضاء.

سابعاً: رسالة السيد المسعود بن الربيع إلى جدنا الشيخ الحسن بوعزيز

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسول الله في 16 محرم (1317) (1899)[1]. حضرة الولي الصالح والقطب الواضح أعني بذلك أعني بذلك (كذا) شيخنا ومحبنا وعوض أبونا (كذا) الشيخ السيد لحسن السلام عليك وعلى من شملته حضرتك العالية كالسيد عبد الرحمن والسيد يحيى[2] مع دوام الرحمة والبراكة (كذا) إذا كنتم بخير من الله وعافيته فلله الحمد. وإذا سألت عنّا ترانا مما يحبّه الله ويرضيه (كذا) لنا. وبعد: يا سيدي فإنك قد ذكرت في جوابك السابق تخبرك على سعر البلاد هنا إذا كانت متنعمة أم لا؟ نعم إني قد بقيت من ذلك التاريخ وأنا منتظر في هذا الأمر. والآن حين ظهرت علامات الإصلاح وعدمها أخبرتك فتراً (كذا) في بعض المواضع (كذا) لا يحصدونها. وبعضها فيها شيء وهو لا يغني في راية البصر نعم وأنت الناس قد عرفت أحوالها فالذي يقوم بقدرك، والذي لا يقوم. وما كان يعرفك به سي الحسين بن الشيخ العربي[3] وإذا تعين لك القدوم أخبرني. ويا سيدي إنا نطلب منك الدعاء الصالح سيما دعاء الإجابة بالغدوّ والآصال.

والسلام من ابنك المسعود بن الخضر بن الربيع.

---

(1) الموافق يوم الأحد 28 ماي 1899 م.

(2) عبد الرحمن هو والدي أنا. ويحيى أخوه وعليه سمّيت أنا.

(3) الشيخ العربي هو عم جدي الشقيق الشيخ الحسن الذي وجهت إليه هذه الرسالة.

نعم إذا كنت قادماً تشتري لي: الشيخ المصري على السنوسية، وفتح الأقفال شرح تحفة الأطفال. ومصحف صغير، وابن القاصح. وبلغ سلامي على سيدي الهادي[1] وأمه صافية. وعلى الأشيب السيد محمد الزين، والأشيب محمد بن بلقاسم، والشيخ الصديق بن بلقاسم. نطلب منك ومن هذه الجماعة الدعاء الصالح والسلام من المسعود بن لخضر بن الربيع.

ويا سيدي لحسن تخبر سي البشير بن موسى إذا قدم إلى هذه البلاد فلا يقدم إلى جهة أولاد الشيخ فتراهم حالفين فيهما يمين كبير. إذا حكموا أحدهما يقدموا به إلى أصحاب الحكم منكر فيهما لأن الدار قد رابت (كذا) لهما الغرابة السفلى وصلحوها (بمبلغ) 12 دورو، والغرابة[2] العلي (كذا) كذلك والسلام.

ثامناً: نبذة عن حياة الشيخ المدني بوعزيز بن الشيخ الصالح عضو جمعية العلماء

الشيخ المدني بوعزيز ابن الشيخ الصالح ابن الشيخ الصالح بن الشيخ الحسين المزرراقي، ولدا ونشأة، ولد حوالي عام 1900 أو قبل ذلك بقليل. وحفظ القرآن على والده الشيخ الصلح. وتفقه عليه كذلك عندما كان يعلم في قرية قلعة بني عباس، وفي زاوية الشيخ ابن الربيعي في أولاد خلوف. وتتلمذ كذلك على الشيخ عاشور ابن محمد مؤلف كتاب: منار الأشراف، وفي حدود عام 1920 زار تونس ووثقف صلاته بالشاعر التونسي أبي القاسم الشابي ثم زار الشيخ عاشور الذي استقر في الجريد التونسي.

وبعد وفاة والديه عاد إلى مسقط رأسه قرية مزرراق وتفرع للتعليم القرآني

---

(1) الشيخ الهادي هو والد أمي فطوم. وصافية هي أمه من عائلة أولاد يحيى. وقد لحقت عليها أمي التي ما تزال حية حتى هذه الساعة (1995). وكثيراً ما تحدثني عنها، وتوفيت بقرية عشابو عند عمنا الشيخ عمرو بن الشيخ العربي بوعزيز.

(2) يقصد بالغرابة: الجدار، وهي كلمة دارجة.

في القرى وربط صلات جيدة مع الشيخ الفضيل الورتلاني، والشيخ المولود بن الصديق السحابي الحافظي، والشيخ البشير الإبراهيمي، وعندما تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عين عضواً فيها. ودعي عام 1934 للاشتراك في اجتماعها السنوي بنادي الترقي في العاصمة. وتفرغ للدعاية لها في مدن تلمسان، وعنابة، وقسنطينة، وأوكل أمر أولاده وعائلته إلى أخيه الشيخ الحسن بن الصالح.

وعندما أقدم الحاكم الفرنسي بحوز مجانة، على انتزاع الأراضي الفلاحية من الأهالي ليملكها للباشاغا شيبان، استنكر ذلك، واشترك مع الحواس بن شناف والجمعي بلحداد، في الاحتجاج أوائل الحرب العالمية الثانية وقامت السلطات باعتقال ابن شناف، وبلحداد، ونفتهما إلى سجن عين الصفراء بالجنوب الغربي، ففر هو إلى عرش النبايل بين قالمة وبوشقوف، ومكث هناك مدة، ونظم قصيدة في شأن نفي زميليه: ابن شناف وبلحداد. ولم يعد إلى مسقط رأسه إلاّ عندما أطلق سراحهما. وبكى عندما بلغه خبر وفاة الشيخ عبد الحميد بن باديس، والتحق هو بربه يوم 17 أبريل عام 1942 بأولاد سيدي المسعود جنوب جبال القلة، وشمال قرية مجانة. وقد ولد عام 1899 حسب عقد ازدياده، وعام 1906 حسب عقد وفاته. ويؤكد ابنه السيد الصالح التاريخ الأخير لأنه حسب رأيه مات صغيراً لم يتجاوز 36 عاماً. كما نص على ذلك عقد الوفاة.

تاسعاً: بطاقة استدعاء

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

ورقة استدعاء

للاجتماع العام الذي يقع بنادي الترقي بالعاصمة صبيحة الإثنين الأولى من ربيع الثاني 1353 هـ ـ 16 جوليت 1934 م.

أيها الأخ الكريم السيد بوعزيز المدني.

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

أما بعد فالمجلس الإداري للجمعية يدعوكم للحضور للاجتماع العام في الزمان والمكان المذكورين أعلاه ويؤكد عليكم في الدعوة، ويرجو منكم إذا لم يمكنكم الحضور أن تكتبوا أو تبرقوا بالاعتذار قبل التاريخ المذكور بثلاثة أيام إلى هذا العنوان:

CHEIKH ZOUAOUI ABOUYAALA (CERCLE DU PROGRIS) 9 PLACE DU GOUVERNEMENT. 9. ALGER

والسلام من أخيكم رئيس الجمعية

عبد الحميد بن باديس

استصحب هاته الورقة معك عند الاجتماع العمومي.

المطبعة الجزائرية الإسلامية بقسنطينة.

عاشراً: قصيدة الشيخ بوعزيز المدني حول نفي زميليه الحواس بن شناف، والجمعي بلحداد

حديقة الأدب اليوم وقبل اليوم، تنبيهاً لنا ولأخلافنا وذكراً لأسلافنا.

يــــا ربنـــا يـــا ربنـــا	يـا قهــار خـــذ أعـــدانـــا
بحـــال خيـــر الـــورى	سيـــد المـــرسلينـــا
وألـــه وصحبـــه	ورجـــا التـــابعينـــا
يـــا شعبنـــا الجـــزائـــر	سجـــل مـــا صـــار بنـــا
قـــل لنشـــيء يخبـــر نشئـــا	ليشهـــدوا تـــاريخنـــا
الاستعمـــار قـــد تسيطـــر	بـــاستغـــلال أراضينـــا
الاستعمـــار قـــد حكـــم	بـــإقبـــار حقـــوقنـــا
الاستعمـــار قـــد حكـــم	بـــإبعـــاد قـــادتنـــا

الاستعمار قد حكم   باعتقال علمائنا

الاستعمار قد حكم   باغتيال مغرورنا

الاستعمار قد حكم   بسجن زعمائنا

يا ناطقاً بالصواب   تلاق الإبعاد حيناً

بلا بحث يا ناطقاً   ما هذا الظلم علينا

يا ربنا يا رافع   فارفع القهر عنا

أبعده عن بغيه   وإثمه للعالمينا

يا مبعد يا زعيم   يا حواس يا أخاما

كن شكوراً وآسيا   باخوانك الأولينا

ما ذنبك إلا نطقك   عن ضعفاء حوزنا

دفاعك أذاقك   فراقك لمجّانا

فاشتهرت يا مجانا   بإبعاد غيورنا

إكرامك أهل النفاق   أنزل الذل علينا

ألم تعلم أنهم   يخادعون ربنا

كن عازماً وحازماً   فلا تخش من العنا

آباؤنا أمامك   وخلفك إخواننا

يا أيها الغيورونا   دافعوا المسيئينا

ثم الدفاع واجب   على كل شخص منا

وجزاء سيئة   سيئة قول ربنا

عجبت من أناس   يعدون إخواننا

دأبهم ألاّ تجسيسيا   وآلة لغيرنا

دأبهم ألاّ تجسيسيا   ومضرة علينا

يحلفون على الكذب   إنهم لبارئونا

وفيهم قال الله :   أنهم لكاذبونا

يجازيهم ربهم   بأسفل السافلينا

أنا لا أخاف منكم   يا معشر المذنبينا

قـــال الله لا تخـــف لـــومــة الــلائمينـــا
يـــا حكـــام العـــدالـــة فـــأمعنـــوا المبعـــدينـــا
فـــافحصـــوا أمـــرهـــم كمـــا هـــي المـــاهـــرينـــا
فـــاصبـــروا صبـــراً جميـــلاً يـــا أهـــالـــي المبعـــدينـــا
لا بـــد لنـــا مـــن يـــوم سيـــرجعـــا لحـــولنـــا
نحـــن مـــن أمـــة طـــه والصبـــر ديـــدنـــا
بكـــاؤنـــا بكـــاؤنـــا عنـــك يـــا سهـــل مجّـــانـــا
قـــد بعـــد زاعيمـــك (كـــذا) فـــي أيـــام ســـرورنـــا
أوائـــل ذي الحجـــة هـــو آخـــر الستينـــا
فـــي قـــرن رابـــع عشـــر بعـــد ألـــف والمـــائينـــا[1]
والنـــاشـــد المـــدنـــي ليلـــة الأضحـــى أحيينـــا
بـــن الصـــالـــح ابـــن الصـــالـــح وفيهـــا ابتهلنـــا
مـــا أنـــا إلا غيـــور والقلـــم سيفنـــا
بـــلا خجـــل ووجـــل ســـوى عـــن رب مـــولانـــا
يـــا ربنـــا يـــا مجيـــب فـــأجـــب دعـــاءنـــا
بـــالإفـــراج يـــا فـــراج عـــن جميـــع المـــؤمنينـــا
تـــم عـــدد الأبيـــات بـــالـــواحـــد والخمسينـــا

تنبيه:

أما مطلع القصيدة: يا ناطقاً بالصواب. وأنا أطلب من إخواننا المطلعين إن وجدتم الزحاف فأصلحوه ولا يخفاكم أن الشاعر في تغزله مجنون ولا سيما نحن معشر الجزائريين الذين هم مثلي لا غير. حاشاهم لأني لست من الشعراء وإنما حملتني غيرة الدين والوطن.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه.

بوعزيز المدني بن الصالح

---

(1) ليلة عيد الأضحى لشهر ذي الحجة عام 1360 هـ يوافقها يوم الأحد 28 ديسمبر 1941 م. وقد توفي هو يوم 17 أبريل 1942 بعد ثلاثة أشهر ونصف من نظمه لها.

بعض مراسلات الشيخ عبد الرحمن بوعزيز
مع بعض أبنائه في مسقط الرأس أمزرراق

حادي عشر: رسالة الوالد الشيخ عبد الرحمن بوعزيز
من المدينة المنورة إلى أبناءه بمسقط الرأس

بسم الله الرحمن الرحيم[1]

من صلى في مسجدي هذا أربعين صلاة كتب له براء من النار، وبراءة من العذاب، وبراءة من النفاق (حديث شريف).

من حج لله فلم يرفث، ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أمه. (حديث شريف).

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(1) النص العلوي لهذه الرسالة معد من صاحب المطبعة الذي أعد الأوراق. وتبدأ صياغة الوالد من تاريخ الرسالة. وقد حج الوالد براً على حافلة خاصة يملكها صديق الوالد السيد على أوبَعْزِيزْ المهاجر في فرنسا، والمتزوج من أوروبية. وهو رجل متدين، ومحب للوالد، وهو الذي اقترح عليه أن يحج في قافلته، وقد بقي في البقاع المقدسة شهرين كاملين، وأثرت عليه الحرارة فعاد متعباً ولم يفارقه المرض حتى توفي يوم 9 فيفري 1955 م. أما صاحب الحافلة فقد توفي هنا بالجزائر خلال عقد الثمانينات، وهو من قرية أولاد سيدي يذير ببني عيدل، وتابعة لبلدية إلماين حالياً، وهي نفس بلدية قريتنا أمزرراق كذلك.

من المدينة المنورة في يوم الجمعة 25 ذو الحجة سنة 1372 الموافق 3 سبتمبر 1953 م.

حضرة محترم المقام ابننا بوعزيز السيد النذير وكافة الأولاد كافة.

والأسرة الموقرين السلام عليك ورحمة الله وبركاته وبعد: بمنه تعالى وصلت المدينة المنورة يوم الثلاثاء الموافق 22 ذو الحجة سالماً شاكراً وذلك ببركة دعائكم الصالح، وإني لقائم لكم بالدعاء في الروضة المطهرة والآثار الشريفة بأن الله سبحانه يبلغكم المقصود، ويرزقكم زيارة مدينة المصطفى على ساكنها أفضل الصلاة، وأكمل التحية في عام قادم أنه سميع مجيب الدعوات. هذا مع تبليغ سلامنا إلى كل حضرات أبنائنا وبناتنا، وعائلتنا كافة: السيد الحسن، ويحيى، والحسين، وأحمد الزروق، وعبد المجيد[1]، والهادي، والمذكور آنفاً السيد النذير، وجميلة وخديجة، ورزقية وزينب، وكلثوم وحليمة وامباركة والزهرة، والصغيرة.

أما بعد: إن أنتم على أحسن حال فنحن كذلك، والسؤال الكثير على أهل قريتنا كلهم كبيراً، وصغيراً، كل واحد باسمه، وإننا دعونا الله لكم في كل مقام مستجاب الدعوة، نرجو إن شاء الله قبولها، وسنصل إليكم إن شاء الله في منتصف شهر محرم بحول الله وقوته. وأننا كنا على أحسن حال. ويسأل عليكم طالبي الحاج المختار[2] والسلام عليكم من الكاتب عبد الرحمن بوعزيز.

والسلام التام علي بن حالة السيد زين العابدين وكافة إخوته[3] ويسأل عليكم إلمان الحاج المولود، وكافة الجماعة، وأنهم على أحسن حال والسلام.

وهذا سؤال من عند المختار طالبي، وسلام عليك وكافة سي الزروق وسي الحسين وكافة العائلة والسلام.

---

(1) كل الذين ذكرهم أبناؤه وبناته ما عدا: عبد المجيد، ومباركة. فهما ابنا ابنه الحسن. وما عدا حليمة، فهي بنت ابنه أحمد الزروق. والزهرة، بنت ابنه النذير.

(2) طالبي الحاج المختار صهره شقيق زوجته يمينه وزوج بنته خديجة، حج معه، وأتعبه.

(3) السيد زين العابدين بن حالة، هو قائد الدوائر، وكان يحترم الوالد ويقدره كثيراً. وإلمان الحاج المولود، هو ابن عم زين العابدين، وحج مع الوالد كذلك.

ثاني عشر: رسالة الحاج عبد الرحمن
إلى ابنه النذير بوعزيز بوهران

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على النبي الكريم

في 24 شوال 1373 هـ - في 25 جوان 1954 م.

فضيلة الابن الصالح السيد النذير سلاماً واحتراماً يعم كافة إخواننا والفقراء والأحباب من غير تخصيص. أما بعد فالذي نعلمك به أن كافة العائلة على أحسن حال. أما الحسن من حين خرج بعد العيد إلى ناحية البرج لم أعلم أين ذهب. ترك ابنته بين الحياة والممات، لا هي ماتت فاستراحت ولا هي عاشت فاستراحت[1]. أما نحن هنا نعلمك أن أخاك يحيى في هذا اليوم قدم إلى إِلْمَايَنْ ليجعل تيليفوناً إلى تونس هل انفتح المسجد للامتحان أم لا زال معطلاً، وإن جاوبوه بوجود الامتحان لا بد منك أن أعلمك بتلغراف أبعث له مصروف الركوب ذهاباً وإياباً تلزمه سبعة آلاف. ستة آلاف حق الركوب وألف فرنك مصروف[2]. أما نحن هنا نعلمك أننا جعلنا الخدامين، جمعنا الحجر الذي في البحيرة كله أخرجناه على الحمار. استغرقنا ثمانية أيام بالخدامين، وإنني الآن مطلوب بثمانية آلاف حق الخدام، يحيى عيسى، أربعة آلاف، والخدامين نحو خمسة آلاف[3].

---

(1) الحسن هو ابنه ولم يكن راضياً عليه لأنه لا يمتثل رأيه، ولذلك أخرجه من المنزل وأرغمه على الاستقلال بأسرته، وبنته المريضة هي امباركه. ولم يتم إعادته إلى المنزل إلا بعد وفاة الوالد ببضعة أسابيع.

(2) يتحدث الوالد هنا عن إضراب الطلبة الزيتونيين بزعامة هيئتهم، «صوت الطالب الزيتوني». وكنت أدرس هناك في السنة الخامسة، ويحرص الوالد على ألا تفوتني فرصة الامتحان.

(3) كان لنا وما يزال، بستان بقريتنا: أمزرراق، لا يبعد عن المنزل إلاّ بحوالي 200 متراً وبه بعض الأحجار، وحرص الوالد على تنقيته منها، وهو ما تحدث عنه، والبستان مسقي =

أما اتفاق المسجد بقي منه ثلاثون ألفاً، امتنعوا من الخلاص حتى فاتح ربيع الأول انتهاء العام إن شاء الله(1). ونعلمك أن أخاكم يحيى انحلت ذاته، وذهبت له قوته كلها، ولم يقدر على شيء أصلاً، لا حليب، ولا عسل، ولا زيت، ولا فلفل حار أو حلو، ولا شحمة، ولا لحم، ولا بر، إلاّ الشعير والماء. أن رأيت أن تدخله إلى المستشفى على يدك يخلص لاكومين(2). إن لزم أن يشقه الطبيب أو يعالجه من غير شق أعلمنا يأتيك حيناً إن لم يقدم إلى الامتحان. وأن سفر إلى الامتحان بعد رجوعه يأتيك. أما إن تركناه على هذا الحال فهو على وشك السفر إلى الآخرة(3).

والسلام من بوعزيز عبد الرحمن.

كما عالجت أولاد الناس عالج أخاك قبل كل شيء، ولا تتركه على هذه الحال أبداً، أبداً، أبداً(4).

وكما نريد منك تكاتب أحمد الزروق برسالة عزما أن قدر يلحق زوجة أخيه وأمه، يقدم عزما إليهما، وإن لم يقدر يبعث لنا الحسين يقوم مقامه كما كان أولاً، نستريح من خدمة أولاد الناس، كذب علينا كثير لم تظهر منه الإعانة

= ومشجر بالتين والمشمش، والإجاص، والرمان، والخوخ، والعنب، وغيرها، ومساحته حوالي ثلاث هكتارات، وكنت أشارك الوالد في خدمته عندما أعود من تونس أو عنابة في الصيف.

(1) كان الوالد إماماً ومعلماً للقرآن الكريم بالقرية منذ 1939 إلى وفاته عام 1955 م ويطلق على هذا العمل عرفاً بالمنطقة اسم: «اتفاق» من كلمة الاتفاق، ويجدد كل عام، بمبلغ معين. وبه كان الوالد يساعد في إعالة العائلة، وليس لنا دخل آخر ما عدا عمل الأخ في متجره بوهران.

(2) يقصد البلدية من الكلمة الفرنسية: La commune.

(3) كنت مصاباً بمرض العصمة منذ عام 1947 ـ 1948. ولازمني حتى عام 1981 م حيث أجريت عملية جراحية على البواسر، فعوفيت والحمد لله. وذلك بمدينة وهران على يدي الطبيبين: محمودي وحاجيات.

(4) كان الأخ النذير قد ساعد كل مرضى القرية من القرع أو الصلع، فسفرهم إلى وهران وأشرف على علاجهم حتى شفوا ومن هؤلاء: ابن العم بعازي مقران. وبن بلقاسم محمد الشهيد، وموسى بن اعراب، وما يزالان أحياء وآخرين.

أصلاً. إن دام الأمر على هذه الحال ها أنّي نسافر فاراً بنفسي إلى حيث أراد الله لا قوة لي على هذه الأمور الذي لا يحمد عقباه إلا الفضائح والسلام. أهـ.[1].



الشيخ عبد الرحمن بوعزيز على اليسار وابنه الحسن بوعزيز على اليمين
أخذت لهما بمدينة وهران
في حدود 1947 ـ 1948

(1) كان الأخ أحمد الزروق يعمل بمدينة الجزائر خياطاً في حي القصبة. ودبر لنفسه سكناً متواضعاً في حي العناصر، وسفر زوجته وبناته، وأخاه الحسين إلى هناك، ليكون في حراسة المنزل، والعائلة، وخلف وراءه أمه، وزوجة أخيه الحسين. وطلب الوالد من ابنه النذير بوهران أن يكاتبه ليسفر أيضاً أمه وزوجة أخيه ليخفف عليه شيئاً من عبء النفقة، وإذا لم يقدر عليه أن يعيد أخاه الحسين إلى القرية ليحل محل العامل الأجير في خدمة واجبات العائلة خاصة: سقي الماء، وجلب الحطب، والحشيش للحيوانات الحلوبة.

ثالث عشر: رسالة الشيخ الوالد عبد الرحمن بوعزيز إلى ابنه يحيى بتونس

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على النبي الكريم

في 4 ربيع الثاني 1374 هـ[1].

جناب العلامة الأرفع ابننا السيد يحيى السلام التام يعم كافة الأحباب.

أما بعد فالذي نحيطك به علماً أنني رجعت من الجزائر يوم 3 ربيع الثاني، 28 نوفمبر[2] بعدما مكثت عند العائلة تسعة عشر يوماً كنت أعلمتك برسالة حين نزولي بالجزائر انتظرنا رجوعها من عندك إلى الجزائر لم تجاوبنا عليها[3] وبعد رجوعي وجدت رسالتك التي بعثتها بعد سفري أعلمتنا إلى تلك المدة لم تشرعوا في التدريس جعل الله المانع خيراً ووجدت جواباً من أخيك النذير يذكر لنا فيه أنه بعث لك خمسة آلاف وخمسمائة من عند بيبي عمر، جزاهما الله بأحسن الجزاء. فالمرغوب منك تبعث لنا رسالة على أحوالك وعلى الصفاء والتعليم. على أني أوصيتك وأؤكد عليك أن تسلك سبيل الحياد عن كل ما يعود عليك وعلينا بالضرر. ونعلمك أن العائلة هنا عندنا، وبالجزائر، كبيرهم وصغيرهم كلهم على أحسن حال يرفعون إليك جميل السلام.

---

(1) الموافق 29 نوفمبر 1954.

(2) 3 ربيع الثاني 1374 هـ ـ 28 نوفمبر 1954 م.

(3) كان الأخ أحمد الزروق قد رحل بعائلته وأمه وأخيه الحسين إلى الجزائر العاصمة وسكن بالحي المعروف آنذاك بالمنابع: Les sources فذهب الوالد ليزوره ويرى أحواله، وقد رأيناه في رسالة سابقة يطلب من ابنه النذير بوهران أن يكاتبه، ويطلب منه أن يستقدم زوجة أخيه الحسين وأمه، وهو ما تم. ولكن حالة الأخ أحمد الزروق لم تكن مرضية مادياً، ولذلك أوصى الوالد قبل وفاته بإعادته إلى القرية، وهو ما تم مباشرة بعد وفاته في مطلع عام 1955 م. وقد استشهد هذا الأخ عام 1956، حيث اختطفه الجنود الفرنسيون في قرية ثيزى الجمعة بصدوق، وأعدموه وكان يحاول الهرب إلى وهران. وخلف وراءه ابناً وبنتين كلهم أحياء ومتزوجون.

أما أنا في حد ذاتي إلى الآن أكابد الألم. الأسقام والأمراض، نسأله سبحانه وتعالى اللطف على أني لم نجد ما نعالج به نفسي عند الأطباء.

والسلام من أبيك عبد الرحمن.

رابع عشر: رسالة الشيخ الوالد عبد الرحمن بوعزيز إليّ بتونس

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على النبي الكريم.

في 11 ربيع الثاني 1374 هـ في 6 ديسمبر 1954 م.

جناب العلامة الشيخ السيد بوعزيز يحيى عليك وعلى كل من تنتمي إليهم من الأحباب جميل السلام، أما بعد أن رسالتك التي بعثت توصلنا بها. وهذه مثلها جواباً عما سألتنا عنه عما نحن فيه. أما العائلة فهم كلهم على أحسن حال. يبلغون إليك السلام وهم كل وقت يدعون الله لك بالسلامة والعافية حتى تتم ما أنت بصدده إن شاء الله. أما أنا في حد ذاتي كما تركتني في العام الماضي لا أنا مع الحياة أعيش ولا أنا مع الأموات فأستريح من عناء الدنيا وشقائها. فاستقبل حياة جديدة أسعد مع السعداء أو. . . . . لما أصابني من الآلام والأسقام نسأله سبحانه وتعالى اللطف بنا وبجميع عباده آمين. أما العائلة التي بالجزائر من جهة الصحة البدنية على أحسن حال، وأما من جهة الدنيا ضعفاء جداً حتى استغرقوا في الديون على وجه السلف. أما أخوك النذير كاتبته ليلاقيني نتفاهم معه في بعض الأمور، كاتبني بأنه لم تساعده الظروف. أشار علي بالرجوع إلى إِلْمَايَنْ. وعلى أني حملت معي نصيب رمان، وتين إليه بالخصوص أمرني أن نتركه للعائلة. وبما أن العائلة حملت لهم معي نصيب غير نصيبه. امتثلت أمره، ورجعت. وعلى كل حال لا تهتم بنا كثيراً ولا تشغل قلبك بمثل هذه الأمور فتنسيك ما أنت مشغول به، وما أعلمناك بهذا إلّا جواباً عن سؤالك.

والسلام من أبيك عبد الرحمن.

فلا بأس إن كاتبتنا توضح لنا برنامج العلوم التي تقرؤونها في هذا العام، وعن الهدوء، والصفاء، والسلام.

خامس عشر: نص رسالة وجهتها إلى الوالد الشيخ عبد الرحمن من تونس مع نظم هو أول وآخر محاولة في الشعر

بسم الله الرحمن الرحيم[1] وصلى الله على سيدنا محمد وآله.

تونس ـ ليلة الخميس 27 ربيع الثاني 1374 هـ ـ 23 ديسمبر 1954.

جناب الورع الأفخم، التقي الأكرم، الوفي الأحزم، درة الزمان، ودعامة المكان، ومن هو رحمة لمن أحاط به من الأهل والولدان، والأصحاب والخلان، وَالِدِي الأستاذ الشيخ عبد الرحمن، إليكم أهدي سلامي، وعليكم أتلو تحياتي، وإلى حضرتكم أرفع تشكراتي من صميم القلب، وفي أعماق الضمير، راجياً من الله أن يجدكم جوابي هذا على أحسن حال. وفي غاية من حسن الصحة وتمام العافية مع اطمئنان في القلب وراحة جسمية واستقرار عقلي، تكونون من ورائها مستكملين لما يسمونه بالاستجمام العقلي والراحة الفكرية.

وبعد فلقد وردت علي رسالتكم الأخيرة، ورود الماء للظمآن والنسيم البارد للهفان، إذ أحاطتني بأخباركم وأحاطتني علماً بما أنتم عليه، غير أنها تركت في قلبي حزازة، وفي نفسي أسفاً واضطراباً، من جراء ما أنتم عليه من الألم الممضّ، والسقم المنهك لفؤادكم مما جعلكم تألمون وتحسون كثيراً رغم ما رزقتموه من الصبر الجميل على غرار يعقوب أو أيوب عليهما السلام. ويعلم

---

(1) يلاحظ في هذه الرسالة محاولة التفصح والتكلف وتكرار الجمل والعبارات، وهو أسلوب ذلك العصر مع الصغر، وقصر الباع في الإنشاء العربي.

الله يا والدي العزيز ما أحسه من جانبكم وكيف أتألم لذلك حتى أني يعوزني الصبر تارة ولا أجد ما أتأسى به سوى الالتفات إلى الله جل وعز متضرعاً إليه بمجامع قلبي أن يرزقكم السلامة، ويمن عليكم بالشفاء، ويتكرم بالعافية الأبدية، على أني لا أكتم عليكم يا أبي بأني كثيراً ما أتذكر قصة النبي أيوب عليه السلام وما جرى له في حياته مما أنتم على علم منه. فأجعل أضعكم في مكانه. ثم اذهب لخاتمة أيوب فأراه قد خرج منها موفور الصحة كثير المال في بحبوحة من العيش وسط أهله وفي داخل بيته، فأقول حينئذ: إن من فعل هذا لأَيُّوبْ لقادر على أن يصنع لكم مثل هذا وأكثر منه بأضعاف مضاعفة، وهو ليس بغريب، وما ذلك على الله بعزيز. تلك هي أمنيتي يا والدي، وذاك ما أتأسى به وأرجو الله أن يحققه. وهو نفسه أي المعنى الذي حملني على نسج هذا القصيد الذي ستقرؤونه على الصفحة المقابلة، ورغبتي فيكم كاملة في أن تغضوا الطرف مقتصرين على سردها فحسب لركاكة ألفاظها، وتشتت معاني جزئياتها، نظراً لضعفي من جهة، ولكوني إنما أردت أن أسليكم شيئاً، ولو ربع ساعة.

هذا وإن الفنون التي ندرسها هي: الأصول، والتاودي، والنحو، والبلاغة، وآداب البحث (رسالة الآداب العربية)، والحديث النبوي، وتفسير القرآن الكريم، والفرائض، في قسم العمل، والتوحيد، والتوثيق، والجبر، والكيمياء، والطبيعة، والصرف، وتاريخ الإسلام (الدولة الأموية في محاضرات الخضري)، وتاريخ أوروبا الحديث، والأدب، والإنشاء، والنصوص، والمنطق. فالجملة(20) عشرون. وهي مجموعة ينوء بها كاهل الطالب لولا لطف الله. ويقال إننا سنزاول في العام المقبل التعليم في الجامعة الزيتونية الجديدة إن شاء الله وهم بصدد البناء بها. وفيما يخص الهدوء فإن الحالة هادئة منتظرة الاستقلال الداخلي. على أحر من الجمر، والناس فرحون، والتعليم سائر والحمد لله، ورجاؤنا في الله الفتح المبين والنجاح الكامل مستزيدين منه فضله وكرمه حتى يتيح لنا أن نتغلب على جميع الوسائل في سبيل طلب العلم. وأملنا فيكم لا يخيب في أن تدعو لنا بالصلاح والفتوح وحسن السلوك. والتعفف والتزود بالتقوى مراعاة لجناب الله سبحانه وتعالى إذ هو أحسن مراقب لعبده.

وفي الختام أحيطكم علماً بأن الأخ بالجزائر (أحمد الزروق) كاتبني أخيراً وجاوبته كما أن الأخ بوهران (الشيخ النذير) راسلته ودبجته بقصيد ثاني طالباً شيئاً من الميرة[1]، ولم يسعني الوقت كي أنقله لكم. وبلغوا سلامي إلى جميع الأخوان والعائلة وعامة الأحباب والسلام من ابنكم البار يحيى بوعزيز نهج القصر عدد 12، تونس.

تونس ـ ليلة الثلاثاء 24 ربيع الثاني 1374 هـ ـ 20 ديسمبر 1954 م.

سادس عشر: إليك يا دهر: أنصت

مـــا للطـــواريء تقســـو	وفـــي القلـــوب سقـــام
مـــا للطبيعـــة تجفـــو	وفـــي النفـــوس مـــلام
مـــا للظـــواهـــر تغلـــي	وفـــي الجنـــان مســـامّ
لا تجنـــي يـــا دهـــر عنـــي	إن الحفيظـــة تنمـــو
فكيـــف يحلـــو المقـــام	وفـــي البعـــاد إيـــلام
ومـــا التغـــرب إلاّ	وهـــو العـــذاب الأليـــم
مـــا البيـــن إلاّ سجـــلا	تخـــط فـيـــه الآلام
يعـــدهـــا الكـــون عفـــواً	ومـــا للمـــرء كـــلام
إليـــك يـــا دهـــر أنصـــت	عمـــا يقـــول الأنـــام
أتـــانـــي فـــي الغـــرب وصـــل	وزفّنيـــه الكـــريـــم
كـــريـــم نفـــس وروح	زكـــيّ أصـــل يـــدوم
يقـــول فيـــه : عليـــل	تـــوزعتـــه الهمـــوم

(1) لا أثر لهذا القصيد ضمن هذه الأوراق. ويبدو أن الأخ النذير احتفظ به عنده وضاع مع باقي الأوراق والرسائل. وقد حاولت نظم الشعر، فلم أفلح وتوقفت عنه، وأتذكر أني نظمت قصيداً في المشاعر الحرام بمناسبة رحلة الوالد إلى الحج. ولكن ضاع ولم يبق إلا القصيد التالي.

فـــالـــروح منـــه سليـــم والجســـم قـــال : كليـــم
ومـــا شكـــاتـــه إلاّ مـــن ضـــرّ أيـــوب ينمـــو
ظـــاهـــره علـــى جسمـــه ومـــا للنفـــس سقـــام
وذاك مـــن فضـــل ربـــي حيـــن أن كـــان الحميـــم
خيـــر نبـــي مصـــاب ومـــع ذاك حليـــم
فـــلا غـــرابـــة بعـــد أن عـــوضـــه ذا الكـــريـــم
بخيـــر أهلـــه ثـــم ومثلهـــم معهـــم
رحمـــة منـــه إليـــه وذكـــرى لا تنفصـــم
أن تـــرزق الشفـــا منـــه ويستجـــاب المـــرام
إذ المثيـــل لـــلأصـــل فمهمـــا كـــان عظيـــم
مقـــامـــه عنـــد ربـــي دائمـــاً يـــزكـــو ويسمـــو
فيـــا لهـــا مـــن بشـــارة سيـــروا إليهـــا وقـــومـــوا
بشـــرى لكـــم فيمـــا عـــزمتـــم وأيـــم الله عظيـــم
وإنـــي عنـــد الختـــام ومـــا بهـــذا كتـــوم
أقـــول : دمتـــم بخيـــر وســـوف تمحـــى الغيـــوم
والله نســـأل دومـــاً وفـــي الجـــوانـــح كلـــم
أن تخـــرجـــوا بـــرآء عليكـــم منـــي الســـلام
ثـــم الصـــلاة دومـــاً يتلـــوهـــا تـــوا ســـلام
علـــى خيـــر النـــاس طـــرا مـــا صلـــى نـــاس وصـــامـــوا
وعلـــى أهلـــه بعـــد بمـــا فـــي ذاك الأنـــام

تونس 24 ربيع 2 عام 1374 هـ

بوعزيز يحيى
الجزائري

الإهــداء:

يقول بعض الشعراء في معرض الحديث عن الأصدقاء: أن القرين إلى المقارن ينسب. وهذا القصيد في معنى هذا العجز من البيت. ذلك أني عوض أن أتحدث عنكم أو إليكم عدلت عن هذا وذهبت أبحث عن قرين لكم، فلم أجد أنسب، إليكم من النبي أيوب عليه السلام، ذلك الرسول الذي قاسى ما ينوء به الدهر من الأسقام والآلام، وأخيراً خرج بسلام. فإليكم وإليه أهدي هذا القصيد بالتمام.



المؤلف: يحيى بوعزيز على اليسار.

والشهيد: محمد بن بلقاسم على اليمين في حي باب السويقة بمدينة تونس عام 1955.

سابع عشر: رسالة الشيخ الوالد عبد الرحمن بوعزيز

إلى ابنه الشيخ النذير بوهران

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على النبي الكريم.

في جمادى الأولى 1374 هـ في 2 جانفي 1955.

حضرة الابن الصالح السيد النذير السلام عليك التام يعم كافة من معك في المحل[1] والفقراء، والأحباب، من غير تخصيص، أما بعد أن العائلة في أحسن حال يبلغون إليك السلام وأن رسالتك الأخيرة وصلتنا وكذلك ما بعثته مع بن شيحة البومسعداوي[2] عشرة آلاف، وقفة مخيطة في داخلها سباط[3] وقدر زوج كيلوطامسو[4]، وتفاح كذلك. وحلاوات، كلهم وصلوا، كن هنيئاً (كذا)، إلا أنني لم نجتمع معه من سوء الحظ اليوم الذي قدم عندنا وهو يوم الأربعاء الماضية وجدني سفرت إلى برج بوعريريج من أجل بعثولي كارطة[5]، من عند الجوج[6]، في شأن قسمة أقطار[7] الزاوية، توقفت المسألة علي حتى نحضر، وجدته ترك كل ما بعثته في الدار. ورجع في حال سبيله.

أما مسألة أختكم جميلة فلا تتعب نفسك في شيء عليها فلا مطمع في حياتها لأنه مرض لم يتبيّن منه شيء مما هو في باطنها. كل ما تأكله تتقيؤه. ولم يثبت في باطنها شيء. وهي الآن رجعت مثل عود يابس صرفنا عليها أنا وزوجها

---

(1) يقصد المحل التجاري في شارع قسنطينة رقم 20 وما يزال حتى اليوم في أيدي أبناء الأخ وكان يمارس فيه عمل الخياطة. أما اليوم فيبيع فيه الأبناء الأحذية.

(2) يقصد السيد عمر بن شيحة من قرية بو مسعدة. وما يزال الرجل حياً بوهران، ويعمل خياطاً.

(3) يقصد حذاء والكلمة مستعملة كثيراً في الجزائر، وهي على ما يبدو من أصل اسباني.

(4) يقصد 2 كيلو برتقال من نوع الطامسو، وهو أجود الأنواع عندنا بالجزائر وفي الخارج.

(5) يقصد بطاقة استدعاء من الكلمة الفرنسية: Convocation.

(6) يقصد القاضي، من الكلمة الفرنسية: Le Juge.

(7) يقصد هكتار.

البشير أُونَاصَرْ مصروف كبير. كل ما ذكروه (كذا) لنا الناس، ولم يفد في ذلك شيء، والعلم لله في المستقبل[1].

أما ما بعثت من المصروف دفعت منهم ثلاثة آلاف وأربعمائة إلى عبدالله الوصيف، وخمسمائة فرنك وألف فرنك اشتريت بهم تبن (كذا) للحمار، وألفين فرنك قهوة، وسكر وغاز، وصابون، وألف فرنك صرفته في طريقي إلى البرج، رجعته إلى صاحبه، وهذا ما يجب به الإعلام أعلمتك تماماً لتكون على علم من أمورنا كلها.

وأما أخوكم يحيى ها هي رسالته بعثتها إليك صحبة هاته الرسالة لتراها ثم ترجعها لما أنها منظومة لا ينبغي التفريط فيها[2].

والسلام من بوعزيز عبد الرحمن.

ثامن عشر: رسالة الشيخ الوالد عبد الرحمن بوعزيز إِلَيّ بتونس

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على النبي الكريم

في 5 جمادى الأولى 1374 هـ في 2 جانفي 1955 م.

جناب العلامة الشهير والعارف الكبير بوعزيز السيد الشيخ يحيى، السلام عليك ورحمة الله وبركاته تشمل كافة من تنتمي إليهم من الأساتذة والتلاميذ، والأحباب، والفقراء، من غير تخصيص. أما بعد نعلمك أن كافة العائلة كبيرهم وصغيرهم على أحسن حال وأنهم يبلغون إليك سؤالهم ويدعون الله لك بكل خير، وكذلك كافة ذوي القربى وغيرهم من أهل القرية يرفعون إليك تحيتهم من

(1) البشير أُونَاصَرْ هو زوج الشقيقة المرحومة جميلة التي يتحدث الوالد عن مرضها. وهو من قرية إِلْمَايَنْ، المجاورة لقريتنا مزرراق. وكان رجلاً محترماً ولكنه كانت له متاعب مع شقيقه الذي كان يسكن معه.

(2) يشير إلى رسالة 27 ربيع الثاني 1374 هـ - 23 ديسمبر 1954 م المصحوبة بالقصيدة الشعرية التي سماها بالمنظومة وهو أصدق تعبير عليها لأنها نظم وليست شعراً. ولذلك توقفت عن قول الشعر كما ذكرت سابقاً.

صميم القلب حسبما أكدوا علينا تبليغها إليك. وإن رسالتك الأخيرة التي بعثتها معها، منظومة، تشير لمقام نبي الله ورسوله سيدنا أيوب عليه السلام[1]، بارك الله فيك أحسنت، أحسن الله إليك وجزاك بأحسن ما يجزي به أحبابه، بما أن التفاؤل حسن حيث قرنتني بنبي كريم القائل في حقه عليه السلام «نعم العبد أنه أواب». نسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبله منك ويجازينا بشيء منه بفضله وجوده، وكرمه، أنه كريم منان.

ونعلمك أن أختك جميلة أصابها الله بمرض كبير لها مدة شهرين أو أزيد هي عندنا نعالجها بما نعرفه ويما يخبرونا (كذا) به المجربون من جميع الأدوية ولم يفد ذلك في شيء ولا أظن أنها تعيش بما أنها رجعت كعود يابس والعلم لله في المستقبل. وصرفنا عليها مصاريف باهظة أنا وزوجها محمد البشير، وقف بها وقفة الرجل الصادق الحق يقال[2] ونعلمك أيضاً أن أخاك الحسن ذكر لنا أنه بعث لك أربعة آلاف فرنك (4000) أصحيح ذلك أم مجرد سفسطة، وزور، وكذب، اجتمعت به في هذه الأيام ببرج أبي عريريج أخبرني بذلك. وإني سررت سروراً عظيماً بما أنت فيه من مزاولة الدروس في نحو عشرين فناً حيث أن الله سبحانه وتعالى لم يخيب آمالنا فيك، ويسر علينا وعليك فالحمد لله.

هذا وأن أخاك النذير بعث إلينا بالمنظومة التي أثنيت عليه بها[3] وذكر أنه

---

(1) هي المنظومة السابقة التي تحمل تاريخ 24 ربيع الثاني 1374 هـ الموافق 20 ديسمبر 1954 م. والمرفوقة بالرسالة التي تحمل تاريخ 27 ربيع الثاني 1374 هـ الموافق 24 ديسمبر 1954 م. وأرسلتها إليه من تونس، وأرسلها هو إلى الأخ النذير بوهران ليطلع عليها. ثم يعيدهما إليه.

(2) وفعلاً ماتت هذه الأخت من جراء ذلك المرض الذي اتضح أنه بوصفير كما سنعرف في رسالة تالية.

(3) للأسف هذه المنظومة مفقودة في هذه الأوراق التي لها قصة طريفة، فقد جمعتها الوالدة بعد وفاة الوالد مع صورة لي، وأوراق أخرى للأخ النذير، وعندما تم تهجير العائلة من القرية أمزرراق من طرف جيش الاحتلال. التحقت بقرية أولاد سيدي يذير لدى صهرنا الحاج المختار طالبي. وهناك أخفت الوالدة هذه الرسالة وباقي الأوراق والصور بين قرمودتين على سطح غرفة علوية وذلك منذ عام 1957 إلى 1981 حيث قام أحد أفراد عائلة طالبي بإصلاح قرمود الغرفة وعثر على هذا الملف فأرسله مشكور إلينا بوهران، =

بعث إليك خمسة آلاف مصروف مع ما تيسر من الكسوة، بارك الله فيه وأعانه على خدمته وأجزل ثوابه في الدارين، آمين، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجمع شمله مع أهله عن قريب[1] أنه سميع مجيب والسلام من أبيك عبد الرحمن بوعزيز، ويسأل عنك الهادي، وزينب وكلثوم، وعبد المجيد، وامباركة، ومحمد الطاهر[2] والسلام.

ولا تطل علينا ببعث الرسائل لنكون على بـال من أحوالك والسلام.

تاسع عشر: رسالة الشيخ الوالد عبد الرحمن بوعزيز إلى ابنه الشيخ النذير بوهران

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على النبي الكريم.

في 22 جمادى الأولى 1374 هـ في 15 جانفي 1955 م.

حضرة ابننا السيد النذير عليك السلام التام يعم كافة الأحباب، والفقراء من غير تخصيص، أما بعد نعلمك أن ما بعثته من الدواء والثمن، عشرة آلاف فرنك ها أني قبضتهم جميعاً كن هنيئاً (كذا) نرجو الله أن يرزقنا الشفاء بسبب هذا

= وكان ذلك رحمة وبركة ومزية كبرى أتاحت لنا تسجيل المزيد من المعلومات عن حياة الوالد، والعائلة والمشاكل التي كان الوالد يواجهها.

(1) كان الأخ الشيخ النذير، يعمل في متجره بوهران، وهو الذي كان يصرف على العائلة، وعليّ أنا بتونس عندما كنت أدرس. وهو أكبرنا جميعاً، ويحترم الوالد ويطيعه ولا يخالف رأيه كما أن الوالد يقدره كثيراً، وبما أن الغربة طالت عليه فكان يلح عليه دائماً أن يؤجر مسكناً له في مكان عمله، ويأخذ أسرته إليه. ولكن الأخ كان يرفض ذلك دائماً، ويقول له لا يمكن لي أن أسكن المدينة بدونك، وأتركك ورائي. وبقي على هذا الرأي حتى وفاته. وبعد أن هجرت العائلة من القرية، وهدم جيش الاستعمار منزلنا وأغلب منازل القرية استقدم الأخ النذير العائلة كلها إلى وهران عام 1958 وكافح عليها حتى عدت من الغربة عام 1962 م فقاسمته العبء حتى توفي رحمه الله عام 1980 م.

(2) الهادي، وزينب، وكلثوم إخوتي الأشقاء من أمي وأبي. والثلاثة الآخرون أبناء أخي الحسن وما يزال ابنه عبد المجيد، وبنته امباركة، أما محمد الطاهر فقد توفي. وله أيضاً أبناء آخرون هم: مصطفى، وبلقاسم، وربيعة، وحياة. أما هو فتوفي عام 1993.

الدواء إن شاء الله إلا أنك لم تعلمني عما نجانبه من الأكل وما يناسبني، وكما نعلمك أن البنت الزهرة، هي والبنت جميلة أصابهما المرض الذي يسمونه الصّفّاير، أصفرت ألوانهما، وها أنا نعالج بكل دواء جربوه (كذا) الناس، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يعجل لهما الشفاء. أما البنت جميلة هذه الساعة لم يظهر لنا شيء من مرضها، وهي دئماً في نقصان الله يلطف بعبده يرزق من يشاء بما شاء. «وما تشاؤون إلّا أن يشاء الله رب العالمين». وكما نرغب منك أن تيسر لك أن تسأل الطبيب عن مرض الصفاير، وتبعث لنا دواءه إن أمكنك ذلك، وإلا فلا بأس عليك. وكذلك إن وجدت مع من تبعث لي شيئاً من الأتاي[1] الأحمر كالذي يشربه المشارقة، وشيئاً من الأتاي [1] الأخضر كالذي يبيعه الأولاد في الزقاق بقربكم مع الطريق الذي فوق الحمام تمر إلى جامع الشريفية[2] فهو أحسن.

وأما هذا الذي بعثت لي. أولاً: طعمه لم يوافق، قليله يضر وكثيره كذلك، وإنني بعت القش[3] الذي بعثت إلى يحيى عيسى[4] بثلاثة آلاف فرنك، وزدت عليهم ألف وخمسمائة، كيّلت ثلاثين يطره[5] زيت سوم[6] ثمانية وعشرين دوريات[7].

والسلام من بوعزيز عبد الرحمن.

---

(1) يقصد الشاي، ولكن العامة عندنا تعبر عنه بالأتاي.

(2) يقع متجر الأخ النذير بحي المدينة الجديدة، ويقابله حمام كبير ومشهور يملكه أخ ميزابي وعلى يمين المتجر شارع كبير يمتد من الغرب إلى الشرق ويعتبر سوقاً رئيسياً للمدينة الجديدة، ويعمر يومياً، ويزدحم بالباعة والمشترين ومن بينهم باعة الشاي على الأرصفة. وفي نهايته الشرقية يقع المسجد الذي يحمل اسم جامع الشريفية، وبجواره محكمة القاضي، وهو ما يشير إليه الوالد، وما يزال هذا السوق حتى اليوم ويعرفه الوالد لأنه مرة على مرة يزور الأخ النذير بوهران.

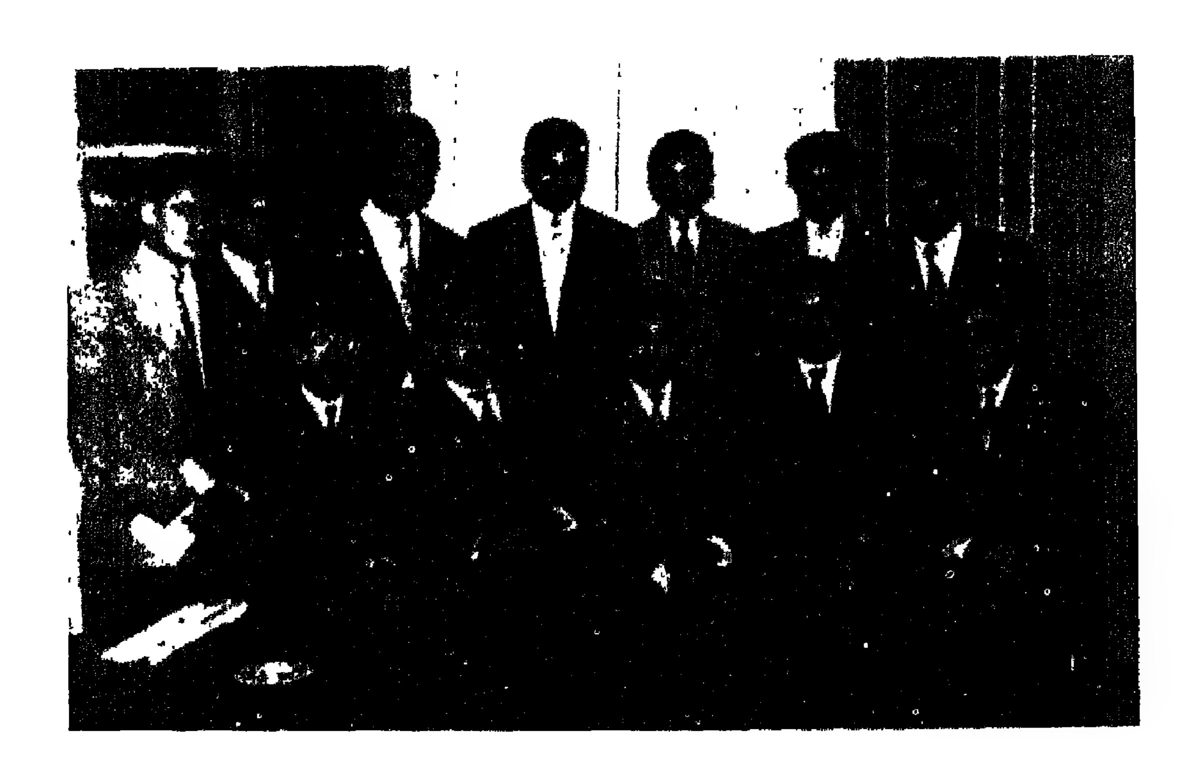
(3) يقصد الملابس. وهو تعبير شعبي متداول في الجزائر وبلدان المغرب.

(4) هذا الشخص شقيق زوجة الأخ الحسين، ويعمل عند الوالد بالمشاهرة. يسقي الماء، ويحتطب، ويسرح الماعز عندما يحضر دور العائلة، ويساعد الوالد في خدمة البستان.

(5) يقصد: ليتر، وهو تعبير شعبي.

(6) يقصد: سعر، وهو تعبير شعبي.

(7) جمع دور، وهو خمسة صنتيمات، وما تزال تستعمل حتى اليوم.



هذه الصورة أخذت يوم الخمس 1959/12/10 بنادي الطلبة العرب 6 شارع بنك مصر بالقاهرة أثناء حفلة تكريم أقامها الاتحاد للطلبة العسكريين الذين حضروا إلى القاهرة. وتمثل من اليمين إلى اليسار الواقفون: محمد بلعيد، وعبود عليوش وعلي مفتاحي، وأحمد فرقاف، ومحمد خبشي، ومحمد طالب، وسعدالله بلقاسم. والجالسون: الأول على اليمين لا أتذكر اسمه وبعده: نوار المشرف العسكري على الطلبة العسكريين، ثم عيسى بوضياف ثم كريم بلقاسم وزير الدفاع، ثم يحيى بوعزيز (المؤلف).

نبذة عن حياة المؤلف يحيى بوعزيز

ولد الدكتور يحيى بوعزيز يوم 27 ماي 1929 بقرية الجعافرة، في دائرة الجعافرة، من ولاية برج بوعريريج، حفظ القرآن الكريم، وتعلم مبادىء اللغة العربية، على والده: الحاج عبد الرحمن، وفي عام 1947 التحق بمدينة عنابة وزاول تعليمه الابتدائي هناك في مدرسة خاصة، وفي أواخر عام 1949 التحق بمعهد الزيتونة في تونس، حيث حصل على شهادة الأهلية بامتياز وجائزة عام 1953 وكان الأول في سائر المملكة التونسية آنذاك، وعلى شهادة التحصيل في أواخر عام 1956.

وفي خريف عام 1957 التحق بجامعة القاهرة في مصر، واختص في دراسة التاريخ، وحصل على شهادة الليسانس في مطلع عام 1962 م.

وعندما عاد إلى الوطن حصل على شهادة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر من جامعة الجزائر في أكتوبر 1976 م.

اشتغل خلال وجوده بتونس، في ميدان الصحافة، في إطار نشاط جبهة التحرير الوطني الجزائرية، ونشر عشرات المقالات في الصحف والمجلات الفرنسية، ونشر كتاباً عن كفاح الأمير عبد القادر. وكان عضواً في الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، ورئيس اللجنة الثقافية في تونس، وفي القاهرة.

وفي القاهرة شارك في إذاعة حصص من إذاعة صوت العرب عن كفاح الشعب الجزائري، وترأس اللجنة الثقافية، وتحرير مجلة الطالب الجزائري، التي كان يصدرها الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين (فرع القاهرة).

وعندما عاد إلى الوطن بعد الاستقلال عام 1962 م اشتغل في مهنة التدريس وعين عضواً في لجنة التأليف المدرسي الوزارية في صيف عام 1963 م بالعاصمة، وكلف عام 1969 م بوضع كتاب مدرسي في التاريخ الحديث للسنة الأولى من التعليم الثانوي مع زميلين آخرين، وأنجزه.

وألف كتاب: الموجز في تاريخ الجزائر، ونشر عدداً كبيراً من المقالات والبحوث الوثائقية التاريخية عن تاريخ وحضارة الجزائر خاصة عن الكفاح التحريري في القرنين: التاسع عشر، والعشرين، وبعد ذلك نشر 24 كتاباً و80 مقالاً تاريخياً عن تاريخ وحضارة الجزائر.

وهو الآن أستاذ للتاريخ الحديث والمعاصر في معهد التاريخ بجامعة وهران، وعضو في مجلس البحث العلمي بنفس المؤسسة، وعضو في اتحاد الكتاب الجزائريين وفي رابطة المؤرخين الجزائريين، وشارك في معظم ملتقيات الفكر الإسلامي التي تعقد سنوياً بمدن الجزائر، وفي ملتقيات علمية خارج الجزائر منها مؤتمر المستشرقين الألمان الواحد والعشرين ببرلين الغربية في أواخر شهر مارس 1980، والملتقى الدولي الثاني لتاريخ المغرب وحضارته بتونس في آخر نوفمبر 1980 وملتقى رد فعل تونس من الاحتلال الفرنسي لها عام 1881 في آخر شهر ماي 1981، وملتقى تاريخ التجارة عبر الصحراء بمدينة طرابلس الليبية فيما بين 1 و4 اكتوبر 1979 م، وملتقى صيانة جزيرة جربة بنفس الجزيرة فيما بين 7 و11 أبريل 1982 م، وملتقى تاريخ العلاقات العربية التركية بطرابلس الغرب فيما بين 13 و18 ديسمبر 1982 م، وملتقى التراث والمعاصرة بالجزائر في جويلية 1984 م. والملتقى الدولي عن صدى الثورة الجزائرية بالخارج في أواخر شهر نوفمبر 1984، وملتقى الحركة الوطنية وحروب التحرير 1850 ـ 1950 بالجزائر في أوائل ديسمبر 1984. والملتقى الدولي الرابع لتاريخ المغرب وحضارته بتونس عام 1986 م. وملتقى تجاوب الثورات الشعبية بالمغرب العربي في تونس خلال فيفري 1992 وملتقى دور المرأة العربية في حركة الإصلاح بمدينين في جنوب تونس خلال ماي 1992، وغيرها.

من إنتاج المؤلف يحيى بوعزيز

I ـ الكتب المطبوعة:

1 ـ الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري ـ ط 3 (تونس 1983) 336 ص.

2 ـ الموجز في تاريخ الجزائر 1 (الجزائر ـ المطبوعات الوطنية 1965) 220 ص.

3 ـ تاريخ العالم الحديث من فجر الصناعة إلى الحرب العالمية الثانية بالاشتراك مع الزميلين: أحمد بن الطاهر وبلعديس بلحاج (الجزائر 1969) 345 ص.

4 ـ ثورة 1871 (دور عائلتي المقراني والحداد) الجزائر ـ 1978 ـ 471 ص.

5 ـ ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين (الجزائر ـ قسنطينة ـ 1980) 550 ص.

6 ـ مراسلات الأمير عبد القادر مع إسبانيا وحكامها العسكريين بمليلة (الجزائر، قسنطينة ـ 1982) 120 ص. (ط 2 ـ 1986).

7 ـ علاقات الجزائر الخارجية 1500 ـ 1830 (الجزائر ـ ديوان المطبوعات الجامعية ـ 1985) 206 ص.

8 ـ التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1930 ـ 1954 (الجزائر ـ 1985) 159 ص.

9 ـ وهران عبر التاريخ (الجزائر ـ 1985 م) ـ 189 ص.

10 ـ تلمسان عاصمة المغرب الأوسط (الجزائر ـ 1985 م) 92 ص.

11 ـ الأيديولوجيات السياسية للحركة الوطنية الجزائرية (1920 ـ 1954 م) (الجزائر ـ 1985) 178 ص.

12 ـ كفاح الجزائر من خلال الوثائق (الجزائر ـ 1986) 338 ص.

13 ـ الاستعمار الحديث في إفريقيا وآسيا وجزر المحيطات (الجزائر. د.م.ج. ـ 1988) 135 ص.

14 ـ مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية. (الجزائر. د.م.ج. 1991) 422 ص.

15 ـ فريدة منيسة أو تاريخ قسنطينة (الجزائر د.م.ج. 1991).

16 ـ وصايا الشيخ الحداد ومذكرات ابنه سي عزيز. (الجزائر ـ م.و.ك ـ 1989).

17 ـ طلوع سعيد السعود في أخبار وهران ومخزنها الأسود. (بيروت ـ دار الغرب الإسلامي ـ 1990) 2 أجزاء.

18 ـ الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية (الجزائر ـ د.م.ج ـ 1991) 142 ص.

19 ـ المراسلات الجزائرية الإسبانية في أرشيف التاريخ الوطني لمدريد (1780 ـ 1798) (الجزائر. د.م.ج. 1993) 253 ص.

20 ـ مواقف العائلات الأوروستقراطية من الباشاغا المقراني وثورته 1871 (الجزائر. م.و.ك 1994) 162 ص.

21 ـ أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة (بيروت ـ دار الغرب الإسلامي ـ 1995) 2 أجزاء.

22 ـ روضة النسرين في مناقب الأربعة المتأخرين لابن معد. (تحقيق). (بيروت ـ دار الغرب الإسلامي ـ 1995 م).

23 ـ سيرة الأمير عبد القادر وجهاده لمصطفى من التهامي (تحقيق). (بيروت ـ دار الغرب الإسلامي ـ 1995 م).

24 ـ السياسة الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب الجزائري.

II ـــ كتب مخطوطة:

1 ـ الثورة في الولاية الثالثة.

2 ـ من أحداث ثورة أول نوفمبر الكبرى. خيبات الوزير المقيم لاكوست.

3 ـ في بيوت أذن الله أن ترفع.

4 ـ المرأة الجزائرية وحركة الإصلاح المنسوية العربية.

III ـــ البحوث والمقالات المنشورة:

1 ـ ثورة محمد المقراني والشيخ ابن الحداد، مجلة الأصالة، عدد 2، (الجزائر، ماي 1871) ص 22 ـ 29.

2 ـ الحقيقة عن دور زاوية صديق والأخوان الرحمانيين في ثورة 1971. الأصالة، عدد 14/15 (ماي، جوان، جويلية، أوت 1973) ص 161 ـ 172.

3 ـ واقع ومستقبل التعريب في الجزائر. الأصالة، عدد 17 و18 (نوفمبر 1973 جانفي 1974) ص 123 ـ 129.

4 ـ من كفاح الجزائر في القرن التاسع عشر، أربعة أحداث في ثلاثة وثائق، الثقافة، عدد 45 (الجزائر، يوليو 1978) ص 9 ـ 24. والمجلة التاريخية المغربية، عدد 2 (تونس ـ جويلية 1974) ص 94 ـ 102.

5 ـ جهود الجزائر الفكرية في موكب الحضارة العربية، الأصالة، عدد 19 (مارس أبريل 1974) ص 287 ـ 301.

6 ـ مكانة ثورة أول نوفمبر 1943 بين الثورات العالمية ودورها في تحرير الجزائر وإفريقيا. الأصالة، عدد 22 (نوفمبر، ديسمبر 1974) ص 138 ـ 150.

7 ـ موقف بايات تونس من ثورة الأمير عبد القادر. الأصالة، عدد 23. (جانفي ـ فيفري 1975). ص 23 ـ 34.

8 ـ الأمير عبد القادر ومشروع قناة قابس والبحر الإفريقي. الأصالة، عدد 25 (ماي جوان 1975) ص 97 ـ 118.

9 ـ المراحل والأدوار التاريخية لدولة بني عبد الواد الزيانية، الأصالة عدد 26 (جويلية. أوت 1975) ص 3 ـ 19.

10 ـ أوضاع الجزائر السياسية في القرن الماضي، مجلة الثقافة عدد 29 (الجزائر ـ اكتوبر، نوفمبر 1975) ص 9 ـ 27.

11 ـ حقيقة مطالب المغرب التاريخية حول الساقية الحمراء وادي الذهب، الأصالة، عدد 28 (نوفمبر ـ ديسمبر 1975) ص 61 ـ 69.

12 ـ موقف الجزائريين من تجنيس اليهود الجماعي. الثقافة، عدد 30 (ديسمبر 1875 جانفي 1976) ص 39 ـ 63.

13 ـ موقف وجهاء الأيالة الوهرانية من ثورة القراني والحداد عام 1971، الأصالة عدد 29 (30 جانفي، فيفري 1976) ص 43 ـ 48 والمجلة التاريخية المغربية، عدد 5 (تونس، جانفي 1976) ص 48 ـ 51.

14 ـ حول الملتقى التاسع للفكر الإسلامي بتلمسان، ملاحظات واقتراحات

الأصالة، عدد 29 ـ 30 (جانفي فيفري 1976) ص 176 ـ 185.
15 ـ وثائق جديدة عن ثورة بن ناصر بن شهرة (1851 ـ 1875). الثقافة، عدد 31 (فيفري ـ مارس 1976) ص 39 ـ 48.
16 ـ مكانة عبد الحميد بن باديس بين مصلحي الشرق العربي الإسلامي، مجلة أول نوفمبر، عدد 15 (الجزائر. أفريل 1976) ص 1 ـ 4.
17 ـ حقائق عن نظام المغرب العربي الأقصى، مجلة أول نوفمبر، عدد 15 (الجزائر ـ أبريل 1979).
18 ـ المجاعة بالجزائر أواخر الستينات من القرن 19 ومواقف وآراء الجزائريين من ادعاءات الفرنسيين حول أسبابها. الأصالة، عدد 33 (ماي 1976) ص 7 ـ 29.
19 ـ أضواء على انتفاضة سكان واجه الزعاطشة والشيخ بوزيان عام 1849، الثقافة عدد 32 (أبريل ـ ماي 1976) ص 39 ـ 50.
20 ـ وثيقتان جديدتان عن كفاح الشريف محمد بن عبدالله (1841 ـ 1895). الثقافة، عدد 33 (يونيو ـ يوليو 1976) ص 11 ـ 28.
21 ـ عنابة عبر التاريخ، الأصالة، عدد 34 ـ 35 (يونيو ـ يوليو 1976) ص 17 ـ 25.
22 ـ بعض عبر وأبعاد يوم 5 جويلية، ويوم 20 أوت، مجلة أول نوفمبر، عدد 17 (أوت 1976) ص 21 ـ 26.
23 ـ أضواء على كفاح الشريف بوشوشة، الثقافة، عدد 34 (أغسطس ـ سبتمبر 1976) ص 85 ـ 99.
24 ـ وثائق جديدة عن دور محيي الدين بن الأمير عبد القادر في ثورة 1871 وعن موقف أبيه والسلطات التونسية منه، الأصالة، عدد 38 (أكتوبر 1976) ص 25 ـ 62.
25 ـ من وحي الملتقى العاشر تجربة الجزائر الرائدة، عدد 38 (أكتوبر 1977) ص 117 ـ 137.
26 ـ الأوضاع السياسية قبيل اندلاع الثورة، مجلة أول نوفمبر، عدد 19 (نوفمبر

1976) ص 117 ـ 137. ولماذا لا يستفيد العرب من تجارب تاريخهم، مجلة أول نوفمبر، عدد 18 (الجزائر ـ نوفمبر 1976).

27 ـ دور الشيخ الجعدي في ثورة 1871 من خلال الوثائق، الثقافة عدد 35 (أكتوبر ـ نوفمبر 1976) ص 11 ـ 25.

28 ـ ملامح عن قلعة بني حماد والدولة الحمادية وبجاية، الثقافة، عدد 36 (ديسمبر 1976، جانفي 1977) ص 11 ـ 25.

29 ـ نماذج من مقاومة سكان الواحات، الأصالة، عدد 41 (جانفي 1977) ص 117 ـ 134.

30 ـ معابر الحركة الوطنية في القرن العشرين. مجلة أول نوفمبر، عدد 20 (الجزائر، فيفري 1977).

31 ـ دور الأخوان الرحمانيين في ثورة 1871 بمنطقة باتنة وأثر المقراني والحداد فيها. الثقافة عدد 38 (أبريل، ماي 1977) ص 11 ـ 27.

32 ـ وثائق جديدة عن موقف الأمير عبد القادر والدولة العثمانية من الثوار المقرانيين عام 1871، الثقافة عدد 39 (يونيو، يوليو 1977) ص 11 ـ 24.

33 ـ حول ملاحظات وانطباعات الشيخ سليمان داود بن يوسف عن ثورة 1781. الأصالة، عدد 46 ـ 47 (الجزائر. جوان ـ جويلية 1977) ص 105 ـ 117.

34 ـ ثورات سكان الزواغة وفرجيوة والبابور ضد الاستعمار الفرنسي وقضية الحاج بن عز الدين، الثقافة، عدد 40 (الجزائر أغسطس، سبتمبر 1977) ص 11 ـ 21.

35 ـ جهود الأمير عبد القادر وخلفائه في تدعيم الجبهة الشرقية القسنطينية، الأصالة، عدد 48 (أوت 1977) ص 2 ـ 42.

36 ـ أوضاع المنفيين بعد ثورة 1871 من خلال رسائلهم، الثقافة، عدد 42 (الجزائر، ديسمبر 1978 جانفي 1979) ص 9 ـ 20.

37 ـ المجهولون من زعماء المقاومة في الشرق الجزائري، الأصالة، عدد

54 ـ 55 (فيفري ـ مارس 1978) ص 31 ـ 58.

38 ـ ازدهار الحضارة والفكر الإسلاميين في المغرب الإسلامي ودورهما في نهضة أوروبا ويقظتها (عنابة الملتقى العاشر للتعرف على الفكر الإسلامي جويلية 1976) 38 ص، الأصالة عدد 75 ـ 76 ـ 77 ـ 78 (نوفمبر، ديسمبر 1979، جانفي، فيفري 1980) ص 113 ـ 144، الملتقى العاشر للفكر الإسلامي، (الجزائر، مطبعة دار البعث 1980) ص 223 ـ 226.

39 ـ علاقات الجزائر مع دول وممالك أوروبا فيما بين القرن السادس عشر، ومطلع القرن التاسع عشر (باتنة، الملتقى الثاني عشر للتعرف على الفكر الإسلامي، سبتمبر 1978) 27 ص، مجلة الثقافة، عدد 48 (الجزائر، ديسمبر 1978) 17 ـ 34.

40 ـ مواقف الرستمين التونسيين من الصباحية والكبلوتي في منطقة الحدود الشرقية عام 1871، الأصالة، عدد 60 ـ 61 (الجزائر، أوت، سبتمبر 1978) ص 57 ـ 202.

41 ـ انتفاضة سكان الأوراس عام 1879، الأصالة، عدد 60 ـ 61 (الجزائر سبتمبر 1978) ص 223 ـ 233.

42 ـ أربعة أحداث في ثلاثة وثائق، الثقافة، عدد 45 (الجزائر، يونيو، يوليو 1978) ص 9 ـ 24.

43 ـ أضواء على ثورة أولاد سيدي الشيخ (1864 ـ 1873) مجلة الثقافة عدد 46 (الجزائر، أوت، سبتمبر 1978) ص 11 ـ 32، وعدد 51 (ماي، جوان 1979) ص 31 ـ 64.

44 ـ مواقف العائلات الأروستقراطية من محمد المقراني وثورته وأحداث أخرى من خلال الوثائق عن ثورة 1871، الأصالة، عدد 65 ـ 66 (الجزائر، جانفي، فيفري 1979) ص 76 ـ 95.

45 ـ تدخل الأمير عبد القادر لدى سلطات تونس لصالح الثائرين الكلبوتي وبن شهرة. مجلة جمعية الجغرافية والآثار لمدينة وهران (الجزائر 1977 ـ 1978).

46 ـ مشاكل البحث العلمي بالجزائر، الأصالة، عدد 67 (الجزائر مارس 1979) ص 18 ـ 30.

47 ـ سياسة نابليون الثالث تجاه الجزائر من خلال أقواله ورسائله 1852 ـ 1870. الثقافة عدد 50 (الجزائر. مارس، أبريل 1979) ص 13 ـ 33.

48 ـ اهتمامات الفرنسيين بالتوارق ومنطقة الهقار من خلال ما كتبوه، الأصالة، عدد 72 (أوت 1979) ص 51 ـ 68.

49 ـ اهتمامات الفرنسيين بجنوب الجزائر والصحراء من خلال ما كتبوه الملتقى الثالث عشر للفكر الإسلامي (تامنراست أوت، سبتمبر 1979) ص 35. الثقافة، عدد 57 (مايو، يونيو 1980) ص 15 ـ 28 وعدد 58 (يوليو، أوت 1980) ص 45 ـ 60.

50 ـ طرق القوافل والأسواق التجارية بالصحراء الكبرى كما وجدها الأوروبيون خلال القرن 19. ملتقى تاريخ التجارة عبر الصحراء (مركز بحوث ودراسات الجهاد الليبي، طرابلس ليبيا، أكتوبر 1979) ص 15. الثقافة عدد 69 (ديسمبر، أكتوبر 1980) ص 13 ـ 30.

51 ـ ماضي مدينة وهران وأمجادها التاريخية. الثقافة، عدد 52 (الجزائر، يوليو، أغسطس 1979) ص 29 ـ 57.

52 ـ ملامح عن ثورة أول نوفمبر الجزائرية ومواقف دوقول تجاهها لغاية مظاهرات ديسمبر 1960. الأصالة عدد 73 ـ 74 (الجزائر، سبتمبر، أكتوبر 1979) ص 23 ـ 40.

53 ـ أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين التاسع عشر والعشرون، (المؤتمر الواحد والعشرون للمستشرقين الألمان برلين 24 ـ 30 أبريل 1980) 24ص، الثقافة عدد 63 (مايو ـ يونيو 1981) ص 11 ـ 28.

54 ـ دور عائلتي المقراني والحداد في ثورة عام 1871، الثقافة، عدد 54 (الجزائر، نوفمبر، ديسمبر 1979) ص 27 ـ 38.

55 ـ مظاهر المقاومة وروادها في الشرق القسنطيني ضد الاستعمار الفرنسي في القرن التاسع عشر، الثقافة، عدد 55 (يناير، فبراير 1980) ص

11 ـ 25، الأصالة عدد 79 ـ 80 ـ 81 ـ 82 (الجزائر مارس، أبريل، ماي، جوان 1980) ص 88 ـ 90.

56 ـ المقاومة في جبال الونشريس وحوض الشلف وجبال الظهر ضد الاستعمار الفرنسي 1840 ـ 1864، الأصالة، عدد 83 ـ 84 (الجزائر، جويلية، أوت 1980) ص 182.

57 ـ دور تونس في دعم حركات التحرير الوطنية الجزائرية وموقف الجزائريين من احتلالها عام 1881 (تونس، ملتقى رد فعل تونس من الاحتلال الفرنسي لها عام 1881 ـ 29 ـ 31 ماي 1981) ص 107 ـ 122. الثقافة عدد 70 (يوليو، أغسطس 1982) ص 45 ـ 57.

58 ـ ماذا قدم المغرب الإسلامي للحضارة الأوروبية، مجلة الكويت، عدد 8 (الكويت، ماي 1981) ص 100 ـ 109.

59 ـ الجديد في علاقات الأمير عبد القادر مع إسبانيا وحكامها العسكريين بمليلة. الثقافة عدد 64 (يوليو)، أغسطس 1981. ص 13 ـ 24 وعدد 65 (ديسمبر، أكتوبر 1981) ص 15 ـ 31.

60 ـ أضواء على ثورة الشيخ بوعمامة (1881 ـ 1908) الثقافة، عدد 68 (مارس، أبريل 1982) ص 11 ـ 27.

61 ـ اللقاء التاريخي بين الأمير عبد القادر وحاكم مليلة الإسباني، مجلة الثقافة، عدد 75 (ماي ـ جوان 1983) ص 109 ـ 121.

62 ـ ما كتب عن ثورة أول نوفمبر 1954. الثقافة، عدد 83 (الجزائر ـ أوت، سبتمبر 1984) ص 123 ـ 242.

63 ـ دور الطلبة الجزائريين في ثورة التحرير الوطني. الثقافة عدد 83 (الجزائر ـ أوت، سبتمبر 1984) ص 264 ـ 300.

64 ـ الحالة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الريفي بالشرق الجزائري في القرن التاسع عشر. الثقافة، عدد 80 (الجزائر ـ مارس، أبريل 1984) ص 159 ـ 186.

65 ـ وثيقة لمسؤولين ميصاليين يدينون الحركة الوطنية، مجلة التاريخ. عدد

خاص (الجزائر. النصف الثاني من سنة 1984) ص 45 ـ 53.

66 ـ مفاوضات الصلح بين الجزائر وإسبانيا من خلال مراسلات الداي محمد عثمان باشا (1780 ـ 1787 م) عدد 18. ص 125 ـ 152.

67 ـ معارك الحاج أحمد باي في جبال أولاد سلطان من خلال ثلاثة وثائق جزائرية. مجلة الثقافة عدد 90 (الجزائر ـ نوفمبر ـ ديسمبر 1985) ص 123 ـ 142.

68 ـ عودة إلى مراسلات الأمير عبد القادر ومواقفه من رفاق السلاح بالجزائر. مجلة التاريخ. عدد 20 (الجزائر ـ النصف الأول من سنة 1985) ص 101 ـ 123. المجلة التاريخية المغربية. عدد 4 ـ 42 (تونس ـ جوان 1986) ص 135 ـ 144.

69 ـ انتفاضة التوارق بأزجر والهقار 1916 ـ 1919. مجلة الثقافة. عدد 93 (ماي، جوان 1986) ص 177 ـ 189.

70 ـ عودة إلى نهاية حياة الشيخ عزيز بن الحداد بالمنفى. الثقافة. عدد 96 (نوفمبر ـ ديسمبر 1986) ص 117 ـ 137.

71 ـ الحج بين الماضي والحاضر. مجلة الحرس الوطني. عدد 58 (الرياض ـ أوت 1987) ص 10 ـ 15.

72 ـ الاستعمار الحديث في إفريقيا. مجلة المؤرخ العربي. عدد 31. السنة 12 (1407 ـ 1987) ص 21 ـ 36.

73 ـ انتفاضة سكان عين التركي، ومليانة في أبريل 1901. مجلة التاريخ. النصف الأول لعام 1986. عدد 21 (الجزائر ـ 1986) ص 115 ـ 127.

74 ـ حروب المقاومة كما صورتها الكتابات الفرنسية. مجلة البحوث التاريخيـة. عدد 2 (طرابلس ـ يوليو 1983) ص 277 ـ 286.

75 ـ إسبانيا توسط الجزائر لإبرام صلح مع تونس. المجلة التاريخية المغربية. عدد 49 ـ 50. (تونس ـ جوان 1988) ص 23 ـ 29.

76 ـ وثائق جديدة حول محاربة الأمير عبد القادر للشيخ التيجاني بعين ماضي، ولقبائل المخزن بوهران، وقضايا أخرى. المجلة التاريخية المغربية. عدد 55 ـ 56 (تونس ـ ديسمبر 1989) ص 224 ـ 243.

77 ـ الإنتاج الفكري والأدبي للشيخ أبي رأس الناصر المعسكري. المجلة التاريخية المغربية. عدد 53 ـ 54. (تونس ـ جويلية 1989) ص 245 ـ 253.

78 ـ وثيقة حزب الشعب الجزائري إلى الأمم المتحدة احتجاجاً على إقحام الجزائر في الحلف الأطلسي. المجلة التاريخية المغاربية. عدد 63 ـ 64. (تونس ـ جويلية 1991) ص 367 ـ 379.

79 ـ العلاقات الجزائرية الإسبانية من خلال مراسلات ساسة البلدين في أرشيف التاريخ الوطني بمدريد. وبعض المواقف الحاسمة للجزائر. (1780 ـ 1798). المجلة التاريخية المغاربية عدد 65 ـ 66 (تونس ـ أوت 1992) ص 229 ـ 247.

80 ـ مركز بجاية الحضاري ودوره في إثراء الحضارة العربية الإسلامية، وفي نهضة إيطاليا وجنوب غرب أوروبا. مجلة الحضارة الإسلامية. العدد الأول. (وهران ـ 1414 هـ/ 1993 م).

الشيخ الصديق بوفليح أويَخيَا

الشيخ الصديق بوفليح بن محمد أو جمعة، من مواليد قرية أقلقال قرب قرية المايِن في بني عيدل، ولد في أواخر القرن الماضي، وحفظ القرآن الكريم في مسقط رأسه، ثم التحق بزاوية سيدي أحمد أويحي، بأمالو قرب مدينة أقبو، على الضفة اليمنى لواد الصومام، وتفرغ هناك للدراسة والتعلم، فأكمل حفظ القرآن الكريم وتلاوته، ودرس مختلف العلوم العربية الدينية واللغوية، وحصل على درجة عالية ونبغ في كثير من العلوم، وحفظ عن ظهر قلب ثلاثاً وثلاثين متناً منها مختصر خليل في الفقه المالكي، وابن عاصم في أحكام القضاء والرحبية في الفرائض، وابن عاشر، والجوهرة للقاني، والسنوسية في علم الكلام، والدرة البيضاء في علم الحساب، والموارث للشيخ الأخضري دفين قرية أورلال في صحراء الجزائر، والنوازل الفاسية (بل العمالات الفاسية)، في القضاء، والشاطبية في علم التجويد والقراآت، والأجرومية، وألفية ابن مالك في النحو، ولامية الأفعال لابن مالك أيضاً، والجوهر المكنون في علم البلاغة، للأخضري، والسلم في المنطق للأخضري كذلك، هذا فضلاً عن اتقانه تجويد القرآن، ومعرفته لقراآت السبع والعشر، للقرآن الكريم مثل، قراآت، ورش، وقالون.

ومن جملة شيوخه في زاوية أمالو، الشيخ ألحسن أوخالد، الذي كان يتولى شؤون الزاوية، والشيخ السعيد اليجري الزواوي وقد تعلم تجويد روايات السبع للقرآن الكريم في قرية أورير الجعافرة، على الشيخ علي أوقاسي من قرية بني عباس (القلعة).

كما أخذ أبوك (والدي الحاج عبد الرحمن أُوبَعْزِيزْ) القراآت على هذا الشيخ أيام كان يعلم في مسجد ثاورميث، كما كان إماماً هناك.

وقد علم الشيخ الصديق بوفليح أعواماً في زاوية أمالو، وعلم في غيرها وهو من أقطاب الطريقة العلوية، شريف النسب من فرع البوزيدي وينتهي إلى المولى إدريس الأكبر، انتقل إلى جهات مجانة واستقر هناك وامتلك ضيعة ومزرعة متوسطة المساحة في بلدة المشرع، واشتغل بالفلاحة، وتعليم القرآن الكريم، والعلوم العربية لبعض الأفاضل، ومنهم أولاد سيدي يحيى بلجودي[1].

وبين الشيخ الصديق بوفليح ووالدي الحاج عبد الرحمن صداقة متينة جداً، ويتبادلان الزيارة باستمرار، وتعرفت عليه أنا شخصياً قبل الحرب العالمية الثانية بقليل بمدينة برج بوعريريج، له لحية كثة مخضبة بالشيب، وحواجب كثة وغليظة كذلك، وتوفي خلال الحرب العالمية الثانية، وخلف وراءه عدة أبناء بينهم أمحند أسعيد، والحسن، أعرفهما كذلك، وعاش الأول إلى ما بعد انتهاء ثورة التحرير أما الثاني فقد قتل خلال الثورة المسلحة، وله ولد آخر اسمه عثمان ما يزال حياً، وهناك ابن رابع كذلك.

وشاءت الظروف عام 1992 أن أزوج ابنتي الطبيبة زكية بوعزيز إلى حفيده سالم بوفليح بن أمحند سعيد، وزفت إليه في شهر جويلية 1993، وهو محامي في مدينة برج بوعريريج. وأستاذ القانون الجنائي في جامعة سطيف. وقد أنجبا بنتاً تم تسميتها أشواق على بركة الله في شهر إبريل 1994 م.

وفيما يلي الترجمة التي كتبها الشيخ الصديق بنفسه عندما أجاب عن سؤال للسيد محمد عبد الباري التونسي نشره في كتابه الشهائد والفتاوي عام 1924 ص 177 ـ 120 م ثم الترجمة التي كتبها لنا حفيده الأستاذ والمفتش محمد أعـراب بو فليح بن محمد السعيد بمدينة برج بوعريريج.

---

(1) أفادني بهذه المعلومات الشيخ عبدالله شرع الله في رسالة له بتاريخ 13 ماي 1989 م.

الشهادة التاسعة

فيما أجاب به فضيلة العالم النحرير والمدرس الشهير الشيخ السيد محمد[1] الصديق بن يحيى عن سؤال ورد عليه هذا نصه:

الحمد لله وصلى الله على النبي وآله

في 19 جمادى الثانية سنة 1342[2]

أسعد الله بمنه وكرمه جلاله العالم العامل المدرس الفاضل الجهبذة الشيخ السيد محمد الصديق بن يحيى المايني مسكناً سلام الله عليكم وعلى من حولكم من الطلبة وغيرهم هذا أيها المحترم قد كان أصابنا ما ألزمنا بالالتجاء لأمثالكم في شأن ما أنبهم عن البعض من إخواننا المشارقة من أمر الشيخ السيد أحمد بن عليوه المستغانمي من حيث الاطلاع على مدعاه فلهذا اعتمدناكم في الالتجاء إليكم طالبين منكم أن تخبرونا عما بلغنا من أن أكثر القبائل انقادت لدعوته فهل حصلوا بسبب صحبته على أثر يذكر أم مجرد نسبة كما تكون في الغالب مع غيره وعليه فإنا استفتيناكم لله أن تفتونا فيما صح عندكم وحسابكم على الله أن ابهمتم علينا شيئاً فيما أنتم على خبرة منه في شأن هذا الرجل ولا تلومونا فيما ألزمناكم به لأن الضرورة ألجأتنا لمثله والجواب ينتظر مع حامله والسلام من خادم الحقيقة محبكم محمد بن عبد الباري الشريف التونسي.

وعندما اتصلت من فضيلة المشار إليه بالجواب وجدته شبه كناشة كان جمعها في بيان ما أفاض الله عليه وعلى قومه من المنن الإلاهية بعد تعلقهم

---

(1) أقول أن فضيلة المشار إليه من أعيان الفقهاء بأرض القبائل عرش الماين عمالة قسنطينة وقد كان اشتهر فضيلته بدروس مختلفة حسبما ذكره في شهادته وجمع من الطلبة ما شاء الله وقد كان لا يمشي في الغالب إلاَّ وجماعة من خلفه وإذا دخل السوق يجتمع الجم الغفير عليه حسبما أخبرنا من له معرفة بأحواله كل ذلك لما كان حائزاً من الحظوة وبعد الصيت بين أهله وعشيرته ومع ذلك لم تمنعه نخوة العلم ولا شهرة أمره من أن يلقي القياد للأستاذ عند الاجتماع به وما ذلك إلاَّ لما أدركه من حسن عبارته وتأثير إشارته وإلاَّ فمثله أبعد من أن ينقاد لمجرد الأوهام وهكذا صار من ذلك الحين يلهج بذكره ويعترف بخصوصيته ولم يزل على ذلك عاملاً جزاه الله وجزى المنصفين خيراً.

(2) الموافق 27 جانفي 1924 م.

بالنسبة العلاوية فاقتصرت على الصدر منها لما فيه ما يلائم الغرض وصورته.

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول العبد الحقير محمد الصديق بن يحيى المائني الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على إمام المرسلين ورحمة الخلق أجمعين وآله وأصحابه وتابعيهم قولاً وفعلاً المقول في حقهم ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾ وبعد فإنه لما جاد علينا ذو الفضل العظيم باجتماعنا بالأستاذ الكريم أبي العباس الشيخ السيد أحمد بن عليوة المستغانمي وجب أن نعترف بحياتنا الطيبة وحالتنا المرضية التي كانت لنا على يده وقبل ذلك ننوه بالحالة التي كنا عليها قبل تعلقنا بطريقته رضي الله عنه نعم إنا كنا على علوم نافعة ودروس شامخة وكانت بدايتنا بقراءة القرآن ثم بقراءة العلم نحو العشر سنين بزاوية سيدي أحمد بن يحيى بناحية أقبو ببلد القبائل وكانت قراءتنا للقرآن أولاً برواية قالون وورش مفردين ثم بالجمع بينهما ثم قرأت بالبدور السبعة المسماة بالقراءات السبع وهي قراءة نافع والمكي والبصري والشامي وعاصم وحمزة والكسائي مع رواتهم أخذت ذلك عن شيخنا المرحوم السيد علي بن قاسه وكان بحراً في العلوم الظاهرة معتكفاً على طاعة الله حتى توفي رضي الله عنه وحفظت من المتون ما يزيد على الثلاثين متناً[1] كالأجرومية وألفية ابن مالك وإيساغوجي والسلم في المنطق والسمرقندية والجوهر المكنون في البلاغة ومتن خليل في الفقه والرحبية في الفرائض ولامية الأفعال في الصرف ومتن الشاطبية في القراآت ومورد الظمآن في رسم القرآن للخراز والتبصرة للفاسي والدرر اللوامع على قرارة نافع ومتن السوسي في الفلك وغير ذلك وهذا مقام شريف

---

(1) وما كان عده لهذه المتون إلا ليبني عليه غيره وهو قوله ومع هذا كله لم أنل ولم استفد ما استفدته في أيام قليلة جداً مع هذا الأستاذ العظيم من الأسرار العجيبة إلخ قلت وإنما يستبعد القارىء تصور هاته الفائدة التي تفوق ما ذكر بما أنه لم يعتبر كونها راجعة للعلم بالله على طريق المشاهدة وإلا لزال الالتباس وقد يزول أيضاً باستحضار قوله عليه الصلاة والسلام: «العلم علمان فعلم في القلب فذلك العلم النافع وعلم على اللسان فذلك حجة الله على ابن آدم» اهـ من الجامع الصغير.

ومنصب منيف والحمد لله على ذلك تعلمت الجميع وعلمت فيما ذكر ما يزيد على عشر ختمات وأما النحو فهو يزيد على خمسين ختمة ومع هذا كله لم أنل ولم استفد ما استفدته في أيام قليلة جداً مع هذا الأستاذ العظيم من الأسرار العجيبة والفوائد الغريبة والفتوحات القريبة مما لم يحسن[1] التصريح به للعموم أما الأستاذ في حد نفسه رضي الله عنه فإن شمائله لا تحصى وفضائله لا تستقصى فالفتح على يده قريب ومريده منيب ولو لم يكن دليلاً على مكانته ورسوخه إلاَّ سير ذكره[2] في الأنام وانتشار كتبه في العالم زيادة على انتفاع الناس بسره القويم وطريقه المستقيم لكان ذلك كافياً لذوي البصائر النيرة إن لم نقل هذا يصح أن يكون أدل دليل على أنه الوارث لرسول الله ﷺ ظاهراً وباطناً في هذا الزمان لما نرى من النتائج الحاصلة لأغلب إخواننا ببلد القبائل حتى صارت بيوتهم تلقب ببيوت أهل الله بعدما كانوا بعكس ذلك والحاصل مما نرى أن الخصال العشرة المذكورة في سورة الأحزاب قامت الآن بالفقراء العلاويين وهي قوله تعالى أن المسلمين والمسلمين إلى قوله تعالى والذاكرين الله كثيراً والذاكرات الآية. ومما نعتبره في نفسي أعظم كرامة لهذا الأستاذ ولا أظن غيري أيضاً يعتبر خلاف ذلك مهما كان على إطلاع هو ما نراه من انجذاب القلوب وإحيائها لدين الله على يديه وفتح باب الإحسان وامتزاج اسم الله بالعروق والعظام وجريه على ألسنتنا كلنا[3] كبيراً وصغيراً ذكراناً وإناثاً وقطع القبائح من أفواه أتباعه مطلقاً أما إذا لاحظنا ما حدث وانبث بسبب هذا السيد الكريم من

(1) لما ورد عن علي كرم الله وجهه حدثوا الناس بما يعرفون أتريدون أن يكذب الله ورسوله، وقيل إنه حديث.

(2) قلت فمعتمد استدلاله هذا ينبىء عما قيل:

والناس أكيس من أن يمدحوا رجلاً ... إن لـم يـروا فيـه آثـار إحسـان

(3) قلت ولو لم يكن إلا مجرد هذا الانتقال الصريح الذي ظهر في أرض القبائل حسبما ذكره فضيلة الكاتب وذكره أيضاً الشيخ السيد محمد وعلي وبذكره غيرهما أيضاً لكان كافياً في إثبات الخصوصية لهاته النسبة العلاوية وقد كانت صرحت جريدة النجاح بما يشبه هذا بعدما ذكرت عدة خصائل قالت: (على أن الشيخ له فضيلة أخرى وهي إنقاذه لمئات الألوف من شرك جماعة الأب الأبيض بالقبائل والحمامات) إلخ.

نحو الحنانة والشفقة وأنواع التكريمات بين الأفراد فذلك شيء آخر يستحق هذا الرجل الذكر من أجله وبالجملة أن أغلب شباننا ونسائنا وبناتنا كانوا قبل الطريق لا يعرفون الصلاة ولا يذكرون الله ولا يخشونه ولا يستحيون ولا تسمع من خيارهم إلا ما لا يرضى الله من قيل وقال وبالأخص حالة النسوة في الأعراس قد كن على حالة[1] غير مرضية من جهة استعمال السماع المحرم كالغناء ونحوه أمام الأقارب والأباعد والآن بحمد الله قد بدل الغناء الذي لا يحل سماعه بالسماع المباح من ذكر الله وما قاربه من انظام الأستاذ رضي الله عنه وعوض أن كن للصلاة تاركين صرن بها الآن آتيين وهكذا انتسخت القبائح بأضدادها والحمد لله على ذلك والثناء في ذلك راجع لمن كان سبباً لنا فيه إلخ ما أطال به حضرته من عد ما ظهر عليهم بواسطة الطريق والاستشهاد به على مكانة مؤسسها.

محمد الصديق بن يحيى المايني الوقلقالي

ـ حياته:

ولد المرحوم محمد الصديق بن يحيى عام 10 سنوات قبل 1892. تزوج بالصيد شريفة ورزق منها بأربعة أولاد ذكور أكبرهم محمد السعيد وأصغرهم لحسن.

نشأ وترعرع بقرية الماين، وكان على علوم نافعة ودروس شامخة، وكانت بدايته بقراءة القرآن ثم بقراءة العلم نحو العشر سنين بزاوية سيدي أحمد بن يحيى بناحية أقبو بلدية القبائل وكانت قراءته للقرآن أولاً برواية قالون وورش مفردين ثم بالجمع بينهما ثم قرأ بالبدور السبعة المسمات بالقراآت السبع، وهي قراءة نافع، والمكي، والبصري، والشامي، وعاصم، وحمزة، والكسائي، مع رواتهم.

---

(1) وهكذا يذكر عن نسوة تلك البقاع من الهمجية وخلع العذار ما تمجه الأسماع وتنكره الطباع أما الآن فلا يسمع عليهم إلا الاشتغال بالإذكار وتعلم ما ينفعهن كالفرائض والسنن وما يعود عليهن بالصيانة وحفظ المروءة وقد تركن والحمد لله جميع العوائد السيئة أرجو الله أن يجري ذلك في بقية البقاع التي لم تتمكن منها هاته النسبة.

أخذ ذلك عن الشيخ المرحوم السيد علي بن قاسة، وكان بحراً في العلوم الظاهرة معتكفاً على طاعة الله حتى توفي رضي الله عنه، وحفظ من المتون ما يزيد على الثلاثين متناً، كالأجرومية وألفية ابن ملك وإيساغوجي والسلم في المنطق والسمرقندية والجوهر المكنون في البلاغة ومتن خليل في الفقه والرحبية في الفرائض ولامية الأفعال في الصرف، ومتن الشاطبية في القراءات ومورد الظمآن في رسم القرآن للخراز والتبصرة للفاسي، والدرر اللوامع على قراءة نافع، ومتن السوسي في الفلك وغير ذلك.

وهذا مقام شريف ومنصب منيف.

لقد تعلم الجميع وعلم فيما ذكر من الفنون ما يزيد على عشر ختمات.

أما النحو فهو يزيد على خمسين ختمة.

ـ أعماله:

الشيخ الصديق أويحيى الوڤلاڤالي، تنجذب إليه القلوب ومما نراه من إخواننا ببلد القبائل كلما سألناهم عنه، يكادون يجمعون بأنه عالم جليل وجدير بأن يعد من الأفذاذ والرجال الصالحين الواصلين. لقد قضى مدة عمره وهو ينشر في العلم والمعرفة عبر المساجد الكبرى ومتنقلاً بين الزوايا، لقد أحيا الله به أرضاً كانت ميتة وأنعش قلوباً كانت للقساوة أنسب. وهذه شهادة الشهود من سكان الناحية فما أكثرهم.

ومما يروى عنه أنه قبل التعليم بقرية أدرار سيدي إدير. ولكن آن ذاك وقع شقاق وافتراق بين الصفوف، فكان المؤيد والمعارض، فقرر أحد الرجال المعارضين. إقناع الشيخ بالعدول عن ذلك. فسأله عن السبب.

فقال له الرجل: ـ أنا خائف من السكان بأن لا يوفوا بالعهد عندما يحين الوقت لدفع الأجرة المتفق عليها.

فأجابه الشيخ الصديق: ـ إذا كان هذا هو المبرر الوحيد: فهو غير كاف: اطمئن أنت وجماعتك على ذلك، لقد قررت أن أعلم عامين بدون أجرة.

فلما ذاع الخبر بالقرية دهش الجميع لهذا القرار، ومقابل هذا الفعل اتفقوا على التويزة في ممتلكات الشيخ في موسم الجني والقطف.

فلم تمض السنتان إلا وجمع الشمل وفضت الخلافات العشائرية التي كانت قبل مجيئه. فلما قرر الرحيل أبكاه الجميع وترجوه بأن يمكث عندهم طويلاً، ولكنه لم يتراجع عن قراره.

كما علّم بإلماين (بجامع المجموعة)، ومما روي عنه من رفقائه وعامة الناس. أنه فسر البسملة في مدة ثلاثة أشهر كاملة. وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على غزارة علمه.

ومن الوثائق المادية التي ترشدنا إلى أن الشيخ حصل على موافقة من والي الولاية بقسنطينة لفتح زاوية لتعليم القرآن والدين بأمزيتة قرية سيدي مخلوف.

وفعلاً تم ذلك وعلم بها مدة طويلة فتخرج على يده علماء وفقهاء وأئمة مشهورون.

لقد عرف بالجد في العمل فكان يتعهد حدائقه بالغرس والشذب والسقي، فكلما فرغ من التدريس عرج لإتمام بقية الوقت في الحديقة والحقل.

كما أنه يحب الترحال والانتقال من مكان لآخر وهذا ما زاد في شهرته بين الناس.

إنه مفتي الديار بدون منازع في بلاد القبائل إلى أن عاصره الشيخ الملود الحافظي الأزهري عند عودته من مصر.

ومما روي عنه أنه حضر في مدينة بوسعادة إلى مشكلة فقهية أعجزت الفقهاء والعلماء بالنايحة. فتدخل وقضى بما قضى الإمام مالك. في معرفة الابن الحقيقي لكل امرأة بكل ذكاء وحكمة وتبصر. فأعجب الجميع بهذا الحل الذي أنهي الخلاف القائم بين المرأتين فيما يخص الابن الذكر الذي استبدل بالبنت.

لقد كان حنوناً عطوفاً على إخوته. وعلى عامة الناس حيث كان بيته مأوى

للفقراء والمحتاجين والمسافرين «بيت السبيل».

أما في مجانة دوار بورحلة بشعبة الحمرة أول عمل قام به عندما اشترى أرضاً فلاحية هو بناء مسجد، ووضع به معلماً لتعليم الصبيان القرآن الكريم، يتكفل بأجرته سنوياً، وهو مفتوح للعامة دون استثناء.

ـ التصوف:

ورد في كتاب الشهائد والفتاوى ص 119 في السطر السابع قول الشيخ الصديق ما يلي: «ومع هذا كله لم أنل ولم أستفد ما استفدته في أيام قليلة جداً مع هذا الأستاذ العظيم من الأسرار العجيبة والفوائد الغريبة مما لم يحسن التصريح به للعموم» إنه يشير إلى ما ورد عن علي كرم الله وجهه «حدثوا الناس بما يعرفون».

وذلك يدفع بنا إلى الاستشهاد بقول الشاعر:

والناس أكيس من أن يمدحوا رجلاً. إن لم يروا فيه آثار إحسان.

إن شمائل الأستاذ المشار إليه في الحديث السابق لا تحصى وفضائله لا تستقصى ومريده منيب، لقد انتفع بسيرته القويمة وطريقه المستقيم.

هذه قناعة ذاتية، ليس لنا الحق في إنكارها، ما دامت عن دراية وعلم.

ـ وروى عن جماعة الموردين أن الشيخ بن عليوة المستغانمي، زار الناحية عام 1919 م. بطلب من السادة: ـ المرشد الجليل والصوفي النبيل الشيخ عبد الرحمان بوعزيز الجعفري، والسيد/ الشيخ محمد الصديق بن يحيى، والسيد/ الشريف الحسن.

ومن ذلك والأتباع في ازدياد.

لقد انبث بسبب هذا السيد/ أحمد بن علوية المستغانمي/ الحنان والشفقة وأنواع التكريمات بين الأفراد.

اقتطع من قول الشيخ محمد الصديق بن يحيى شهادة على الطريقة العلوية ما يلي:

«أن أغلب شباننا ونسائنا وبناتنا كانوا قبل الطريق لا يعرفون الصلاة، ولا

يذكرون الله ولا يخشونه، ولا تسمع من خيارهم إلا ما لا يرضي الله من قيل وقال. . . » لقد انتسخت القبائح بأضدادها والحمد لله على ذلك.

أرى أن الخصال العشرة المذكورة في سورة الأحزاب في قوله تعالى: ﴿إن المسلمين والمسلمات﴾ إلى قوله تعالى ﴿والذاكرين الله كثيراً والذاكرات﴾. مطبقة في الطريقة العلوية. كانجذاب القلوب وإحيائها لدين الله وفتح باب الإحسان هو السبب المباشر لتلك القناعة.

كانت قرية تسمى بو مسعادة من دوار الجعافرة منذ عشرين سنة وهم في القتال فيما بينهم إلى أن بلغ عدد الأموات ست أو سبع رقاب وجاءهم قطاع طريق لم يسمعوا القائد ولا الحاكم ولا ولا. . . إلى أن وصل لقريتهم الشيخ بن عليوة المستغانمي في التاريخ السابق أي 1919 م. لقد شرع فيهم بالنصيحة والتأديب وبث فيهم الطريق المستقيم فتابوا جميعاً، وتراحموا وطابت أخوتهم ومن جملة الشواهد على الأمن والاستقرار آن ذاك، حيث نجد أن البعض له طرحة تين في وقته والزيتون عند جنيه، تبيت في فلاة وحدها بلا حارس، ولا يتعدى أحد على أحد، فالحرمات مصانة.

هذا سر من أسرار الطريقة التي اعتنقها الشيخ والمدرس الشهير الشيخ محمد الصديق بن يحيى الوڤلاڤالي المايني.

إنه متصوف يتهجد الليل بتلاوة القرآن والذكر. دخل الخلوة بتاورميت (بوفنزار) بجعافرة ومكث فيها أياماً وليالي فكان فيها ما ترجاه من قبل.

فالمسألة عند أهل التقى تصفية باطنية وتنوير بصيرة. وما ترويه العامة عنه أنه رأى ليلة القدر وهو بالخلوة، ودون ذلك في وريقات تصل إلى السبعة. لكنها من كثرة تداولها وانتقالها من شخص لآخر اختفت ولم تظهر إلى الآن.

ـ عاش هذا الشيخ على حالة ربانية وسيرة نبوية اهتدى على يده الجمع الغفير وانتفع به الخلق الكثير، حسبما يشهد به أهل البلدة، لقد انتهت الناس على يده وصار معيناً على جلب العافية على الناحية. هذا غيض من فيض.

والخلاصة:

لقد كان محباً للفروسية، فربى الخيل وأفلح الأرض وتاجر وعلم بالمساجد والزوايا إلى أن وافته المنية عام 1940 أو 1941 م.

تغمده برحمته الواسعة بعد أن قضى في خدمته ما يقرب من أربعين سنة. بث التعاليم الشرعية والإرشادات الدينية في عدة بقاع كانت إبعد من أن يتناولها الإصلاح، ومن جملة وصاياه. طلب بأن يدفن بذراع بورحلة بلدية مجانة وأن لا يبني قبره وأن تدفن بجانبه زوجته حتى لا يتعلق الأولاد والأحفاد بقبره وأن يتحول إلى مزارة للخلق.

وحث أولاده على العمل والنشاط وخدم الأرض بجد وعدم الرجوع للوراء.

قال: أنا أوصلتكم إلى هنا (مجانة) وأنتم إن استطعتم فسيروا إلى الأمام عملاً بقوله تعالى: ﴿فامشوا في مناكبها وكلـوا من رزقها ولله النشور﴾.
صدق الله العظيم

هذا ما قدرت على جمعه إلى حد الساعة.
وإلى مراسلة أخرى إن شاء الله[1].

---

(1) بطلب منا كتب هذه النبذة حفيده محمد أعراب بن محمد السعيد بن الشيخ محمد الصديق بن يحيى بوفليح. وهو مفتش ابتدائي في مدينة برج بوعريريج وولايتها. وشقيقه سالم بوفليح هو الذي تزوج بنتنا الحكيمة زكية بوعزيز.

بسم الله الرحمن الرحيم
والصلاة والسلام على نبيه الكريم

تاريخ زوايا الشيخ أمْحَمّدْ بن حالة[1]

نبذة من حياته:

ولد الشيخ أمحمد بن حالة في إلماين سنة 1780 م، تقريباً، ولما بلغ أشده «رحمه الله» ذهب إلى زاوية (شلاطة) لآل بني علي الشريف لحفظ القرآن والتفقه في الدين واللغة، فبقي هناك مدة حتى حفظ القرآن رواية ورسماً، وأعطيت له إجازة تدريس، فدرس في نفس الزاوية في القراءة والفقه وعلوم اللغة، فبقـي هناك ما شاء الله، ثم رجع إلى مسقط رأسه بإلماين، حيث تزوج هناك، ثم فكر في إنشاء زاوية مثل التي درس فيها لحفظ القرآن وتدريس الفقه واللغة ووقع اختياره على قطعة أرض بين جبلين تدعى «عشابـو» واختار لها اسماً آخر فدعاها «المزين» فبنى هناك مسجداً لا زالت بقايا أثره إلى الآن وداراً لسكناه ولطلبته، معتمداً في معيشته ومعيشة طلبته على الأراضي التي استصلحها في تلك المنطقة واشتهرت في أنحاء كثيرة منها ما هو قريب، كبني ورثيلان، وبني يعلي، ومنها ما هو بعيد كالمسيلة، والمعاضيد، وبني مروان (بالعلمة)، حتى بلغ عدد طلبته ما بين ثمانين ومائة طالب، وبدأت تأتي إليه الوفود للاستشارة والإفتاء في المسائل الفقهية ـ أو الصلح بين المتخاصمين من الفرد والعشائر. ومن هذه الوفود وفد (الدهامشة) بدائرة عين الكبيرة ولاية سطيف

(1) أعد لنا هذه الخلاصة السيد المكي بن حالة بطلب منا.

حالياً، يتألف الوفد من طلبته وبعض الأعيان من نفس العرش طالبين منه أن يبني لهم زاوية لحفظ القرآن وتدريس الفقه واللغة. فاستجاب لطلبهم، وبنى لهم زاوية من ماله الخاص وقد حبسوا عليها أراضي كثيرة من خيرة أراضيهم تعد بمئات الهكتارات، وقد اتسعت هذه الزاوية لكثرة الوافدين عليها من تلك الأنحاء وغيرها من النواحي وكان هو الذي يشرف عليها، كما أنه يقوم بالصلح بين العشائر والأعراش. حتى ذاع صيته فسمع به باي قسنطينة واستدعي من طرف هذا الأخير بعدما وصلته فتواه وكتاباته للصلح بين الفرق المتعادية في ذلك الوقت فاستجاب لنداء الباي فذهب إلى قسنطينة فعرض عليه الباي وظيفة من الوظائف الدينية فأبى معتذراً وقائلاً: «من للزوايا التي أنشأتها» وألح عليه كثيراً حتى وصل به الأمر والحال أن صاهره، حيث تصدق عليه بإحدى نساء عائلته ليتخذها كزوجة له، وهي بالفعل مدفونة (بعشابو) المذكور سابقاً. وقبرها معروف عند العائلة إلى حد الآن، فبقي عنده (أي الباي) مدة هو وزوجته ثم أطلق سراح الشيخ منصتاً لحججه التي قدمها لرفض المنصب الذي أسند إليه، فرجع إلى «الدهامشة» بعين الكبيرة واستمر في تدريس القرآن للحفظ والشرح والقراءات حتى كبر أحد أبنائه المسمى: محمد الشريف، الذي تعلم عليه العلوم اللغوية والفقهية وكان هذا الابن حاد الذكاء وكثير الحفظ حتى وصل أن فاق أباه في علوم وقته. لكثرة مطالعة الكتب الموجودة آنذاك عند أبيه الذي اشتغل بتعليم طلبته. ولم تتح له الفرصة كما أتيحت لابنه المذكور. ـ فبقي على هذه الحال يعلم ويربي إلى أن داست أقدام المستعمر أرض الوطن، فظهر الأمير عبد القادر بغرب الوطن بثورته الشعبية التي اندفع إليها دفعاً، وكانت مراسلات بينه وبين الأمير وبين أحد قادته يستحثونه على الدخول معهم لمحاربة الاستعمار مشيدين بالانتصارات التي أحرزوها والأحرار الذين ساندوهم في أرض الوطن ضد الدخيل. فما كان منه إلى أن أرسل ابنه محمد الشريف إلى الأمير فالتجأ هو (أعني الشيخ أمحمد بن حالة) إلى الأوراس وبالضبط إلى قرية (إشمول) وكانت قرية محصنة فأنشأ هناك زاوية ثالثة يعلم أهل تلك الناحية ومن التحقق كذلك بزاويته ولا ندري بالضبط كم بقي بتلك الناحية ولكنها في الغالب ليست بقصيرة.

وكان الاستعمار قد وصل في توسعاته إلى سطيف وضواحيها، وبالفعل وصل إلى عين الكبيرة فوجد الزاوية لا زالت عامرة فسأل عن منشئها فأخبر من طرف أهاليها، وقد نبأ سابقاً من طرف جواسيسه بأن ضابطاً في جيش الأمير يدعى محمد الشريف بن حالة فسألوا أهل تلك الناحية من يكون هذا الضابط بالنسبة لمنشأ الزاوية. فلما أخبروه اغتصبوا أراضي الزاوية كلها وهي ما ينيف على سبعمائة (700) هكتار، ولما هدأت الحال بعض الشيء واستتب الأمر للاستعمار ذهبت جماعة من أعيان العرش إلى الضابط المسؤول هناك راجين منه أن يترك لهم الأراضي التي حول الزاوية. وهي ما يقرب من أربعين (40) هكتاراً وأجيب رجاؤهم بالقبول. وأعيدت لهم الأراضي التي حول الزاوية، ولما استتب الأمن ذهب أصحاب وأعيان تلك الناحية إلى الشيخ أمحمد بن حالة باشمول في الأوراس فأرجعوه إلى زاويته بالدهامشة بعدما ضمنوا له عدم المساس بشخصيته من المسؤولين عندهم، فمكث هناك حتى انتهى كفاح الأمير الذي دامت حربه 17 عاماً كما هو معروف، ورجع ابنه محمد الشريف سالماً معافى فاستخلفه الشيخ أمحمد بن حالة في الزاوية ورجع هو إلى زاويته (بعشابو) مع كل أفراد عائلته. أما الابن فمكث هناك بالدهامشة مشتغلاً بالتدريس حتى توفي هناك، وبقيت أراضي الزاوية وهي 40 هكتاراً تستغلها زاوية (عشابوا).

لما توفى محمد الشريف بقيت الزاوية تستغل تحت إشراف ابنيه الحاجين: الشيخ يحيى، والشيخ لحسن، وبعد وفاتهما تولاها الإخوان الشيخ الطاهر، والشيخ الزروق، ثم نقلها الشيخ الزروق إلى مكان يسمى (بالعزيب) على ضفة واد محجر ولا زالت أثرها هناك كما نقل سكناه إلى ذلك المكان. وفي هذا المكان بلغ عمرانها أوجّه، إذ بلغ عدد الطلبة 220 طالباً ولهم ثلاثة أساتذة أحدهم لحفظ القرآن وإملائه، والآخر للقراءات والأخير لدراسة اللغة والفقه، ومن جديد حولها الشيخ الزروق إلى (زرعة) لما انتقل بسكناه إلى هناك. وبعد وفاته رحمه الله في سنة 1943. بل قبل وفاته رحمه الله قسم أملاكه على أولاده التسعة وأعطى ما يقرب من الربع من أملاكه للزاوية حبسه بعقود

شرعية ورسمية عند موثقي العقود بمحكمة المنصورة وأنا الذي سلمت هذه العقود والتنازلات لوزارة الأوقاف وذلك بعد الاستقلال طبعاً وكان ربع أملاك الزاوية تقدم الإعانات إلى الزوايا الحرة إن طلبت الإعانة.

وحين أنشأ الشيخ عبد الرحمن بوعزيز زاويته بالجعافرة وبالضبط (ببوفنزار) عرضت عليه إعانات من طرف العائلة كما عرضت على الزوايا الأخرى مثل زاوية سيدي عبد القادر بتفرق، وزاوية تمقرة المشهورة وقبلتا الإعانة أما الشيخ عبد الرَّحمان فقال إني تابع إلى مستغانم، وقد عرض علي في نفس الوقت من مستغانم أن أنشأ زاوية ببرج بوعريريج وبالفعل لا زالت هذه الزاوية باسمه وبعقود رسمية.

ملاحظات:

المراسلات بين الأمير عبد القادر والشيخ أمحمد بن حالة وابنه وكذلك مراسلات الشيخ مع ابنه حينما كان بالدهامشة كانت في المكتبة العامة بدار المزرعة. وفي 1956 خلال تمشيط الناحية الذي قاده الجنرال (دوفور). فأحرقت جل المجلدات والمخطوطات بما فيها المستندات والرسائل منها رسائل الشيخ مع الأمير وضباطه ومع ابنه. وقد اطلعت عليها أنا بنفسي والله على ما أقول شهيد، وما بقي من كتب ومستندات والرسائل فقد نهبت، كما نهبت مكتبه الشيخ الطاهر (أخيه) بإيغيل أُوفَلَّهْ. فقد نهبت وكانت فيها مخطوطات قيمة وقديمة مثل مكتبة أخيه الزروق.

من أخيكم، المكي بن حاله

برج بوعريريج

في 26 أكتوبر 1986

الموافق لـ: 26 ربيع الأول 1409 هجرية.

نبذة عن حياة الشيخ الطاهر بن حالة

ولد الشيخ الطاهر بن حالة حوالي عام 1860 م بقرية عشابو السفلي التابعة لبلدية إلماين، بدائرة الجعافرة حالياً، من ولاية برج بوعريريج حالياً كذلك. حفظ القرآن الكريم على والده يحيى، وتعلم عنه علم القراءات، وبعض علوم الفقه واللّغة، والتاريخ والحديث. ثم انتقل إلى زاوية آل حمودي في أَلْمُوثَنْ ببني ورتلان، وتتلمذ على علمائها، وعلماء آل الشيخ الحسين الورثلاني. وبعد أن استكمل ما عندهم من علوم ومعارف، انتقل إلى مدينة قسنطينة ليستزيد من علمائها كذلك، ولينشر علمه، فجلس إلى حلقات علمائها، ودرَّس هو نفسه في مساجدها، وكان من بين زملائه، الشيخ حمدان لونيسي شيخ وأستاذ الشيخ عبد الحميد بن باديس.

ومن قسنطينة عاد إلى مسقط رأسه، وتفرغ للتدريس في زاوية أبيه واشترط على طلبته أن يكونوا من حفظة القرآن الكريم. ومن بينهم: ولداه: الحسين، وعبد الرحمن، وأخوه الشيخ الزروق، وأخته الزينة، وابن أخيه زين العابدين، وعبد القادر بن حالة، والد الشهيد: الشيخ علي بن حالة، والشيخ شيروف من فجّ مزالة الذي حدثنا بنفسه عن ذلك عام 1956[1]. وقد استشهد في إحدى المعتقلات خلال الثورة. والسيد لڤدر محمد أُومُوسَى[2] وغيرهم كثيرون.

وبعد مدة ترك التدريس، ولحق بجده محمد بن حالة في قرية: الشمرة بالأوراس، ولكن أخاه الشيخ الزروق، لحق به وأعاده إلى الزاوية ليواصل تدريسه على نفقته الخاصة. وكانت له مكتبة هامة. وسجل عدة تعاليق على حواشي كثير من المخطوطات، مما يدل على تضلعه في العلوم والمعارف.

---

(1) أعد لنا هذه الخلاصة الأستاذ الفاضل محمد السعيد بن الرشيد بن حالة: بطلب منا في مدينة برج بوعريريج أين يقطن. وأعدنا صياغتها، وتلخيصها.

(2) السيد لڤدر محمد، من مواليد قريتنا مزرراق، وعاش أكثر من قرن وتوفي خلال عقد الثمانينات من هذا القرن، وهو الذي حكى لنا بأنه تتلمذ على الشيخ الطاهر بن حالة.

وفي أخريات حياته توقف عن التدريس، وتصوف، وسلك طريق المتصوفين في التعبد، والزهد، والابتعاد عن شؤون الدنيا، حتى توفي حوالي عام 1928. ودفن في قرية أعشابو. وبنيت عليه قبة وضريح لمكانته الدينية والعلمية، ما تزال قائمة حتى اليوم.

وخلال الثورة المسلحة وبالذات عام 1956 تم اغتيال عدد من أفراد أسرة أولاد بن حالة التي توارثت منصب قيادة عرش إلماين. وقام المدعو الطاهر بن الشريف بن الموهوب من قرية مزرراق، بسلب ضريح الشيخ الطاهر بن حالة، وأخذ الألبسة الموجودة به على التابوت، ونزع حتى الآجر الملون الذي يغطي القبر وأخذه إلى منزله. وهو عمل لئيم لا يقوم به إلاّ من ليس له أخلاق، وهذا الشخص لبس حركياً على كل حال، وحارب الثورة. وانكشف أمره وقد حدثني بهذا السيد عبد القادر بن حالة أحد سكان قرية عشابو، بعد استعادة الاستقلال عام 1962، وذلك خلال عقد الستينات. وقد توفي هذا الشخص الآن، ولكن المرارة كانت تملأ قلبه وهو يحدثني ويحكي القصة في متجر أخي الشيخ النذير بوعزيز بشارع قسنطينة رقم 20 من مدينة وهران.

موجز حياة الشيخ زين العابدين بن حالة

ولد الشيخ زين العابدين بن الشيخ الزروق بن حالة في قرية عشابو السفلى عام 1886 م حفظ القرآن الكريم على أبيه كما تلقى عنه مبادىء اللغة والعلوم العربية، والفقه. ثم تتلمذ على عمه الشيخ الطاهر، حتى أجازه، وأذن له بالتدريس للطلبة. ومن بين تلاميذه، أبناء عمومته: محمد السعيد، وعبد العالي، وأخواه: محمد الطاهر، وعبد السلام، والسيد عبد الكريم أكثوف من بني يعلي، الذي ما يزال حياً، ويدرس في مدينة الجزائر العاصمة.

وقد ورث عن أبيه الشيخ الزروق مكتبة هائلة تحوي مخطوطات نادرة

وشجرات الأنساب، كما تحوي مجموعة كبيرة من الرسائل المتبادلة بين رجالات العائلة والعلماء داخل الوطن وخارجه. وكان الشيخ زين العابدين دمث الأخلاق متواضعاً، محباً للعلم والعلماء، رغم كونه كان يتولى منصب قائد دوار إلماين الذي ورثه عن أبيه. وعندما تقاعد عنه أواخر الأربعينات احتله أخوه الشيخ المكي الذي ما يزال حياً، وقد سلم من وظيفته عندما طلبت جبهة التحرير الوطني من كل الموظفين الجزائريين أن يتخلوا عن وظائفهم في إطار مقاومـة الاستعمار. وفي عام 1956 اعتقلت جبهة التحرير الشيخ زين العابدين وأعدمته بدعوى أنه سلّم مجموعة من البنادق إلى المصاليين. وأعدمت معه شقيقيه: إبـراهيم. والنصير. وشن الجيش الفرنسي حملة عسكرية كبرى على المنطقة في نفس العام بقيادة الجنرال فور، وقنبل مختلف القرى، ومنها قرية زرعة مقر عائلة زين العابدين وأولاد حالة وتم إتلاف مكتبته، وبعثرتها، وحكى لي المجاهد الشيخ الصالح وشام بان طائرات الهيليكوبتر تحمل معها مجموعة من الكتب والمخطوطات وترميها من الهواء. وكان ذلك خسارة كبرى للفكر والثقافة، والمعرفة، والتراث. بصفة عامة. وأرغم السكان الأحياء على الهجرة إلى قرية بني حافظ. وللتاريخ أسجل هنا أن الشيخ زين العابدين بن حالة، هذا رجل فاضل، وتقي، وورع، يحترم العلم والعلماء، وكان يقدر والدي الحاج عبد الرحمن بوعزيز غاية التقدير، ويدافع عليه تجاه السلطات الاستعمارية. كما كان يتدخل باستمرار عندما تحاول هذه السلطات منع عودتي إلى تونس للدارسة، وقد زرته عدة مرات إلى منزله خاصة خلال مواسم الأعيان الدينية وكذلك والدي كان يزوره مع كبار القرية. ويلح على المتخاصمين في العرش أن يحضروا إلى والدي للفصل في مشاكلهم حسب الشرع الإسلامي، ويرضوا بحكمه ولا يذهبوا للمحاكم الفرنسية. وهي وطنية كاملة وعالية لا يتصف بها من أخلص في خدمة المعمر.

المجاهد الشهيد الشيخ علي أوحَالَّة (بن حالة)

من مواليد قرية أولاد حالة بجوار الوادي الذي يحمل نفس الاسم على الحافة اليسرى منه، تعلم في زاوية الوالد بالجعافرة في منتصف عقد الثلاثينات وكان ذكياً ونشيطاً، يتصف بالحيوية، والرغبة في الإصلاح، ورغم أنه كان ينتمي لعائلة بن حالة التي تتولى منصب القيادة منذ عام 1871 م، إلا أنه كان يميل بعواطفه إلى الحركة الوطنية، ويرتبط بها وهو ما جعل العائلة التي ينتمي إليها وخاصة القياد منهم لا يرتاحون له، ولا يطمئنون لسلوكه، واتجاهاته الوطنية.

علَّم في قريته عدة سنوات، وعندما اندلعت الثورة المباركة في أول نوفمبر 1954 كان من الأوائل الذين انضموا إليها، وتجند، وترقى حتى وصل إلى رتبة ضابط، وعارض تصرفات أفراد أسرته الذين، لم يكونوا يميلون إلى الثورة، وساعد على عقابهم وعلى قتل البعض منهم، وقد تخصص في فك الألغام التي تسقطها الطائرات واستخراج ما بها من مادة البارود، وقطع التفجير، وفي وضع الألغام التي تستعمل لنسف الجسور، والقطارات، وطرق السكة الحديدية، ومحلات رجال الاستعمار.

ويذكر الشيخ عبد الحفيظ أمقران أن كل القطارات التي تم نسفها عبر طريق البيبان ما بين الجزائر وقسنطينة، تمت بعمله وتحت إشرافه، وقد واصل عمله حتى عام 1957، ومعه زوجته التي يبحث عنها الاستعمار كذلك، وتعرض لأزمة، واستشهد عام 1958، وخلف زوجته مع ابن صغير ما يزال حياً، وهاجر إلى فرنسا، واستقر هناك، وتزوج مع امرأة مغربية وقابلته هنا لدى منزل ابن عمي أبْعَازِّيَ المولود، في حدود 1978 أو 1979 م، بالحي الذي يعرف بمؤدون: Meudon ويشتغل طباخاً في مطعم، ويدعى البشير بن حالة.

مسجد ومعمرة قرية فريحة
ببني ورثلان وشيوخهما

بسم الله الرحمن الرحيم[1]

الحمد لله بذكره تطمئن القلوب، وبطاعته تغتفر الذنوب، وبعظمته تفرج الكروب، وبرحمته تستر العيوب.

أما بعد أيها السادة الأعزاء، ضيوفنا الكرام، يسرني باسمي الخاص، وباسم سكان هذه القرية أن أرحب بكم في هذا اليوم المبارك الذي تستعيد فيه قريتنا ذكرى أمجادها أيام كانت قبلة لطلاب العلم والمعرفة، وحصناً منيعاً لكيد الأعداء الذين حاولوا طمس معالم حضارتنا الإسلامية، وزيارتكم هذه ستكون إن شاء الله فاتحة عهد لإحياء التراث المجيد الموروث عن السلف الصالح، والمتمثل في هذا المسجد العتيق الذي كان مركز إشعاع ونور وهداية بالمنطقة.

وقد أسسه العالم الجليل والرجل المصلح سيدي يحيى أوموسى في القرن التاسع الهجري «15 م» وسماه: زاوية سيدي يحيى أوموسى، وتوافد عليه الطلبة من كل ناحية لحفظ القرآن الكريم وتعلم مبادىء العلوم الدينية واللغوية، وكان عدد الطلبة في البداية ثلاثين طالباً، أو أكثر، وهم يستفيدون من النظام الداخلي.

وهذه المعلومات مستقاة من كبار رجال القرية وشيوخها، وقد تخرج منها عدد لا يستهان به من حفظة القرآن الكريم، ورجال الفكر.

---

(1) تسلمت هذه الكلمة من الشيخ بلقاسم بن حمة بقرية فريحة نفسها وأمام المسجد يوم 12 مارس 1989 خلال زيارتنا للمسجد والزاوية بمناسبة إحياء الذكرى الثلاثين لوفاة العالم الشيخ الفضيل الورثلاني، وقد ألقاها في حفل اللقاء، ونظراً للمعلومات الثقافية المهمة رأينا إدراجها هنا في هذا القسم لأنها من صميم الموضوع.

1 ـ أما الشيوخ الذين كانوا يشرفون على الزاوية والتدريس فيها فهم على التوالي: الشيخ عبدالله بن زمران، والشيخ الفضيل آيت أعراب، والشيخ الخيضر، والشيخ أحمد بن حمة، والشيخ بوعزيز تيزراري، والشيخ مزيان بوزرارة، والشيخ الموهوب نايت شعبان، والشيخ علي بشاخ، والشيخ الطاهر بن زمران، والشيخ الشريف إيزمران، والشيخ الصالح، إيزمران، وهم من القرية المذكورة، ومختصون في الشريعة، والعلوم الدينية واللغوية، والفتوى، والإصلاح بين النّاس.

2 ـ وأما معلمو القرآن الكريم فنذكر منهم:

الشيخ أعمر إيزمران، والشيخ السعيد بن حمة، والشيخ محمد وعلي بن زمران، والشيخ المختار نايت شعبان، والشيخ محمد أرزقي بليط، والشيخ محمد أرزقي بن زرة، والشيخ عبدالله أمليل، والشيخ عبدالله آيت أعراب، والشيخ الصديق بن طالبي، والشيخ الطاهر أرزه، والشيخ السعيد بن شيكر، والشيخ أعمر بن زقور. والشيخ يحيى بن زمران، والشيخ محمد الصغير بوثمن، والشيخ محمد أكلي بوزرارة، والشيخ محمد الطاهر تواتي، والشيخ محمد أكلي بن حمام، والشيخ الرشيد تواتي، والشيخ أعمر آيت حمودي، وغيرهم كثيرون ممن انتشروا في أنحاء مختلفة من مدن وقرى، ساهموا كلهم في تحفيظ القرآن ونشر علوم الدين واللغة، وطلابهم إليهم كثيرون لهم مناصب محترمة في البلاد.

أيها الأخوة الكرام بهذه المناسبة لا بد أن نقف وقفة إجلال وخشوع أمام أرواح شهدائنا الأبرار، ونخص بالذكر شهيد الكلمة والحرية في الثورة المباركة، الشيخ لحسن بن حمة المعروف بالشيخ لحسن أُولْعَرْبي مؤسس المدرسة الحديثة لهذه القرية المسماة: مدرسة الهدى، والتي كانت تابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وهو من مواليد 1920 بنفس القرية، تربى وترعرع فيها، وحفظ القرآن العظيم وجوّده على أبيه سي محمد أُولْعَرْبي، وانتقل إلى زاوية الشيخ بن سحنون ببني وغليس، طلباً للعلم والمعرفة، وبعد ثلاث

سنوات انتقل إلى دار الشيخ محمد أرزقي الشَّبَّانِي، فرتبه وأتم له دروسه لمدة سنة، ثم رجع إلى مسقط رأسه وانتقل ثانية إلى قرية بني حافظ لإتمام دراسته على يد الشيخ المولود الحافظي، ومكث بها عاماً كاملاً، فنال جائزته، ومن ثم استدعي للتجنيد الإجباري من طرف القوات الفرنسية، وذهب إلى الجزائر والتحق بالتعليم في مدرسة سانت أوجان مع الشيخ أحمد سحنون داخل نظام جمعية العلماء، ثم تحول إلى مدرسة باسكال ببوزريعة، فدعاه أهل القرية للتعليم بالمسجد لما تأسست مدرسة جمعية العلماء «الهدى» فلبى رغبتهم وشرع في العمل بجد وإخلاص لتبليغ رسالته العلمية لإعداد جيل المستقبل.

ولما اندلعت الثورة عام 1954 كان من السباقين والداعين إلى الالتحاق بالجبهة عام 1956، فناضل وجاهد في صفوف الجيش حتى وافته المنية في أواخر عام 1956 ببني يَجَّر رحمه الله ورحم شهدائنا الأبرار.

وختاماً أيها الحاضرون أوجه كلمة قصيرة إلى شبابنا، أيها الشباب، قوموا لخدم بلدكم، واعملوا لصالح مستقبلكم، كي تستفيدوا وتفيدوا، وكونوا خير خلف، لخير سلف، وتذكروا أياماً خالدة، وأعياداً مجيدة تروي لنا قصص أبطالنا ورجال نهضتنا أمثال: الشيخ الفضيل الورثلاني، والشيخ لحسن، وغيرهما ممن تقدم ذكرهم، ولا ننسى رجال الفكر وقادتهم مثل الشيخ عبد الحميد بن باديس، والإبراهيمي، والشيخ العربي التبسي رحمهم الله وطيب ثراهم، لقد جاهدوا بعلمهم وعملهم، وبأرواحهم وأموالهم، في سبيل عزتكم ورفاهيتكم، وازدهاركم وإليكم هذه الأبيات:

فيا أيها الشباب سيروا إلى العلا   بعلم وأخلاق فلا تتهوروا
فسيروا حثيثاً واستنيروا لحكمه   وشقوا طريق العلم والدين تظفروا
سلام عليكم كالشذى متعطر   ودمتم جنود الله والله أكبر

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الشيخ بلقاسم بن حمة ابن الشريف

الشيخ مُحَمّدْ وَعلي وَالطّيَب

من مواليد قرية أولاد سيدي يذير قرب قرية إلماين، أواخر القرن الماضي، أو مطلع القرن الحالي، وينحدر من عائلة آيت الطيب التي أنجبت عدداً من المثقفين والعلماء. حفظ القرآن في مسقط رأسه، ودرس وتعلم مختلف المواد والعلوم العربية الدينية، واللغوية خاصة مادة الفقه الإسلامي، والفرائض، والتركات، وتصدى بعد ذلك للتعليم والتدريس، والإفتاء في عدة قرى بالمنطقة، وعين إماماً وخطيب للجمعة في المسجد الكبير بقرية إلماين بعد استعادة الاستقلال الوطني عام 1962 م.

ومن المناسب هنا أن نفسح المجال للشيخ عبدالله شرع الله، ليدلي بشهادته ومعلوماته عنه، كما أرسلها إلينا في رسالته المشار إليها آنفاً بتاريخ 13 ماي 1989 م، وهي مهمة جداً قال حفظهُ الله: «الشيخ محمد وعلي بن الطيب بن محمد الطاهر، كنيته مداغ، واسمه الشيخ محمد وَعْلي، فقيه وأديب، له مشاركة في مجموع العلوم سمعت منه قال: أنه درس مختصر خليل في زاوية الشيخ السعيد بن الأطرش، وسنه خمسة عشر عاماً، وتعلم في مسجد قريته أولاد سيدي يذير، ومن معلميه: الشيخ الفقيه العربي بن حمودة، قاضي بومزراق المقراني، ودرس على شيوخ وعلماء قريته شتى الفنون والعلوم، وحضر دروساً على الشيخ المولود الحافظي حين كان إماماً في قرية عباد الشريف، وحضر على الشيخ أستاذه وأستاذنا الشيخ أحمد العلوي، دروساً في الفقه، والنحو، والمنطق، هكذا سمعت منه، رحمه الله. وأما أبوه الشيخ محمد الطاهر فكان يحفظ الشيخ الدردير شرح مختصر خليل، وشرح الشيخ خالد

الأزهري على الأجرومية، وأما جده الشيخ وعلي لا أدري هل جده الأعلى أم الأدنى فقد أجيز إجازين من الشيخ مرتضى الزبيدي، شارح القاموس، إجازة في العلم، وإجازة على طريق التصوف، هكذا قال لي، ويتصل نسبه بالشيخ بوزيدي رضي الله، وهو رحمه الله تقي زاهد متعبد، وينتسب روحياً إلى الشيخ الدرقاوي، عند ظهور الطريقة العلوية انتسب إلى الشيخ أحمد العلوي، كان رحمه الله كاتباً وخطيباً، ومفتياً، ومن أقطاب الطريقة العلوية.

هذا ما استحضرته وفيه الكفاية، وهو معطوب حرب التحرير، وأما ازدياده ووفاته فاسأل عن ذلك بلديه إِلْمَايَن.

وكان فقير الحال كباقي سكان المنطقة، ويعتمد في معاشه على الإفتاء والتعليم في القرى وكان صديقاً للوالد يزوره مرة على مرة، وكان مع الوالد في الوفد الذي ذهب لزيارة الشيخ المولود الحافظي الأزهري في بني حافظ، بعد الحرب العالمية الثانية وكنت أنا، والشيخ عبدالله أُوشَرْعَ اللَّهَ معهما، ولم نحظ برؤيته لأنه كان مريضاً جداً، وذلك في حدود 1947 على ما أعتقد، وللشيخ محمد وعلي والطيب ابنان هما: جعفر، وعباس، درسا في زاوية الوالد بالجعافرة، وتوفي الأول في وقت مبكر وما يزال عباس حياً يقطن بالعاصمة، وتقاعد من التعليم.

عاش الشيخ محمد وعلي والطيب قسماً من سنوات الثورة لدى ابنه عباس بالعاصمة وبعد عام 1962 عاد إلى قريته واستقر بها ليواصل مهمة الإفتاء إلى أن توفي في ديسمبر 1970 م.

والشيء بالشيء يذكر، فإن والدي عندما صحبني معه لزيارة الشيخ المولود الحافظي الأزهري، كان ينوي أن يودعني لديه لأتعلم على غرار باقي الطلبة، ولما لم نتمكن من مقابلته، وعدنا، قرر أن يأخذني إلى زاوية الشيخ بلحملاوي بالعثمانية التي كانت تقوم بنشاط ثقافي واسع بزعامة شيخها عمر، وصحبنا في هذه الرحلة السيد الفاضل المولود أُوزَايَدْ، صديق الوالد من قرية الزخالين. وعندما نزلنا من القطار، وشرعنا في الاتجاه إلى الزاوية عدل الوالد

عن رأيه وقرر أن يأخذني إلى معهد الكتانية الذي تشرف عليه الزاوية الحملاوية بقسنطينة وذلك خلال شهر أكتوبر 1947، وفعلاً سجلت في السنة الأولى، واجتزت الامتحان، ثم إن صديقاً للوالد يدعى الشيخ حسن البسكري يتولى وظيفة الكاتب في المعهد، إلى جانب الشيخ المولود الحافظي، أشار عليه بأن يأخذني إلى عنابة لدى الشيخ الحاج حسن الطرابلسي لأستفيد أكثر فأخذ برأيه ونقلني إلى عنابة حيث بقيت هناك ثلاث سنوات قبل أن التحق بتونس في أكتوبر 1949.

الشيخ المولود بن الصديق السحابي الحافظي

ولد عام 1880 بقرية بني حافظ دوار عين لڨراج بين بني يعلى، وبني ورتلان. وحفظ القرآن الكريم في مسقط رأسه وتعلم مبادىء اللغة والقواعد العربية، والفقه والتوحيد، والمنطق. وقبيل الحرب العالمية الأولى غادر الجزائر إلى تونس، ثم مصر، والتحق بالأزهر الشريف، وبقي به حوالي عشرين عاماً، حتى تحصل على الشهادة العالمية، ونبغ بصفة خاصة في مواد الرياضيات، وعلم الفلك، إلى جانب المواد الفقهية والأدبية.

وفي أواخر عقد العشرينات عاد إلى الوطن، واستقر بمسقط رأسه بني حافظ، وتصدى للتعليم والتدريس وشارك في تأسيس جمعية العلماء ثم انسلخ عنها وانضم إلى جمعية علماء السنة المعارضة لها، والمدعمة من الدوائر الاستعمارية ويقال بأن الباشاغا أو رابح له دخل في فصله عن جمعية العلماء بضغط من الإدارة الاستعمارية.

وقد التف حوله طلبة العلم من كل جهة، فرتبهم بمساعدة أثرياء الجهة

ودأب على كتابة المقالات في مختلف الجرائد التي كانت تصدر آنذاك ومنها: الشهاب والبلاغ الجزائري، والنجاح. وأسس هو أيضاً جريدة الإخلاص ولا ندري كم عمرت؟ وكم من عدد صدر منها؟ وأين؟ ومتى؟ وكانت له شهرة خاصة في علم مادة الفلك بحيث كان مرجعاً فيها خاصة فيما يتصل بالأهلة، والجداول الحسابية، والكسوف والخسوف. كما كانت له شهرة في فصل الخصومات بين الناس.

ومن بني حافظ انتقل إلى زاوية الشيخ عبد الرحمن اليلولي بجرجرة، وعلم فيها مدة لا ندري مدتها، وانتفع به جمهور كبير من طلبة العلم.

ثم انتقل إلى زاوية الشيخ عبد الرحمن بلحملاوي بالعثمانية غرب مدينة قسنطينة، وتولى التدريس هناك إلى جانب بعض علماء الزيتونة كالشيخ الهادي حَمُّو، وغيره، واستفاد منه الطلبة، وكرمه صاحب الزاوية الذي كان يحاول أن ينافس نشاط جمعية العلماء على الأقل في حقل التربية والتعليم، وعينه مشرفاً على تنظيم الدروس والحركة العلمية بصفة عامة على أسس حديثة، فحاول أن ينظم الامتحانات ويحدد المستويات، ومواد الدراسة، وأوقات التدريس، واستمر في هذا العمل طوال سنوات الحرب العالمية الثانية، وهناك بدأت صحته تعتل.

وبعد الحرب انتدبه الشيخ عمر بلحملاوي ليشرف على معهد الكتانية بمدينة قسنطينة الذي أسسه عام 1947 كمنافس لمعهد ابن باديس كذلك فالتحق به وأشرف على افتتاحه وتنظيم الدراسة فيه، ولكن صحته اعتلت وتدهورت وأصيب بنوع من الشلل الجزئي، والغثيان، فعاد إلى مسقط رأسه.

وتوفي يوم 26 فيفري 1948 م عن عمر يناهز 68 عاماً، وترك مكتبة هامة عبثت بها الأيدي، وخلف ولدين اثنين ما يزالان على قيد الحياة: الصديق، والعربي، وخمس بنات ما يزال أربعة منهن على قيد الحياة، كما ترك آثاراً فكرية وأدبية مهمة منشورة في الجرائد والمجلات. ولعل بعض المخطوطات لم تنشر، كما يشير إلى ذلك الشيخ عبدالله شرع الله في شهادته التالية: ومن أبرز

تلاميذه: الشيخ السعيد اليجري، والشيخ الصديق أيت يحيى، والشيخ عبد القادر بن الزيتوني، والشيخ محمد وَعْلي مداغ بن الطيب، والشيخ عبدالله الشلحابي، والشيخ محمد السعيد الحافظي.

ولنفتح المجال للشيخ عبدالله شرع الله ليدلي بشهادته ومعلوماته عنه كذلك، فهي مهمة وفيها جديد: قال حفظه الله «والشيخ المولود بن الصديق الحافظي الأزهري، هكذا عرف في الجرائد، والكتب، قرأ القرآن في بني حافظ مسقط رأسه، ثم توجه إلى تونس، ومكث فيها ما شاء الله، ثم سافر إلى القاهرة، والتحق بالجامع الأزهر كطالب للعلم، واجتهد حتى فاق أقرانه، خاصة في الرياضيات، وعلم الفلك، واعترف به ذووا الفنون من أوروبا، أقام في مصر خمسة وعشرين سنة، على ما قيل، ورجع إلى الوطن بعد ألف وتسعمائة وثمانية عشر بالتحري.

وسبب خروجه من مصر أن وزير الأوقاف المصري أجحَف في حق الطلبة المغاربة فيما يخص حصتهم من الأوقاف فقدموا عليهم الشيخ المولود ليدافع عنهم أمام العدالة المصرية التي أنصفتهم واضطر الوزير المصري أن يتوسط ببعض رفاق الشيخ المولود من المغاربة والمصريين، وتم تسوية الوضع، وخصص قسم من مدخول رواق المغاربة إلى الطلبة المغاربة، وحسم الأمر، ولكن الوزير بقي يحقد على الشيخ المولود، وسعى لدى السلطات الإنجليزية الحاكمة، فدبرت له مكيدة، وأمرته بمغادرة مصر هكذا بلغني.

«وله تآليف عديدة، لا أعرف، أسماءها الا اثنين هما: كتاب يسمي السبع الشداد، والآخر الربع المجيب. يكيل به الطول، والعرض والغمق، والمسافة إلى آخره، صورته هكذا تقريباً، وما يزال موجوداً عند بعض الطلبة الذين قرؤوا عليه جميع مؤلفاته وكتبه، له خزانة كتب كبيرة أكلتها النار في حرب التحرير، كان رحمه الله من كتاب جريدة البلاغ الجزائري ضد فرحات عباس، وفيوليت، في مسألة الاندماج.

كانت الإدارة الفرنسية تتحفظ منه وتتحذر، وفي الأعوام الأخيرة فرضت

عليه فرنسا الإقامة في الجزائر، وفرضت عليه أيضاً أن يتكلم في الإذاعة، ولكن في أي موضوع شاء.

وسمعت من بعض الأصدقاء له ولي بأنه مات مسموماً من قبل عملاء فرنسا، وله مقالات عديدة، وهي مسجلة عندي، فإذا شاء القدر وتلاقينا، سأطلعك عليها».

الشيخ عبدالله أوشَرْعَ اللّٰهْ

«سيرته بقلمه»[1]

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله

سيدي موسى دائرة الأربعاء ولاية البلدية في 21 جانفي 1989. الأخ المحترم الكريم الأستاذ الشيخ يحيى بوعزيز، صانكم الله ورعاكم، وحياكم تحية شاملة لأسرتكم الكبيرة، وطابت أعمالكم ورزقكم جداً، وعوناً، وتوفيقاً لما توخيتموه من تأليف وغيره.

هذا وإني قد فوجئت برسالة من جنابكم في حالة شوقي إليها زائد، كنت أنقب في هذه المدة على عنوانكم لأكاتبكم، وحفزني إلى ذلك ما كتبتموه في جريدة الشعب حول الطرق والزوايا، وفي آخر المقال كلمة: يتبع، وانتظرت مدة غير قصيرة ولم أر تنفيذاً لهذه الكلمة، ولم يتبع شيء لذلك، وأردت أن أكاتبكم سائلاً ومقترحاً.

وأما ما عزمت عليه من إعداد كتاب يرمي لإبراز ما قامت به منطقة بني عيدل من خدمات وأعمال جليلة إبان الثورة ضد الاستعمار الفرنساوي دفاعاً عن الوطن، وتاريخ ذلك وتسجيله، فهو شيء جميل جداً لا يستهان به ولا ينبغي

(1) اتصلت بهذه الرسالة صباح يوم 25 فيفري 1989، وفضلت إدراجها بنصها ما عدا إصلاح بعض الأخطاء كما أشار هو بذلك، وأذن به، لأن معلوماتها مهمة في ميدان الثقافة وسير بعض رجال العلم.

تركه، بارك الله فيكم، وهذا يعد خدمة للوطن، وللوطن علينا حق، والإسلام كذلك.

لقد فكرت بأن أؤرخ للوقائع والاشتباكات الواقعة في تلك المنطقة وبلغ عددها بالعدد ستة عشر وربما أزيد، ولكن أعوزني تاريخ وقوعها.

ودونكم ترجمتي كما اقترحتم:

اسمي الإداري داود بن الطاهر بن أحمد شرع الله مزداد في 24 مارس 1913 في قرية ثيوريرين ببلدية ثاموقرة، دائرة أقبو ولاية بجاية.

وأما اسمي المستعمل والشائع بين المجتمع وأفراد الشعب فهو عبدالله، والسبب في ازدواج هذين الاسمين وتعددهما هو أن أبي رحمه الله سماني أولاً داود، ثم بعد مدة من الزمن، حضر إلى قريتنا شيخ ليعلم، وأعجب والدي بدروسه، وأحبه كثيراً، وقرر أن يطلق اسمه علي، وهو عبدالله المعضادي من قرية صدوق، وكان هذا الشيخ تعلم في زاوية سيدي أحمد أويحيى في بلدية أمالو، دائرة أقبو، وهذه الزاوية تأسست في القرن التاسع الهجري «15 م» مثلما هو الشأن بالنسبة لباقي الزوايا في نواحي بجاية، وبلاد زواوة.

والدروس التي كان يلقيها الشيخ عبدالله المعضادي في قريتنا كانت في الفقه، والنحو، وقواعد التجويد، والقراءات، والفلك، أي السوسي، كما كان التعليم في ذلك الوقت في تلك النواحي، وربما عقيدة السنوسي رضي الله عنه.

وعندما كبرت قليلاً ووصلت إلى سن التعلم، التحقت بمسجد قريتنا، وتعلمت الحروف الهجائية على معلم القرية وأمامها كدأب مساجد الأرياف في نواحي بلادنا، واسم ذلك المعلم والإمام سيدي أَمْحَنْد أوحْمِيدَان من قرية ثاورميث بالجعافرة، وحفظت أجزاء من القرآن الكريم عليه، وبعد رحيله خلفه الحاج محمد أرزقي من أهالي قرية بوحمزة بدائرة أقبو، وأخذ يدرس متن الشيخ خليل في فقه مالك، والأجرومية في قواعد النحو، للطلبة الكبار، ولقنني شيئاً من متن الدرة البيضاء في علم الحساب، والمواريث للشيخ عبد الرحمن الأخضري دفين أولارل في صحراء الجزائر، ومكث مدة قليلة في قريتنا ثم رحل

وعوضه شيخ آخر يقال له الشيخ المولود أو جلواح من نواحي مسيسنة بدائرة أقبو، فأخذت عليه القرآن الكريم ومتن الأجرومية في النحو، وقواعد الأعراب، ولقنني بعض المتون المختصرة.

ثم استأذنه، فأذن لي، بالالتحاق بزاوية سيدي أحمد أويحيى في أمالو بدائرة أقبو، التي كان يدرس بها آنذاك الشيخ السعيد اليجري الزواوي، الذي كان يلقبه بشيخ الشيوخ، لأن جل الشيوخ وطلبة العلم أخذوا عليه، فحضرت عليه دروساً في الأجرومية، وجودت القرآن برواية قالون، وضريحه بزاوية سيدي عبد الرحمن اليلولي الزواوي.

وهو أي الشيخ السعيد رحمه اللهُ له شهرة لدى الشعب والمجتمع خاصة الطلبة والعلماء ومن أشهر شيوخه الشيخ القطوشي الذي تعلم هو الآخر ودرس على الشيخ أُوبُورَاشَدْ من قرية إلماين الذي كان يحضر حلقات دروس العلماء بمدينة قسنطينة، ويذهب إليها هو وتلميذه القطوش على أرجلهما، والشيخ السعيد بن الحريزي مفتي بجاية آنذاك، ومسقط رأسه بالقلة دائرة مجانة.

ولم يبق الشيخ السعيد اليجري كثيراً بزاوية أمالو، بعد أن التحقت بها، فغادرها، وخلفه الشيخ لَحْلُو وَاعْمَارَهْ من بني خيار فدرست عليه شرح مختصر خليل في فقه إمام الأئمة مالك بن أنس رضي الله عنه، وألفية بن مالك في النحو، ومتن جوهرة التوحيد، وبعض قواعد الفلك، للسوسي، في معرفة الأوقات، والأعوام، والفصول الأربعة، والقبلة، وفي زمورة، وفي مسجد صغير يسمونه جامع زيتونة حضرت دروساً على الشيخ عمر بو حفص، في المرشد المعين، وشذور الذهب، لابن هشام الأنصاري في النحو، والصبان في العروض والقوافي، والشيخ عمر بوحفص هذا درس على الشيخ أحمد بن قدور من علماء زمورة، وها هو الآن إمام في مسجد سيدي رمضان بعاصمة الجزائر.

وفي قنزات ببني يعلى حضرت دروساً على الشيخ الهاشمي تلميذ الشيخ أرزقي صالحي، والقاضي الشيخ الربيع أُوقَرِّي رحمهما الله، في بعض أجزاء مختصر خليل، وألفية ابن مالك في النحو، وتفسير النسفي، وجمع الجوامع

في أصول الفقه، وشرح جلال المحلي على جمع الجوامع للإمام ابن السبكي رحمه الله، والشيخ الهاشمي ينسب إلى بن المولود الحاج الطيب «عائلة الحاج الطيب».

وأما زاوية الجعافرة فقد علمت أن الشيخ الزين بلحداد، قاطن قرية بوفنزار علّم فيها، وكذلك الشيخ لحلو أمزيث «من مزيتة» الذي علم في قرية ثاوريرث بالماين، وله شهرة في حفظ القرآن الكريم، وأنا ممن قرأت عليه في قريتنا، وكان ضريراً، وجئت يوماً إلى الزاوية فوجدت أباك يعلم الأولاد.

وأما الشيخ أحمّودي فهو أديب فقيه، وسياسي، وبيتهم عريق في العلم والدين، وكان أبوه الشيخ عبدالله فقيهاً، وله معرفة بالطب، وهو أحد الأطواد في الطريقة الحنصالية، وأهل هذه الطريقة لهم خاصية في استخدام الجنون.

وجده الشيخ يحيى أحمّودي عالم جليل له شهرة علمية عند علماء القبائل الصغرى، وممن عرف بالعلم لدى المجتمع في هذه الدار، الشيخ الحسن، والشيخ علي، ولهذه العائلة زاوية صغيرة يعلم فيها شيوخها العلوم، والقرآن الكريم، وقد اندمج الشيخ يحيى ضمن المصلحين.

وختاماً أرجوك أن تعذرني وتسمح لي فيما اقترفته من الأخطاء اللغوية والإملائية، والحق أنك تعرف أن بضاعتي العلمية قليلة، ولقد كتبت هذه اللمحة بسرعة، وأنا مريض في المعدة والريح، وألزمني ذلك الفراش، ولا شك أنه في إمكانك أن تتصرف في هذه اللمحة بالزيادة أو النقص أو تبديل العبارات، لأني في الأسطر الأخيرة كنت أكتب بدون إمعان النظر اعتماداً على أنك ستصحح.

اقترحت على أن أعرفك ببعض الزوايا والمعمرات، وكتاتيب القرآن الكريم، ومن بين ذلك.

زاوية سيدي عبد القادر الجيلاني في بلدة ثفرق التي يرأسها أولاد بغورة، ويتم فيها تعليم القرآن الكريم.

وكذلك زاوية سيدي يحيى العيدلي في ثاموقرة، وأسأل عنها الشيخ محمد

الطاهر المقراوي، وأسست أيضاً أولاً على يد الشيخ الجليل، والصوفي الكامل، سيدي يحيى العيدلي الذي كفاه فخراً أن الجامع بين الحقيقة والشريعة، السيد الشيخ الزروق البرنوسي، أخذ عنه الطريقة الصوفية، وهو، أي الشيخ زروق، جمع بين الفقه والتصوف، ومن جملة تصانيفه: شرح الرسالة لأبي زيد القيرواني، والنصيحة، وله كتاب القواعد جامع لشتى من فنون العلم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

«من أخيكم عبدالله بن الطاهر شرع الله»

ويضيف الشيخ عبدالله شرع الله في رسالة أخرى[1] تفاصيل جديدة عن حياة أسرته وأفراد عائلته فيقول:

الأول من أخواني يسمى سليمان بن الطاهر بن شرع الله، هو الأكبر منا لأنه ختم القرآن وفي تاريخ اثنين وخمسين (وتسعمائة وألف) كان يعمل في فرنسا، ولما سمع باندلاع الثورة قدم بقصد الانخراط في الثورة، وعزم أن يلبس كجندي، ولكن مسؤولي الثورة أبوا عليه ذلك، واقترحوا أن يتولى المسؤولية في القرية كممون للمجاهدين، ومقتصد، وكان يجلب القمح من نواحي سطيف، ومجانة وتحته جماعة من اشخاص يقومون بالمهمة وعمل كمسؤول شعبي في القرية.

وفي بعض الأيام قدم إلى القرية من مركز الماين ضابط برتبة صاغ، وأخذ أخي سليمان المتحدث عنه، وبعض أفراد القرية، للبحث، والاستجواب، وبعد البحث والتحرير وشدة التهذيب، أطلق الضابط سراح أهل القرية جميعاً، وأخذ أخي سليمان، والحال أنه كان يشرف على الموت من شدة أنواع الضرب، وحمله معه على الراحلة إلى قرية إلماين، وفي تلك الليلة استشهد، وأخذ الضابط معه أيضاً ابن أخي محمد، وبقي في السجن ستة أشهر بعد وفاة أبيه

(1) لا تاريخ لهذه الرسالة ولكن ختم البريد يحمل 13 ماي 1989 م. وأخواه سليمان وأحمد اللذان يتحدث عنهما أعرفهما جيداً لأنهم من مريدي والدي. زرت منزلهم، وزاروا منزلنا عدة مرات.

الذي ترك من الأولاد محمد المذكور، والعلوي، والمهدي، وثلاث بنات.

وبعد أشهر دعي ابن أخي المسمى العلوي، وطلب للخدمة العسكرية في صفوف الجيش الفرنسي فاقترحت عليه أن يدخل في صفوف جنود الثورة، ففعل ذلك، ومنح درجة ضابط صغير وبقي في صفوف جيش التحرير إلى نهاية الثورة (عام 1962)، وهو مسؤول في تلك النواحي أي القبائل الكبرى، وما يزال إلى الآن مستقراً في تيزي أوزو، ولقد عذبت من أجله، من قبل فرنسا بسبب أني مسؤول عليه، وقالوا لي لماذا فر من التجنيد ودخل مع الفلاقة.

وأما أخي أحمد، فقد التحق بالثورة في أولها، حصل على درجة، وحفظ القرآن، واستشهد في جبال القبائل الكبرى خلال عملية جيمال (المجهر)، مع جماعة من شباب قريتنا، سنة 1959 وخلف من الأولاد، عبد المالك، وجمال، وبنتين، وزوجة، وأما، في بلدة ثاقة نابث نايث يحيى.

الشيخ الهاشمي بن الحاج الطيب اليعلاوي

من مواليد قرية ڤنزات ببني يعلى أواخر القرن الماضي، حفظ القرآن الكريم في مسقط رأسه، واهتم بصورة خاصة «بدراسة مادة الفقه الإسلامي حتى أصبح حجة فيه، إلى جانب علوم اللغة، والعقيدة والتوحيد، وتفرغ للتدريس في مسقط رأسه، وكون شبه معهد، رتب فيه الطلبة الذين يحضرون إليه من الآفاق، ومنهم على ما أذكر الشيخ عبدالله أُوشَرْغ الله، والسيد لَقْدَرْ مُوحَنْدْ أُومُوسَى، والشيخ السعيد الصالحي وغيرهم.

ولم ينسجم مع جمعية العلماء، وممثلها بقنزات الشيخ السعيد الصالحي، ابن القرية، واحتفظ لنفسه باستقلالية الرأي والاتجاه، وفرغ نفسه لخدمة العلم بعيداً عن التيارات السياسية.

وكان له صدى كبير في المنطقة، وتلاميذ عديدون، يثنون عليه ويقدرونه، ويذكرون فضله في ميدان التربية والتكوين، والتعليم، خاصة وأنه

مع بيان شرف النسب، والعلم، وهم من جهات عديدة بالقبائل، والأوراس، وقد توفي بعد الحرب العالمية الثانية وفي مطلع الخمسينات حوالي عام 1958 وما تزال ذكراه على الألسن.

الشيخ أرزقي أُوبَصّالَح وحفيده الشيخ السعيد الصالحي

الشيخ أرزقي أوبصالح من قرية قنزات ببني يعلي كان فقيهاً متضلعاً في أحكام الشريعة والدين، من مواليد القرن الماضي، وتوفي في القرن الحالي خلال الحرب العالمية الأولى، تصدى للتدريس في قنزات، ورتب طلبة من جهات كثيرة جاؤوا من الأوراس والهضاب العليا، وباقي منطقة القبائل الصغرى خاصة من بني ورتلان، ومن أبرز تلاميذه وأنجبهم حفيده الشيخ السعيد الصالحي عضو جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الذي كان مقرباً كثيراً من الشيخ عبد الحميد بن باديس، وكان متفوقاً في المواد الأدبية خاصة الخطابة والشعر، وفي علوم اللغة، والبلاغة ومادة الفقه الإسلامي.

وفعل مثل جده فتفرغ للتعليم والإقراء بقنزات، واختاره الشيخ عبد الحميد بن باديس، ضمن الوفد الذي أرسله إلى فرنسا عام 1936 مع الشيخ الفضيل الورتلاني، والشيخ محمد الصالح بن عتيق، للقيام بالوعظ والإرشاد في أوساط المهاجرين الجزائريين ونشر مبادىء الإصلاح بينهم، وكان فصيح اللسان، مقتدراً على جلب مستمعيه إلى الإصغاء له، وخلال الحرب العالمية الثانية سجن بسبب مواقفه الإصلاحية، كما سجن بعد أحداث 8 ماب 1945، وبعد خروجه عين من طرف جمعية العلماء للإشراف على الجمعية الإصلاحية بمدينة سيق، ومدرستها ومسجدها. وفي مطلع الخمسينات نقل إلى مدينة تلمسان حيث اعتقل هناك عام 1956 بعد اندلاع الثورة، وبقي في السجن حتى عام 1962، ثم عاد إلى نشاطه في إطار وزارة الشؤون الدينية، وعين مفتشاً عاماً على ولاية وهران وتلمسان، وعين عضواً في المجلس الإسلامي الأعلى

الذي ترأسه بعض الوقت، ولم ينسجم مع الوزير مولود قاسم واختلف معه خاصة حول اعتماد القاعدة في صوم رمضان، والإفطار، فاعتزل الوظيف، وتوفي عام 1986 م، وأبناؤه أصدقاء لنا وهم: أرزقي، والخضير، والمأمون، وجمال، والزبير، ولدينا رسالة للشيخ السعيد الصالحي وجهها إلى الشيخ الفضيل الورتلاني بالقاهرة في حدود عام 1954 علي ما يبدو حدثه فيها أشياء كثيرة شخصية خاصة، وعامة ذات صلة بأوضاع البلاد وجمعية العلماء، والتعليم، والمدارس، ولأهميتها نورد نصها فيما يلي:

مدرسة الفضيل الورتلاني

لنشر التربية وبث الأخلاق الإسلامية

زمورة ـ البويرة (الجزائر)

زمورة في[1]

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

أخي الكريم وصديقي الحميم الأستاذ الشيخ الفضيل أطال الله حياتكم، ووفقكم في أعمالكم الجليلة. أيها الأخ يؤسفني كثيراً أن أكاتبكم مرات ومرات، ولم أحظ إلا برسالة واحدة، كما كاتبت الأولاد والشيخ، فلم أرى منذ شهرين تقريباً حرفاً واحداً الأمر الذي آلمني كثيراً كثيراً أنني علم الله منذ كاتبني الشيخ قبيل عيد النحر في مسألة ولدنا الحسين فأجبته مراراً عديدة وأفهمته في قضية الولد غير أن الجواب صفر، لقد انقطعت أخباركم عنا اللهم إلا ما بلغنا بواسطة الشيخين: العربي، وبوشمال، وبعض الحجاج الآخرين. أيها الأخ أما الولد الحسين فلقد اتصلت به مرات كثيرة فتارة يرجح السفر وتارة يرغب في أن يكمل هذا العام بالمعهد وقد كاتبتكم في هذا الشأن بعد سي الزروق، كما أوصيته شفاهياً، ثم بعد ذلك قرر نهائياً السفر وها هو يستعد الآن، لأن يكون

---

(1) لا تاريخ لهذه الرسالة ولكن الغالب أنها كتبت أواخر عام 1954 أو أوائل 1955 م حسبما أكد لنا ذلك ابن الشيخ السعيد صالحي، السيد أرزقي صالحي عندما راجعته.

ضمن البعثة المقبلة إن شاء الله وقد أحسن في هذا القرار الأخير إذ سنه (كذا)، ذهبت لقسنطينة، لتوديعه وتزويده بالنصائح فوجدته سافر إلى بني ورتلان لتوديع الأقارب. وسأرجع إلى قسنطينة عند سفر البعثة إن شاء الله.

لقد كنت عزمت واقترحت أن أسافر مع البعثة إلى هناك لزيارة الأولاد والالتقاء بكم وبالشيخ وإخباركم بما جد هنا سواء في الجمعية وفي غيرها من الأمور التي لا تقال إلا شفاهياً، ولكن واأسفاه عين غيري لذلك، وهكذا أبعد دائماً عن الأمور المهمة، وقد وعدني الشيخ خير الدين أن يكون ذلك في البعثة الثانية، ولست أدري هل يثبت ذلك أم لا، إذ جربت موقفهم معي وعند الله تجتمع الخصوم، فقد كان الشيخان يلهجان بذكركم، ولكن كما قيل (الصيف ضيعت اللبن)، وإذا قدر الله أن نلتقي بكم فسأحدثكم كثيراً كثيراً عن كل شاذة وفاذة، فأرجو أن تلحوا على الشيخ كي يأمرهم بأن يعينوني في مرافقة إحدى البعثات، إنني والحق يقال حريص جداً أن أطلعكم على جميع الأمور قبل الموت والفوات.

ما هي حالة الأولاد يا ترى إنني في حيرة من الخضر وزوجه في كون السنة ضاعت عليهم مع النفقات الباهظة التي كلفني سفرهما بدون فائدة معتبرة فأرجو أن يلتحقا هذا العام بسعيكم وسعي الشيخ، إن الخضر ألف الأمر في حياته ولكن أخوف ما أخاف على البنت إذا لم تألف التغرب والمحن والاحتياج.

ذهبت في هذه الأيام إلى بجاية ومكثت هناك أسبوعاً ألقيت سبع دروس فكان الإقبال عظيماً جداً وقد نجحت في إرجاع الشيخ الهادي إلى بجاية وترسيمه هنالك باسم الجمعية، وقد فرح الناس بذلك، وها هو قد شرع في عمله. وسيرحل في أوائل نوفمبر، الناس كلهم لا حديث لهم إلا على سيادتكم وجهادكم، وما من درس في جولاتي في هذا العام إلا ذكرتكم فيها، وقد شاع اسمكم حتى عند ربات الخدور.

أما البويرة فبعد، أتعاب، وأتعاب، وتهديدات، وفتن، وثورات،

نجحت والحمد لله في فتح المسجد وتأسيس مدرسة بها وعدة مدارس بنواحيها. ومن بين النواحي زمورة، وقد اقترحوا أن يسموا المدرسة باسمكم ففرحت بذلك ووافقتهم، أما بني ورتلان وبني يعلى فقد فتحت في هذا العام مدرسة بألموثن، مدرسة بعراصة، تعمير مسجد الجمعة، مدرسة بقنزات، مدرسة بالشريعة، مدرسة ببني عشاش، والحركة دائماً في ازدياد وتقدم اجتماعنا الإداري في هذا العام كان مثمراً، وأستطيع أن أقول منذ فارقنا الشيخ ما وقع اجتماع مثله حيث ساد الوئام، والديمقراطية، والنصح، والإنتاج، فأعمالنا فيه إن شاء الله مثمرة، وقد قررنا مقررات إن نفذت كانت فتحاً مبيناً وخطوات كبيرة إلى الأمام حقق الله الرجاء آمين.

دمتم للعروبة والإسلام أخوكم سعيد صالحي

الشيخ السعيد فضلاء البهلولي

ينحدر الشيخ السعيد فضلاء البهلولي من أسرة البهاليل التي تقطن بقرية: أَجْبَرْنِي، من أعراش بني ورتلان، وتنتسب إلى الجد الأعلى يذير أُولْحَاجْ، وقد استقر جده أحمد أبهلول في قرية أَلْمُوثَنْ، وبها ولد الشيخ السعيد بن الطاهر بن أحمد أبهلول يوم الثلاثة 8 رجب 1276 هجرية الموافق 31 جانفي 1860. وعندما كبر عكف مع أخته شريفة على حفظ القرآن الكريم، والمتون، والمصنفات، النحوية والصرفية، والفقهية على والده الشيخ الطاهر، ثم شرع في دراسة العلوم الدينية، واللّغوية على شيوخ أجلة ومنهم:

والده الشيخ الطاهر.

والشيخ يحيى حمودي.

والشيخ عبدالله حمودي.

والشيخ السعيد بن الحريزي القلي.

والشيخ محمد القاضي.

والشيخ أحمد بن الرحاب.

وعندما استكمل ما عند هؤلاء من العلوم والمعارف، انتقل إلى مدينة قسنطينة وتردد على حلقات دروس كل من الشيخ حمدان لونيسي، والشيخ عبد القادر المغربي، والشيخ عبد القادر المجاوي، والشيخ صالح بن مهنا، وذلك بصفة غير منتظمة.

ومن قسنطينة انتقل إلى أولاد دراج، والحراكتة، بعين البيضاء، ودرس فيها عدة فنون، ثم انتقل إلى قرية تاملوكة، ودرس في زاوية بوقندورة، وزاوية ابن سعدان في الطاية، ونال شهادة هناك، فدعاه شيخ زاوية بوقشابية بنواحي عنابة للتدريس بها، فلبى الدعوى وعلم بها مدة من الزمن، وصادف نجاحاً باهراً بسبب تضلعه في العلوم، وحسن أسلوبه وبلاغة أدائه.

وبعد هذه الرحلة الطويلة إلى قسنطينة، وقرى الأوراس، عاد إلى مسقط رأسه ألموثن، وانتقل مع والده إلى قرية: ثِغِيلْتْ أَنْتَاقْوِينْ، قرب قرية جمعة بني ورتلان، واستقرا بها بصفة نهائية، وباعا كل أملاكهما في مسقط الرأس. وفي هذه القرية اختار والده الشيخ الطاهر لقب: فضلاء، له ولعائلته بدلاً من لقب أبهلول، الذي ما يزال يحمله أبناء عمومته حتى اليوم. وقد تم هذا الاختيار عندما شرعت الإدارة الاستعمارية في تسجيل الحالة المدنية للسكان.

وبعد وفاة والده الشيخ الطاهر، الذي أوصى أن يدفن في مسقط رأسه: ألموثن، انتقل الشيخ السعيد، إلى بني شبانة، وتزوج هناك ثلاث مرات، وأنجب من الأخيرة الأبناء: محمد الحسن، ومحمد الطاهر، وعبد الملك، ومحمد البهي، والبنتين: فاطمة، وجميلة، واعتنى بتربيتهم تربية إسلامية، وبتثقيفهم وتعليمهم.

تعرض الشيخ السعيد لمضايقة قائد الدوار بني ورتلان، والباشاغا، اللذين وشيا به إلى رجال الدرك في بوقاعة، فاستدعوه، وسجنوه، وأهانوه، ثم أطلقوا سراحه فرحل إلى الشرق الجزائري، وزاول التعليم في عين البيضاء ووادي زناتي، وعنابة، وعندما عاد، علَّم في بني شبانة، وزاوية سيدي أحمد الزروق الوغليسي، وزاوية سيدي الرزاق بأكفادو، ومسجد سيدي عيش الذي كان يحضر إليه كل يوم أربعاء، الذي هو يوم السوق الأسبوعي، ويحضر إليه كل

طلبة وشيوخ زوايا المنطقة ليعلمهم ويفتيهم، ويرشدهم.

قضى خمسة وثلاثين عاماً في زاوية سيدي موسى الوغليسي، بقرية ثينيدار، يعلم ويدرس، ويفتي، ويفقه، إلى أن توفي. وعلم كذلك في قرية أَنُّو، وفي مسجد سيدي الحسين الورتلاني، صاحب الرحلة المشهورة ببني ورتلان. ومن بين تلاميذه الشيخ المصلح الفضيل الورتلاني، أحد شيوخ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

ونظراً لتضلعه في العلوم، أجازه عدد من العلماء الذين درس عليهم، ومنهم الشيخ السعيد بن عبد الرحمن الحريزي اليعدلي، وذلك بالإجازة التالية:

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله

إجازة في العلوم.

الحمد لله ملهم الصواب، المانح من إصطفاه لتحمل العلوم أشرف الأسباب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أرجو بها زوال كل دين ومجاب، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الموصل بهمته كل مرتاب، المجيز من اهتدى بهديه كل راجع وتواب، وسند كل من أُوتي الحكمة وفصل الخطاب، وصلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وصلة الأحباب، صلاة وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم المآب.

وبعد: فقد التمس مني من حسن بي ظنه وأعتقد أن قربنا جنة، الأخ في الله والمحب لأجله، الشيخ سيدي محمد السعيد نجل الشيخ سيدي محمد الطاهر أبهلول، أن أجيزه، وإن لم أكن أهلاً أن أجاز فضلاً أن أجيز، فقلت فقد أجزت الشيخ المذكور بجميع ما صحت درايته وثبتت له روايته من منقول ومعقول، كما أجازني بذلك أشياخي منهم الشيخ يحيى حمودي الورتلاني، وسيدي محمد بن بوجمعة القلي، وسيدي محمد الصادق الزواوي، وسيدي الحسين الفرطسي الغلفي، وغيرهم رضوان الله عليهم أجمعين، سائلاً لي وله التوفيق، وأن لا ينسانا من دعواته في خلواته وجلواته آمين.

كتبه فقير ربه وغلام أوليائه محمد السعيد بن عبدالله الحريزي اليعدلي

منشأ. الأشعري اعتقاداً، مصلياً ومسلماً على رسول الله وآله عام 1298 هـ (4 ديسمبر 1880 ـ 22 نوفمبر 1881).

وقد توفي الشيخ السعيد يوم الأحد 21 صفر 1361 هـ الموافق 4 فيفري 1945 م. ودفن في ضريح سيدي موسى الوغليسي الذي علم بزاويته خمسة وثلاثين عاماً.

وخلف الشيخ السعيد مكتبة مهمة وله من الآثار:

1 ـ رسالة في الرد على الطرقيين والعوام القائلين بوجوب تلقين الأوراد والذكر، طبعت عام 1926 بالمطبعة الثعالبية، بالجزائر، وقرضها الشيخ البشير الإبراهيمي.

2 ـ شرح قصيدة الهمزية للبصيري (مخطوطة).

3 ـ مجموعة من الفتاوى الفقهية، ومراسلات مع عدد من العلماء ما تزال كلها مخطوطة لدى أبنائه، خاصة الأستاذ محمد الحسن فضلاء الذي يقوم بنشاط علمي وتربوي مهم ومكثف، وحقق عدداً من الأعمال الفكرية، وألف عدداً من الكتب التربوية.

وقد اعتمدنا في هذه المعلومات كلها على الترجمة الواسعة التي أرسلها إلينا ابنه الفاضل الشيخ محمد الحسن فضلاء.

بتاريخ 21 سبتمبر 1993 م. وبعدها نورد ترجمته هو كما كتبها بقلمه وأرسلها إلينا بطلب منا طبعاً كذلك.

سيرة الشيخ محمد الحسن فضلاء بقلمه

والشيخ محمد الحسن معلم كفء أحب التعليم وأخلص فيه، ولازمه وأبلى البلاء الحسن في سبيله، وأحدث فيه ما جعله يطمئن إليه، وينصرف كلية إلى فنونه وشؤونه يتمنى وهو في شيخوخته أن يعود إليه ويموت بين أحضانه، بعدما قضى نصف قرن بين أقسامه وتلامذته وفصوله ومعلميه.

مولده ونشأته وتعلمه:

ولد في 12 ربيع الأول 1332 الموافق ليوم 17 مارس 1914 بقرية (ترفت) ببني شبانة، من ولاية سطيف، من عائلة المرابطين.

قرأ القرآن في المنزل على والده وحفظه وهو ابن إحدى عشرة سنة (شاقاً) بفضل التكرار الذي لازمه مع أبيه، ثم أعاده مرتين، وكان الوالد رحمه الله لا يعتمد على غيره في تعليمه وتكراره.

ومما يذكر أنه سافر إلى الشرق الجزائري سفرة تستغرق أكثر من شهر وقد طلب منه أن يدرس لطلبته فناً من الفنون فوضع ابنه هذا عند إمام القرية وقد تركه في ربع من أرباع (سورة القصص) وهو: ﴿فلما قضى موسى الأجل آنس من جانب الطور ناراً﴾، ولما عاد من سفره بعد شهر ونصف وجده في نفس الربع الذي تركه فيه لم يخرج منه، في حال أن الحزب الواحد مع أبيه يحفظه في نحو 10 أيام، وتقريباً يحفظ ثمناً من الحزب كل يوم. فتأسف والده وتذمر وصب جام غضبه على الإمام ومن ثم لم يعد يعتمد على غيره في تحفيظه حتى حفظه كله.

وكان أثناء إعادته للقرآن يحفظ بعض المتون كالألفية، ولامية الأفعال، وغيرها من المصنفات والمتون مع طائفة أخرى من الشعر العربي.

كما بدأ يحضر مع طلبة والده الدروس العلمية كالشيخ خليل وغيره من الفنون الأخرى كالنحو والصرف والعقائد والبلاغة وعلم الكلام.

من حوادث الصبا:

نشأت في بيئة خرافية معقدة، والشعوذة فيها قد ضربت أطنابها، إلاّ أن دارنا دار قرآن وعلم، فوالدنا، رحمه الله، كان عالماً مصلحاً يحرم علينا تحريماً باتاً، نحن أبناؤه، الاختلاط بالناس خوفاً من التأثر بترهاتهم وأباطيلهم، فهو لم يجر على محاربة البدع والشعوذة والطرقية كما فعل رواد الإصلاح بيد أنه قد ألف رسالة حدد فيها موقفه وموقف الدين من الطرقية وأشكالها، وألوانها وعدها ضلالة، وقد طبعت الرسالة في المطبعة الثعالبية بالجزائر سنة 1926

وعندما اطلع عليها الشيخ محمد البشير الإبراهيمي كتب إليه رسالة ما تزال عندي بخطه وقد جاء فيها قوله: «لذلك تضاعف فرحي وابتهاجي حين اطلعت على فكركم في هذه المسألة» وأنا أعدكم من أنصار هذه الحركة، حركة الإصلاح الديني، وأقوى ظهرائها في هذه البلاد المنكوبة بجدب العقول، وقحط الرجال المصلحين».

وهكذا نشأنا مصلحين ومتفتحين، واندمجنا بالطبيعة في حركة الانبعاث القومي عندما أعلن عنها الرواد، فصرنا جنوداً أوفياء من جنود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودعاة مخلصين في صفوفها.

الحادثة الأولى:

أبلغ من العمر ست أو سبع سنوات وكان ذلك في حدود 1920 عندما أقدمت على تقويض إحدى مقدسات الخرافة والدروشة والعقائد الضالة.

دخلت إلى (ضريح سيدي موسى الوغليسي) بحكم وجودي مع أبي المدرس في هذه الزاوية، وعلى قبر صاحب الضريح نصب (تابوت) بسطت عليه أردية وأصناف من الأقمشة الحريرية الفاخرة يأتي بها الزوار ويبسطونها على التابوت التماساً لبركة الشيخ. وكان في يدي علبه كبريت، فأضرمت النار في القماش ثم أطفأتها خوفاً منها، ثم أشعلتها مرة ثانية وثالثة إلى أن تصاعد لهيبها، ولم يعد في استطاعتي إخمادها، فهرولت هارباً تاركاً النار تفعل مفعولها، وقد رآني أحد الطلبة خارجاً من الباب والدخان يعلو سماء الضريح ويخرج من النوافذ ومن الباب، فهرع مقتحماً ألسنة اللهيب يجتاح برنوسه فتمكن من إخماد النيران المتأججة قبل أن تأتي على التابوت الخشبي، فبلغ الخبر والدي فحضر وانهال عليّ ضرباً ولكماً ورفساً إلى أن خلصني من بين يديه الذي أخمد النار نفسه.

وأذكر أن والدي لم يتعرض لهذه الحادثة بتوضيح أو تعقيب أو لوم أو بشيء من العتاب وقد اكتفى بضربي أمام الملأ فقط، وكأنه في قرارة نفسه راض بفعلتي هذه لأنه ما كان يؤمن بهذه الخرافة وهذا التصرف العقائدي الأحمق

الأخرق، ويعده ضلالاً مبيناً ولكنه لم يحاربه واكتفى بأن أنكره بقلبه، وعبر عن ذلك بلسانه في غير ما مرة قائلاً: اللهم إن هذا منكر، وهو أضعف الإيمان.

وجه الشبه:

قيل إن يوسف عليه السلام سرق في صغره (صنماً) كان لجده أب أمه فكسره وقد أشارت إلى هذه الفعلة الآية القرآنية ﴿قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل﴾ أي يوسف إلى آخر الآية من سورة يوسف.

الحادثة الثانية:

كنت في السنة الحادية عشرة من عمري عندما قدمني والدي للإمامة في صلاة التراويح طيلة شهر رمضان، وما بقي لي إلا الحزبين (عم وسبح) وكنت في الركعة الأخيرة والقراءة الأخيرة حتى إذا بلغت الآيات ﴿انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب لا ظليل ولا يغني من اللهب إنها ترمي بشرر كالقصر، كأنه جمالات صفر ويل يومئذ للمكذبين﴾.

وإلى هنا شعرت وكأنني تلقيت ضربة قاصمة الظهر فصرخت آه..... فوقعت على الأرض مغشياً عليّ، وما أدري ماذا فعلوا بي وكيف أتموا الركعة الأخيرة من الصلاة؟

والذي أذكره أن عيد الفطر من هذه السنة مر عليّ وأنا محموم بحمى شديدة انتابتني ولم أشعر بفرحة العيد، ولا بأيامه المشرقة.

إن صغري، وحسن أدائي، وفصاحتي في تبيان الآيات، وحفظي الجيد لها، كل ذلك داع لتأثير العين الحاسدة التي كنت هدفاً لها.

وقد ذكر ابن عباس وغيره من أئمة الصحابة رضوان الله عليهم أن يعقوب عليه السلام حين قال لأولاده بما قصه علينا القرآن الكريم ﴿يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة، وما أغني عنكم من الله من شيء﴾ (61 يوسف) فقد خشي عليهم أن يصيبهم الناس بعيونهم وهم ذو جمال وهيئة حسنة ومنظر وبهاء فإن العين كما قيل تستنزل الفارس عن فرسه، وقانا الله من شرها.

الهجرة في طلب العلم:

وفي سنة 1933 هاجرت إلى قسنطينة من غير رضا والدي عني، وأصبحت من تلامذة الجامع الأخضر بكفالة الشيخ الفضيل الورتيلاني المعنوية، وقد شكوت للشيخ عبد الحميد بن باديس عدم رضاء والدي عن قدومي ورجوته أن يتوسط في كسب رضاه عني، فكتب إليه الرسالة الآتية يستعطفه ويطمئنه.

قسنطينة في 16 رجب 1352.

العالم الولي، الخير النفاع، الأخ الكريم الشيخ سيدي السعيد أُوبهلول المعظم. أيده الله، وأدام النفع به، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إما بعد: فإني أرى من نعمة الله علي أن وفق ابنكم السيد الحسن إلى القدوم إلى قسنطينة لحضور دروسنا، وذلك لما أرجوه فيه من حمل العلم ونشره والعمل به، حسن ظن بنطفتكم الطيبة، وسيماه الزكية.

فأرجو من فضلكم أن تمدوه بدعائكم ورضاكم، وما لا بد مِمَّا يقوم به من ضروريات الحياة والله أسأل أن يجازيكم عنه وعنا خير الجزاء، ويديم انتفاع المسلمين بكم. لا تنسنا من دعائكم فإنني والله في غاية الاحتياج إليه من أمثالكم والسلام.

من أخيكم: عبد الحميد بن باديس، لطف الله به.

وحين عدت في السنة الثانية إلى قسنطينة وافق والدي على العودة ورضي عني وقدم لي العون.

وما كان عدم رضاه أول مرة إلاّ تخوفاً من التأثر بمغريات المدينة وانبهاري أمامها وانهيار الأخلاق وفساد السيرة.

مكثت في قسنطينة ثلاث سنوات، ففي نهايتها دعيت للخدمة العسكرية الإجبارية، وحين أنهيت مدتها في باتنة عينني الشيخ عبد الحميد معلماً على رأس (مدرسة التربية والتعليم فرع باتنة) في 3 أكتوبر 1937 والتحقت بمنصبي

فعملت فيه سنتين، ثم دعيت مرة ثانية للجندية الاحتياطية في 3 سبتمبر 1939 وشاركت في الحرب العالمية فما تحررت من العسكرية ومن الأسر الألماني إلا في 8 أبريل 1943.

أسوأ فترة في حياتي هي تلك الفترة التي قضيتها في العسكرية الفرنسية وكنت أتعمد نسيانها وأتوارى خجلاً من ذكرها، ما عدا الفترة التي قضيتها في الأسر الألماني (40 ـ 43) وهذه كانت مثمرة إذ مكنتني من تحويل المعتقلات كلها إلى مدارس، وخاصة (معتقل أورليو) في فرنسا المحتلة إلى معهد علمي تلقى فيه الدروس (وعظ وتوجيه، وتربية، ونحو وصرف، وقرآن، وحديث وسيرة نبوية وتاريخ، وجغرافيا).

ختمت بالتدريس في درس للعموم كتابي (محمد المثل الكامل) (والإسلام روح المدنية) كما قمنا بعدة أنشطة كالاحتفالات بالأعياد والمواسم وقد مثلنا روايات وطنية ودينية منها (رواية بلال بن رباح) وغيرها وقد حضرها ضباط ألمانيون فاندهشوا لما رأوه وأدركوا أن شعب الجزائر في طريقه إلى السيادة والحرية والاستقلال في شعوب إفريقيا الشمالية، بالإضافة إلى إحياء ليالي رمضان بالتراويح وقراءة القرآن والصلاة في العيدين.

هذا المعتقل يضم أكثر من ألفي أسير مغاربة وتونسيين وجزائريين فإدارة المعتقل شجعتنا على المضي في السبيل ووضعت بين أيدينا جميع الوسائل التي طلبناها ومنها الجرائد والكتب وأدوات الكتابة.

وكل الأسارى الذين كانوا معي يذكرون هذه الفترة بمزيد من الإعجاب.

نشاطي المدرسي:

ـ أول مدرسة عملت بها هي (مدرسة التربية والتعليم بباتنة) من أكتوبر 37 إلى آخر أوت 1939.

ـ المدرسة الثانية هي (مدرسة الشبيبة الإسلامية) بالعاصمة من أكتوبر 43 إلى آخر أوت 1949.

ـ المدرسة الثالثة هي (مدرسة التربية والتعليم) بحي المرادية من أكتوبر 51 إلى أوت 1952.

ـ المدرسة الرابعة هي (مدرسة الرشيدية) بشرشال من أكتوبر 52 إلى أوت 1953.

ـ المدرسة الخامسة هي (مدرسة الفلاح) بوهران من أكتوبر 53 إلى أوت 1954.

ـ المدرسة السادسة هي (مدرسة التهذيب) بالجزائر من أكتوبر 54 إلى 1962.

ـ فمجموع خدماتي في هذه المدارس تسعة عشر عاماً ثلاثة أعوام كمعلم وستة عشر كمدير.

المجلة المدرسية إحدى الطرق الممهدة للإنشاء:

كنت أول من أنشأ مجلة مدرسية في المدرسة الجزائرية الحرة يحرر التلاميذ مواضيعها ويتنافسون فيما بينهم ويتبارون، فالموضوع الذي يحصل على تنقيط أفضل ما هو الذي ينشر في المجلة. وتسبق هذه المحاولة (المجلة الحائطية) التي تعلق عليها المواضيع الإنشائية لأحسن ما حرره التلاميذ في القسم.

ـ فالمجلة الأولى التي أنشأتها هي (الشبيبة الإسلامية).
ـ والمجلة الثانية هي: (أطفال العرب).
ـ والمجلة الثالثة هي: (الأحداث).

وهذه المجلات الثلاث أنشئت في مدرسة الشبيبة الإسلامية من 43 إلى 1949.

ـ والمجلة الرابعة هي (المدرسة) أنشئت في مدرسة الرشيدية في شرشال (1953/52).

ـ والمجلة الخامسة هي (الفلاح) أنشئت في مدرسة الفلاح في وهران 1954/53.

ـ والمجلة السادسة هي (اقرأ واكتب) أنشئت في مدرسة الفلاح في وهران 53/1954.

ـ والمجلة السابعة هي (التهذيب) أنشئت في مدرسة التهذيب العربية بالجزائر العاصمة وهذه أدوم المجلات إذ عاشت ثماني سنوات من 54 إلى 1962.

والمطابع التي استعملناها في هذه المجلات هي أولاً (عجينة پولي كوبي) ومطبعة (النار ديكراف) وهذه أهديت لي من المرحوم الأستاذ الصادق السبعي مفتش التعليم العربي في تونس، ومطبعة (ميل كوب) وهذه تمشي بالكحول.

وجهت مجلة الفلاح للمدارس الصديقة دعوة سافرة لإنشاء المجلات المدرسية ولإحداث مثل هذا النشاط بين التلاميذ، فما هي إلا فترة وجيزة حتى طالعتنا مجلات اذكر منها ما وصلني عن طريق المبادلة:

1) (الروضة) لتلاميذ (دار الحديث بتلمسان) ويديرها الأستاذ محمد بابا أحمد.

2) (روض التلميذ) لتلاميذ (مدرسة تيارت) ويديرها الأستاذ عبد الحفيظ الثعالبي.

3) (الفتح) لتلاميذ (مدرسة الفتح) بغليزان ويديرها الشيخ محمد السنوسي دلاي.

4) (الإصلاح) لتلاميذ (مدرسة الإصلاح) بعين تموشنت ويديرها المرحوم الشيخ الحسين كوايمية.

5) (أقلام الناشئة) لتلاميذ مدرسة الحمرى وهران ويديرها المرحوم الشيخ العربي سعدوني.

6) (المدرسة) لتلاميذ (مدرسة الرشيدية) بشرشال ويديرها الشيخ علي شنتير وهذه كانت امتداداً للمجلة التي أنشأتها في 52/1953.

7) (الفتح) لتلاميذ مدرسة الفتح بسطيف ويديرها الشيخ بوعلام باقي.

8) (التربية والتعليم) لتلاميذ مدرسة تازمالت ويديرها الشهيد المرحوم الشيخ عبد المالك فضلاء.

9) (إحياء العلوم) لتلاميذ مدرسة العلمة ويديرها الشيخ عبد الرزاق الزواوي.

ولما تم إصدار هذه المجلات في المدارس ربطنا الصلات بين تلاميذها وتلميذاتها بالمراسلة المدرسية للتعارف والتعاون، وهي أيضاً إحدى الطرق الموصلة إلى التحرير والإنشاء والتعبير.

واستقلت الجزائر:

عينت مفتش التعليم في 18 أكتوبر 1962 مكلفاً بالتربصات السريعة المنطلقة من (دار المعلمين) ببوزريعة، وكل دفعة تستغرق في التكوين مدة شهر ابتداء من 2 سبتمبر 62 إلى 30 مارس 1963.

دعيت للعمل مع لجنة التأليف المدرسي بوزارة التربية من أول أبريل إلى 3 أغسطس 63.

عينت مفتش التعليم في دائرتي سكيكدة والقل التابعتين آنذاك لأكاديمية قسنطينة 63/1964.

عينت على رأس دائرة الدار البيضاء، مفتشاً للتعليم الابتدائي والمتوسط في 64/ إلى 1972 وهذه الدائرة تشمل كل البلديات: عين طاية، برج الكيفان، الأربعاء، سيدي موسى، بوكرة، حمام ملوان، خميس الخشنة أولاد موسى، رويبة، رغاية، بومرداس، زموري، ثنية، وشطر من الحراش، وبرقي فكان عدد المعلمين أو المعلمات الذين هم تحت إشرافي 1600 معلماً ومعلمة.

وأثناء ممارستي لنشاطي في هذه الدائرة رسمت في إطار مفتشي التعليم الابتدائي والمتوسط، وكنت أشارك في تكوين الطلبة المفتشين في مركز تحضير الكفاءة للتفتيش ودور المعلمين.

نقلت إلى دائرة الحراش مكلفاً بالشؤون الإدارية ومعي ثلاثة مفتشين للتربية من 72 إلى 1975 اثنان بالعربية وثالث بالفرنسية.

ثم نقلت عن طريق الحركة وبطلب مني إلى دائرة الأبيار من 75 إلى آخر 1982. وفي هذه الدائرة أحلت على التقاعد في 1/12/1982.

في دائرة الأبيار قلت المدارس وتقلص عدد المعلمين، وكثر نشاطي التربوي.

ـ عقد تربصات مختلفة للمعلمين والمديرين.

ـ تكوين أساتذة التعليم المتوسط.

ـ يضاف إلى ذلك زيارة المعلمين وترسيمهم وتكوينهم.

ـ مع الاشتراك في التكوين الخاص بمعهد مصطفى خالف.

ـ كما تكثف نشاطي كذلك في مركز تحضير الكفاءة للتفتيش.

بعد إحالتي على التقاعد:

وعندما تقاعدت طلب إلي من عدة جهات لاستأنف نشاطي (كمتعاقد حر) فكرهت أن أتقيد بمسؤولية أخرى، وفضلت أن أتفرغ كلية للتأليف، فكان أول عمل أنجزته هو:

ـ إعادة طبع (جريدة البصائر) السنة الأولى من السلسلة الأولى وتشتمل على 50 عدداً، طبع ونشر دار البعث بقسنطينة سنة 1984 والنية معقودة على طبع ونشر جميع سنوات البصائر في سلسلتها، غير أن وزير الشؤون الدينية الشيخ عبد الرحمن شيبان سامحه الله اعترض طريقها ورغب أن يصدرها باسم وزارته فإذا بالمشروع يتوقف كلية لا باسمي ولا باسم الوزارة.

ـ أعددت ثلاثة كتب من إملاء الأستاذ عبد الحميد بن باديس تحت عنوان عام:

من آثار الحركة العلمية بالجامع الأخضر 1 و2 و3

ـ أ ـ أصول الفقه طبع ونشر دار البعث 1985.

ـ ب ـ العقائد الإسلامية طبع ونشر دار البعث 1985.

ـ ج ـ التربية عبر الكتاب والسنة طبع ونشر دار البعث 1985.

أما الكتاب الثالث فهو مصور وجاهز للسحب في مطبعة البعث وحال بينه وبين إنجازه ما تتخبط فيه الدار من مشاكل بعد وفاة مديرها الحازم المرحوم عبد الحميد عياط.

ـ الشذرات من مواقف الأستاذ عبد الحميد بن باديس (تحت الطبع في مطبعة الشهاب).

ـ(هدى للمتقين) مطبوع في مطبعة الشهاب 1990.

ـ (المسيرة الرائدة) للتعليم العربي الحر (تحت الطبع في مطبعة الشهاب) أربعة أجزاء.

ـ (المختار من المحفوظات العربية) تحت الطبع (في دار الكتاب) ثلاثة أجزاء.

ـ (تعليم القواعد بواسطة ألعاب القراءة) تحت الطبع (في دار الكتاب).

ـ (من أعلام الإصلاح في الجزائر) 4 أجزاء تحت الطبع في (شركة الطريق).

ـ (مذكرات في المحادثة والقراءة) للسنة الأولى مخطوط.

ـ (المنتخب من طرائف الحكم والقصص والنوادر) تحت الطبع في دار الكتاب.

ـ (رواية عليشة ديدو) مؤسسة قرطاجنة مخطوط.

ـ وسبق أن أصدرت في سنة 1966 عن دار القومية المصرية:

ـ كتابي في المحادثة والقراءة مدعم بالصور مطبوع في دار القلم بمصر سنة 1966.

ـ الدروس الفقهية للمدارس الابتدائية مدعم بالصور مطبوع في دار القلم بمصر سنة 1966.

ـ ألعاب القراءة للقسم الابتدائي مدعم بالصور مطبوع في دار القلم بمصر سنة 1966.

ـ ثماني نماذج في ألعاب القراءة للصغار بالصور مطبوع في دار القلم بمصر سنة 1966.

أما نشاط التفتيش فلي فيه من أحاديث الندوات التربوية والأيام الدراسية المتنوعة والتربصات الحافلة بجم الأعمال والمحاضرات الشيء الكثير لم أتصدّ بعد لفرزها وتبويبها وإخراجها في شكل (كتاب للمعلم) وعساه إن فعلت يكون

نافعاً كما نفع في وقته حيث التكوين والتقويم والمراقبة والمتابعة التربوية والله الموفق.

أسرتي الشخصية:

فالزوجة التي تحملت معي أعباء الحياة والأسرة تلميذة من تلميذاتي باشرت التعليم مدة 19 سنة وأدارت مدرسة ابتدائية مدة 14 سنة أخرى ولي معها هؤلاء الأنجال:

ـ فؤاد مهندس إعلام آلي متزوج وأب لثلاثة أنجال، نزار، هيثم، بيان.

ـ أمال أستاذة اللغة العربية في المتوسط وأم لأربعة أنجال: سهام، وسيم، وئيل، نائلة.

ـ نبال مهندسة إعلام آلي متزوجة وأم لنجلين: أسيل، عصام.

ـ جهاد فقدناه وأرجو أن يكون لي ولأمه فرطاً وذخراً وشفيعاً.

ـ أجيال مدرسة فرنسية في الابتدائي متزوجة، وأم لثلاثة أنجال: نبيل، أنجال، هديل.

ـ نوال أستاذة اللغة العربية في المتوسط متزوجة وأم لنجلين: نازك، أكرم.

وفقهم الله وسدد خطاهم ـ محمد الحسن فضلاء 20 يونيو 1989.

الشيخ الفضيل حسنين الورتلاني
(1900 ـ 1959 م)

ولد الشيخ الفضيل بقرية أنُو المجاورة لبني ورتلان في القبائل الصغرى عام 1900، وقيل عام 1906 م، وينحدر من أسرة الرحالة المشهورة الشيخ الحسين الورتلاني صاحب الرحلة المشهورة المعروفة بالرحلة الورثلانية التي حققها ونشرها العالم محمد بن أبي شنب في مطلع هذا القرن.

حفظ الفضيل القرآن الكريم في مسقط رأسه، ودرس العلوم والمعارف العربية الإسلامية على علماء عصره ومنهم الشيخ السعيد أبهلول، الورثلاني.

وفي حدود عام 1920 أرغم على أداء الخدمة العسكرية الإجبارية في الجيش الفرنسي الاستعماري، فلاحظ الميز العنصري بين المجندين المسلمين،

والأوروبيين. وعندما أكمل هذه الخدمة عاد إلى مسقط رأسه ليواصل التعلم حتى عام 1930، ثم شد الرحال إلى مدينة قسنطينة، والتحق بصفوف تلاميذة الشيخ عبد الحميد بن باديس في الجامع الأخضر، وانكب على الدراسة بكل شوق، وامتاز بفصاحة اللسان، وقوة الحافظة، ولازم الشيخ باديس عدة سنوات، فتأثر به، وواظب على حضور دروسه، واجتماعات جمعية العلماء كما حكى ذلك الشيخ البشير الإبراهيمي، وفي عام 1932 كلف بتمثيل مجلة الشهاب، والتنقل باسمها لجمع الاشتراكات، وواصل ذلك عام 1933 فتنقل في مدن وقرى القبائل الصغرى للدعوة لها.

وفي بداية العام الدراسي 1933 ـ 1934 م عين مساعداً للشيخ عبد الحميد بن باديس في التدريس لبعض الأقسام، فقام بالمهمة خير قيام، وفي شهر أكتوبر 1934 عين مدرساً في مدرسة التربية والتعليم الإسلامية، وفي نفس الوقت أخذ الشيخ ابن باديس يصطحبه معه في رحلاته وجولاته داخل البلاد كما حصل عام 1934 إلى ميله، والتلاغمة، وبرج بوعريريج، وسطيف، وبوقاعة، وباتنة خلال شهري ماي، وجوان، من نفس العام، وعندما أصدرت مدرسة التربية والتعليم الإسلامية نشرة تربوية عام 1936، شارك في تحريرها بموضوعين، الأول عن التربية، والثاني عن الشباب.

الشيخ الفضيل في باريس:

وفي منتصف عام 1936 رحل الشيخ الفضيل إلى باريس بأمر من الشيخ ابن باديس، إلى باريس لتوعية المهاجرين الجزائريين، ونشر التربية الإسلامية والوطنية فيهم، وذلك لفصاحته وقدرته على التبليغ، فتمكن بعد جهد جهيد، وخلال أشهر معدودة أن يؤسس أكثر من 17 نادي، ومدرسة، ومنتدى، لتعليم المهاجرين وأبنائهم اللغة العربية وأمور دينهم الإسلامي.

وبفضل نجاحه في العمل دعم بعدد من الوعاظ والمرشدين منهم: الشيخ سعيد الصالحي، والشيخ الصالح بن عتيق، والشيخ حمزة بوكوشة، والشيخ السعيد البيباني، والشيخ فرحات بن الدراجي، والشيخ الشاعر محمد الهادي

السنوسي، والشهيد محمد الزاهر الميلي، والشيخ محمد واعلي العربي، توزعوا على معظم المدن الفرنسية التي يكثر بها المهاجرون الجزائريون.



المرحوم الشهيد الشيخ الفضيل الورتلاني

وقد حكى لنا الشيخ الصالح بن عتيق عنه الأعاجيب خلال المؤتمر السادس للحزب بقصر المركب الرياضي في الشراقة أيام 27 و28 نوفمبر 1988 وقال: إن الفضيل لم تلد أم مثله، وكان فصيح اللسان بالعربية، والقبائلية، والفرنسية، وقد اتفق مرة مع صاحب مقهى قبائلي يتردد عنده كثير من المهاجرين، على عقد اجتماع هناك للاتصال بأولئك المهاجرين المشردين،

وعندما ذهبنا إلى ذلك المقهى وجدنا عدداً كبيراً منهم موزعين في زوايا المقهى وبجانب كل واحد كأس من الخمر، والبعض منهم مصحوبين بالنساء والفتيات.

فطلب منهم صاحب المقهى قائلاً لهم: إن هناك جماعة تريد التحدث إليكم، وكانوا يتصورون أننا فرقة من المغنين، أو الممثلين في المسرح، فتقدم لهم الفضيل وخاطبهم باللغات الثلاث، وأخذ يضرب على الوتر الحساس، وذكرهم بنخوتهم، ورجولهم، وحذرهم من ضياع أعمارهم هناك بفرنسا وتعرض أمهاتهم وأخواتهم ونسائهم في الجزائر، للمهانة والاعتداء على شرفهن من طرف رجال الاستعمار الفرنسي، فتأثروا جميعاً وبكوا. ولم ينته الاجتماع حتى اتفقوا جميعاً على تكوين نادي هناك للجمعية، والالتفاف حوله، والتخلي عن كل الرذائل، والتفكير في مستقبلهم ومستقبل أسرهم، وعائلاتهم، وبلادهم الجزائر.

وهكذا نجح الفضيل الورتلاني نجاحاً عظيماً في لمِّ شمل المهاجرين الجزائريين بباريس، وكل أنحاء فرنسا. وفي إيقاظهم من سباتهم ودفعهم للعمل الجاد، فأخذوا يلتحقون بنوادي الجمعية مثلما نجح نجم شمال إفريقيا في تجنيد الكثير منهم، وحزب الشعب كذلك.

وقد بلغ عدد النوادي التي فتحها الفضيل في باريس وأحوازها 15 نادياً. ولدينا شهادتان مهمتان على الدور الرائد الذي أداه الشيخ الفضيل في باريس، أحداهما للشيخ البشير الإبراهيمي نشرها في افتتاحية البصائر يوم 6 مارس 1940. والثاني للسيد الوائل محمد الصغير سكرتير جمعية التهذيب في باريس، نشرها في جريدة السلام بكارديف التي كان يديرها الشيخ عبدالله علي الحكيمي رئيس الاتحاد اليمني يوم 25 فيفري 1951 نوردهما فيما يلي لأهميتهما: وهذه شهادة الشيخ البشير تحت عنوان:

الفضيل الورتلاني

الفضيل الورتلاني، نشأ نشأة الصبا والحداثة، في أحضان الفطرة الطاهرة، وفي أحضان الجبال الشماء، فاكتسب من الأولى قوة الروح، وصفاء العقيدة، والصلابة في الدين؛ ومن الثانية قوة الجسم ووثاقة التركيب وسلامة الحواس، ثم نشأ نشأة الشباب، في أحضان جمعية العلماء، ففتح عينيه على الميادين العامرة بأبطالها، وفتح أذنيه على الأصوات المجلجلة بالعلم والإصلاح، من دروس عامرة بحقائق التنزيل والحكم النبوية، ومحاضرات بليغة في التاريخ الإسلامي والأدب العربي، تفيض بالبيان الساحر، وتتدفق بالبلاغة الرائعة، فنشأ مؤمناً متين العقيدة، حراً عميق الفكر، صريحاً لاذع الصراحة، جريء اللسان على كلمة الحق، شجاع الرأي إذا جمعت الآراء وتخافتت، غيوراً على وطنه غيرته على دينه، إذن فهو معدود من بواكير هذه النهضة المباركة في الجزائر، رافقها في جميع مراحلها، وشارك ـ على فتوته ـ الشيوخ المحنكين في بنائها.

لازم إمام النهضة عبد الحميد بن باديس سنوات، فتأثر بمنازعه الخطابية، ومواقفه في حرب الضلال، وسقيت ملكته بغيث ذلك البيان الهامي، فأصبح فارس منابر، وحضر اجتماعات جمعية العلماء والخاصة، فاكتسب منها الصراحة في الرأي، والجراءة في النقد، والاحترام للمبادىء لا للأشخاص، ثم لابس السياسيين وغشى مجتمعاتهم، فرأى من زيغ العقيدة وزيف الوطنية؛ وانحلال الأخلاق ـ نقيض ما رأى من رجال جمعية العلماء، فثار عليهم ودعوا منه بباقعة، وكان الأستاذ الرئيس يقدر له ـ وهو في الحداثة ـ عواقب الرجال، ويتخيل فيه مخايل الأبطال، ويقول له كلما رأى منه مخيلة صدق: (لمثل هذا كنت أحسيك الحسا).

ثم جاوز البحر سنة 1936 ميلادية، بموافقة من الأستاذ الرئيس ومني، ليرد على الضالين من أبناء قومه هداية الإسلام، وليرد على الناشئين هناك من

أبنائهم ما أضاعه الوسط من دين ولغة، وليزرع في قلوب الآباء والأبناء معاً، حب الدين والجنس واللغة والوطن، وليعيد إلى الجزائر ـ بذلك كله ـ قلوباً تنكرت لها، وأفئدة هوت إلى غيرها، وغراساً أظمأه الاستعمار في مغارسه فالتمس الري والنماء في غيرها، فتتبعهم الفضيل في مطارح اغترابهم، وجمع شملهم على الدين، وقلوبهم على التعارف والأخوة، وجمع أبناءهم على تعلم العربية، وأسس في باريس وضواحيها بضعة عشر نادياً، عمرها هو ورفاقه الذين أمدته بهم جمعية العلماء، بدروس التذكير للآباء والتعليم للأبناء، والمحاضرات الجامعة في الأخلاق والحياة، ونجح الفضيل في أعماله كلها، نجاحاً عاد على المسلمين في فرنسا بالخير والبركة، وعاد على جمعية العلماء، بالسمعة العطرة والدعاية الطيبة، وكان في تلك المدة كلها، متصل الأسباب بجمعية العلماء، مراسلة واستمداداً، وإشارة واستشارة، وقد رجع في أثنائها إلى الجزائر، كلما انعقد اجتماع أو حزب أمر، وما زلت أذكر حضوره في اجتماع الجمعية صيف سنة 1937، وحضوره على أثر ذلك، افتتاح مدرسة «دار الحديث» بمدينة تلمسان، وخطبته في ذلك الحشد، الذي ضم عشرين ألفاً بعد سماعه لقصيدة الشاعر محمد العيد، وحملته الجارفة على التجنيس والمتجنسين.

وفي أواخر سنة 1938 فيما أذكر، هاجر إلى مصر مستزيداً من العلم والتجارب، مستجمعاً قوته للعمل في ميدان أوسع وجو أصفى، وكانت له المواقف المشهودة، والرحلات الموفقة إلى الأقطار العربية، وكان في تلك المدة كلها، متصلاً بنا على قدر ما تسمح به ظروف الحرب. إلخ..

وهذه كلمة سكرتير جمعية التهذيب بباريس تحت عنوان:

إلى مجاهد العروبة والإسلام في استانبول

قال حضرته بعد كلام يخاطب فيه صاحب الجريدة:

والأمر الثاني الذي يهمني يا سيدي، فيما نشرته جريدتكم، هو ما يتعلق بالمجاهد الإسلامي الكبير الأستاذ الفضيل الورتلاني فلقد كان ما نشرته صحيفتكم من أخباره السارة، ونصائحه الغالية، التي كان يسديها لملككم

الراحل، رحمه الله ـ وما كانت تحمله عباراتكم من معاني وفاء أهل اليمن لفضله وإخلاصه، كل ذلك كان برداً وسلاماً على قلوب ثلاثين مليوناً من أبناء المغرب العربي. لأن الرجل، كان دائماً ولا يزال، مفخرة هذه البلاد في علمه الواسع، وحنكته وتجاربه العميقة، كل ذلك يتوجه عمل مستمر لا ملل فيه، وإخلاص لا تشوبه شائبة، وتضحية هي مضرب الأمثال.

فلقد كان يملأ أعظم الفراغ في هذه البلاد، في جميع الميادين العلمية والتربوية والسياسية، حتى ضاق الاستعمار به ذرعاً، ونصب له عشرات المكائد للإيقاع بحريته أو حياته، وظل يكافح ويبطل، بفضل إخلاصه وحكمته، كل مكائد الاستعمار، حتى أوشكت الحرب الماضية أن تندلع، وصار قاب قوسين أو أدنى من الوقوع في شباك هلاكهم، فسلمه الله وسلك به طريقاً إلى ذلكم الشرق العزيز، فكان من جهاده هناك، للعروبة والإسلام، ما تعرفونه أنتم أكثر منا، حتى إذا وقعت حوادث اليمن، وجدها المستعمرون المتربصون فرصة لأذيته، فسخروا وكالات الأنباء، والإذاعات الرسمية، والصحف المأجورة، في سبيل النيل من سمعته، ولكن كان مثله كمثل الشمس في كبد السماء، يرجمها جمع من الأطفال بطائفة من الحجارة، وما هم بواصلين إليها.

ولقد كان للزعيم الورتلاني، أعظم جهاد في هذه البلاد الأوروبية وفي هذه العاصمة الفرنسية بالذات، حتى أنك لتشعر في أيامه وأنت بباريس، كأنك في إحدى كبار عواصم الشرق، من حيث الجو الإسلامي والعربي، وكان لي شرف مصاحبته في تلك الفترة الكريمة، وكان لي عمل متواضع معه، ففي باريس وحدها فتح الورتلاني خمس عشر نادياً، يتردد على كل واحد منها، آلاف من أبناء المسلمين، يتلقون الدروس، ويسمعون المحاضرات، ويؤدون فروض العبادة، ويحيون تعاليم الإسلام وفضائل العروبة، ويكافحون الاستعمار وكانت هذه الأندية مثابة لكل شرقي ينزل في هذه البلاد الأوروبية، وأني أذكر تلك الاجتماعات العمومية التي كان يخطب فيها على الآلاف المؤلفة من المسلمين، جمع كبير من رجال الإسلام، على اختلاف أوطانهم، وأذكر بالضبط ليلة تكلم فيها ثمانية عشر خطيباً، كل واحد منهم عن قطر خاص، فمن

مصري إلى عراقي إلى جزائري إلى هندي إلى ألباني وهلم جراً، وإني في هذه الكلمة العاجلة، غير قاصد ولا قادر ألبنة، أن أسرد ولو مجرد رؤوس أقلام، لجهاد الورتلاني، وإنما عاطفة السرور، دفعتني إلى مناجاة روحه الطاهرة بهذه الكلمة المتواضعة، وأن أتوجه إليه في مقره باستانبول، بتحياتي وتحيات ثلاثين مليوناً من أبناء المغرب العربي، راجياً باسمهم جميعاً وملحاً في الرجاء، أن يعيد النظر في أمر إقامته باستانبول فإن بلاد المغرب العربي أحوج ما تكون إلى شخصيته الكريمة في مثل هذه الظروف الدقيقة، التي يتقرر فيها مصير الأجيال من أبنائها الأبرار، وإلى أن يتقرر لديه هذا، وتتشرف البلاد بعودته نرجو له أطيب الإقامة في استانبول، عاصمة السلاطين العظام.

باريس ـ الوائل محمد الصغير
سكرتير جمعية التهذيب في فرنسا

رحيل الشيخ الفضيل إلى المشرق العربي

في أواخر عام 1938، اشتدت مضايقات الإدارة الاستعمارية له وأخذت تسعى لاعتقاله، واغتياله، كما أشيع، فغادر باريس خفية بمساعدة المصلح والداعية الكبير الإسلامي، الأمير شكيب إرسلان، والتحق بالمشرق العربي، وقصد مدينة القاهرة، عاصمة أرض الكنانة، واتصل بالشخصيات الإسلامية، والعلماء، ومكافحي بلدان المغرب العربي، ومتن صلاته بكبار شيوخ الجامع الأزهر أمثال: الشيخ محمد عبد اللطيف دراز، وكيل الأزهر، والشيخ مصطفى المراغي، والدكتور مصطفى عبد الرزاق، والشيخ حسن البناء، رئيس جمعية الأخوان المسلمين، والشيخ الخضر حسين، وغيرهم، وركز في عمله وجهاده على التعريف بالجزائر وطنه الأصغر وبالعالم العربي والإسلامي وطنه الكبير، وقام بنشاط واسع ومكثف حتى أصبح داعية إسلامية كبيراً تخطت سمعتهُ مصر إلى كل بلدان العالم الإسلامي التي تنقل فيها كلها للتعريف بالقضايا المغاربية

والعربية الإسلامية، وحصل على سمعة كبيرة، وأصبح يدعي بالمجاهد والداعية الفضيل الورتلاني. وحصل على شهادة العالمية من كلية أصول الدين التي التحق بها عام 1939، كما توضح ذلك بطاقته المدرسية.

تعيين الفضيل كاتباً عاماً لجبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية

وفي القاهرة لعب الشيخ الفضيل الورتلاني دوراً بارزاً في تكوين جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية، التي أسندت رئاستها إلى الشيخ الخضر حسين الجزائري الأصل، وتولى هو منصب الكاتب العام لها، وكان ذلك يوم أول ربيع الأول 1364 هـ الموافق ليوم 18 فيفري 1944 م.

وكان من بين أعضائها: الدكتور محمد عبد السلام العيادي، وأحمد نجيب بك برادة، والحاج أحمد بن قايد، ومصطفى بك بيرم، والشيخ إبراهيم أطفيش، والشيخ إسماعيل علي، والشيخ السعدي عمار، والحاج اليمني الناصري، والأستاذ أبو مدين الشافعي، وأحمد بن المليح، وحمود بن قابد، وأحمد السعدي، ومحسن بيرم، والأمير مختار الجزائري، وغيرهم.

وحددت أهداف هذه الجبهة في الأمور التالية:

مادة 1: ميلاد هذه الجبهة يوم 1 ربيع الأول 1364 هـ (18 فبراير 1944 م).

مادة 2: أهداف الجبهة السعي لتحقيق حرية واستقلال الشعوب لشمال إفريقيا (تونس، الجزائر، مراكش) وضمها إلى جامعة الدول العربية.

مادة 3: دستور الجبهة (التضامن وتحريم العصبيات).

مادة 4: تسعى الجبهة لتحقيق أهدافها بجميع الوسائل المشروعة كإنشاء الصحف، وفتح النوادي، وتكوين شعب لها في مصر، وخارج مصر إن لزم الأمر.

وفي إطار هذه الجبهة، وبحكم منصبه فيها أميناً عاماً، قام بنشاط مكثف وكتب عشرات المقالات، والرسائل، والبرقيات، إلى الملوك والرؤساء، والأمراء والجامعة العربية وأمينها العام، والأمم المتحدة، والهيئات الدولية

المختلفة، للتنديد بالاستعمار والتعريف بقضية الجزائر، وكل شعوب شمال إفريقيا.

وعندما قام الاستعمار الفرنسي بمجازر 8 ماي 1945 بالجزائر، ووصلت أخبارها إلى القاهرة، قام بنشاط دعائي مكثف في الصحف والنوادي للتنديد بها، والاحتجاج، وتعريف العالم بخطورتها، وعرف بقضايا تونس، والمغرب الأقصى، وطرابلس، وكتب عشرات المقالات في صحف مصر، والشرق.

فتضايق السفير الفرنسي بالقاهرة من نشاطه، واتصل بالمسؤولين المصريين ليزعم لهم بأنه يكذب ويتقول ماليس حقيقة، فتصدى له بالرد المفحم، ووجه إليه رسائل مفتوحة بلغ عددها حوالي ثمانية عشر رسالة، نشرها في الصحف المصرية، كشف فيها مخازي الاستعمار الفرنسي في كل بلدان شمال إفريقيا، وأفحمه بالحجة والبرهان. وقد نشرت جريدة مصر الفتاة هذه الرسائل ونقلتها عنها الجرائد السورية والعراقية، ثم جمعتها جريدة النذير المصرية وأصدرتها في عددين اثنين خاصين: 151 و152 بتاريخ أول محرم 1366 (25 نوفمبر 1946) في اطار نشاط جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية.

ولم ينس الفضيل أن يكتب عن فلسطين، ومكر اليهود وخبثهم، ويكاتب ويراسل الملك عبد العزيز آل السعود، ورئيس الجمهورية السورية، ورئيس وزراء مصر، والأمين العام لجامعة الدول العربية، والسلطان محمد الخامس، ووزراء الخارجية العرب، والحكومة المغربية، والجامعة العربية، والأمم المتحدة، وعلي ماهر باشا، وملك الأردن، ورئيس مؤتمر سان فرانسيسكو، ووزراء الدول الخمس في مجلس الأمن، ورئيس وزراء سوريا، وغيرهم ممن لا يمكن حصرهم.

إن كتاب الجزائر الثائرة التي وضعه الورتلاني قبل وفاته يزخر بهذه المراسلات، والكتابات، والنداءات، التي قام بها، تطفح كلها بالوطنية الإسلامية الفياضة، وبدعوة المسلمين إلى اليقظة، والوحدة، والعمل للتخلص من الاستعمار ورواسبه، لقد كان الورتلاني لوحده جبهة وكتيبة عسكرية، وأدى

ما عليه من واجب كان يشعر به ويحس بثقله، ولم يتقاعس عن العمل حتى في أحرج أوقاته الصعبة خلال أزمة اليمن وما تلاها من الأحداث وقد راسلهُ الحبيب بورقيبة بالقاهرة برسالة وجهها إليه في لندن على ما يبدو، يشير فيها إلى عدد من الأحداث نورد نصها فيما يلي لأهميتها:

الحبيب بورقيبة المحامي

رئيس الحزب الحر الدستوري التونسي

القاهرة في 1945/07/24

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى حضرة الوطني الغيور الأستاذ الفضيل الورتلاني تحية وسلام.

وبعد فقد وافاني كتابكم المؤرخ في 21 الجاري. والجواب هو أنني تقابلت مع الأستاذ عبد الرحمان عزام حسب الاتفاق، ولكنني لم أتمكن من التبسط في الموضوع لضيق الوقت ولم يزد كلامه إليّ عن المعتاد، أما مسألة توفيق السويدي فإني تقابلت معه مرتين وأظن أن التصريحات التي أشرتم إليها إنما كانت نتيجة المقابلة الأولى وأشار إلي بوجوب العمل في لندن عند اجتماع لجنة الوصاية هناك أي في شهر أكتوبر القابل ووعدني بالإعانة إذ ذاك. وقد اجتمعت اللجنة العامة لمؤتمر الهيئات العربية لكن لم يخرج نشاطها عن تعيين لجنة فرعية تتركب من خمسة شخصيات «لتنفيذ قرارات المؤتمر»...؟ وهو شيء ضئيل جداً. وغالب الأخوان مشتغلون بتجهيز العدد الخاص من المجلة لقضية شمال إفريقيا، وقد صدرت أخيراً جريدة «لامرسييز» وبها فصل عن حوادث الجزائر كلها تضليل، وافتراء تصلكم طي هذا ترجمته حسبما وردت في الكتلة بتاريخ 20 يوليو الجاري، ويحسن الرد عليه بكلمة منكم لما لديكم من المعلومات في خصوص الشعب الجزائري ولكم سديد النظر.

هذا أهم ما عندنا عرفناكم به، وفي الختام أتمنى لكم صحة طيبة وشيئاً من الراحة الفكرية ليمكن لكم مجابهة الأيام المقبلة بما فيها من أتعاب وإجهاد فكر في سبيل الوطن المقدس، والسلام من كافة الأخوان فرداً فرداً وبالخصوص من المخلص.

الحبيب بورقيبة

دور الشيخ الفضيل في ثورة اليمن عام 1948

ما يزال موضوع مشاركة الشيخ الفضيل الورتلاني في ثورة اليمن غامضاً، ولم يكشف الستار عن خلفياته ودوافعه ما عدا ما كتبه بعض اليمنيين الذين عاشوا الحدث ومنهم القاضي عبدالله الشماخي، والسيد أحمد الشامي.

والشيء الواضح حالياً هو أنه ذهب موفداً من الشيخ حسن البنَّا زعيم الأخوان المسلمين بمصر ليدير شركة تجارية مقرها مصر، تابعة للأخوان المسلمين ولها امتيازات واسعة في اليمن وذلك لخبرته في الميدان التجاري وأنه ذهب إلى عدن، ومن هناك دخل إلى اليمن الشمالي حتى وصل إلى صنعاء، فأعجب به ملك اليمن، والأمراء، والأعيان لفصاحته، وسحر بيانه، وقدرته على الإقناع، ودعوته الصريحة للإصلاح.

هكذا كانت البداية ثم تحولت إلى مشاركة في الإعداد للثورة، وقلب نظام الحكم في اليمن والقضاء على أسرة يحيى حميد الدين، ولدينا رواية القاضي عبدالله الشماخي التي يمكن أن تقدم لنا صورة عن دور الشيخ الفضيل في هذه الثورة، نوردها فيما يلي في انتظار روايات أخرى، وهي منقولة عن كتاب: رياح التغيير في اليمن للسيد الشاعر: أحمد الشامي أحد المشاركين في هذه الثورة:

يقول المؤرخ اليمني القاضي عبدالله الشماخي:

«ويأتي الأستاذ الجزائري الفضيل الورتلاني موفداً من الإمام حسن البنا،

وروح الثورة تتقدمه، فيمر بعدن ويضاعف حماس قادة حزب الأحرار وأعضائه، ذلك الحماس الزاحف مع الفضيل إلى كل مكان حل فيه، فهو معه بتعز يهز الملك المظفر، وبـ «إب» يحرك الملك المكرم والوالدة أَرْوَيَ، وبصنعاء يلهب شبابها وطلاب مدارسها وضباطها بسعير ثوري حَوَّلَ الجو بصَنعاء وعدن إلى أتون من التفكير الموجه الصحيح، وصار اليمن وكأنه قد ألغم بصواعق ستنقض على الإمام يحيى وحكومته. خيال نعم به أحرار اليمن زمناً أوقعهم بالغرور ومغباته، فلم يسمعوا لصوت الحقيقة المنبعث من مواطن القبائل اليمنية التي لم تصل إليها الدعوة النضالية فضلاً عن الحماس لها ولروحها المستعرة التي كانت لا تتجاوز بعض المجموعات من الشباب والطلاب والضباط في صَنعاء، وإب، وذمار، وتعز، وهنا حماس زاد في إشعاله الفضيل، وقد تمكن من ذلك لاحتضان ولي العهد أحمد له، فقد وصل تعز فاستقبله أحمد، وأعجب به وبدعوته الإصلاحية الإسلامية، وأسلوبه في الخطابة، والمحاضرة، والمحادثة، وفي تعز اتصل الفضيل بالقاضي عبد الرحمن الأرياني، والسيد زيد الموشكي، والسيد أحمد الشامي، ولازمه في تجواله وتأثر كل منهما بالآخر، وفي صنعاء قام الفضيل بنشاطه الثوري يرافقه المؤرخ المصري أحمد فخري، ويساعده الشامي، فيجذبان إليهما السيد العالم حسين بن محمد الكبسي، ويتصل الثلاثة بالمطاع وغيره، ويندفع الفضيل في إقامة الندوات، وإلقاء المحاضرات في المدارس، والمساجد، والحفلات فتسري روحه إلى الشباب والضباط، وطلاب المدارس، ولقد بلغ الحماس بصَنعاء ذروته أوائل العام السابع والستين وثلاثمائة وألف هجرية (1948 م)، وحول الجو بصَنعاء إلى درجة من التوتر أصبح الإمام يعي وأتباعه وهم يحسون بأن حولهم ثورة ستنفجر فراحوا يتحسسون ليضعوا أيديهم على مواطنها، وبدأوا باعتقال الشباب والضباط، وطلاب المدارس، وكلما حاولوا إيقاف الفضيل وإخراجه من اليمن ومد أيديهم إلى المثقفين حوله أرجعهم القدر، وتدخل ولي العهد وتوصياته بالفضيل، ودفاع السيد حسن الكبسي عنه، وكانت الثورة تبدو كأنها تطرق الأبواب، وهنا يتدارس الكبسي وأمثاله حول الوضع الحقيقي لليمن، فيقررون

افتقار الثورة إلى عناصر النجاح ما لم تدعمها القبائل، ولا سبيل إلى كسب القبائل عن طريق التوعية والمنظمات، فالوقت أضيق في هذا الطريق، ومن هنا يأتي الأمير عبدالله الوزير إلى الإمامة مع رجالات الدستور المنصوص عليه في الميثاق المقدس.

وأضاف القاضي عبدالله الشماخي بعد ذلك قائلاً:

«تمكن الفضيل، والكبسي، والمطاع، ورفاقهم من إثارة المخلوف، إلى درجة دفعت كلاً من الإمام يحيى وإولاده، وعبدالله الوزير، إلى أن يعد العدة ليتخلص من الآخر. وكان للشهيدين: السيد محمد بن حسين عبد القادر، والحاج عزيز المطري، نصيب الأسد في تسليط المخاوف على عبدالله الوزير كما كان للكبسي والشامي، والشماخي، الأثر الكبير في إثارة المخاوف على الإمام يحيى وبعض بنيه، فاقتنع الوزير بتوليه قيادة الثورة، والاستعداد لتفجيرها فقوى علاقته بالفضيل، ومن يتصل به وفتح لهم داره لعقد الاجتماعات ووضع المخططات، واتصل بمن يثق به من أعيان القبائل الموالية له ليكونوا على استعداد للساعة المطلوبة وتمكن من استمالة القاضي عبدالله العمري، والسيد حسين عبد القادر، إلى وجوب التخلص من أولاد الإمام وولي العهد أحمد وخطرهم الذي سحق معنويات العمري، والوزير، وحسين عبد القادر، وأعوانهم، والذي سيسحق شخصياتهم في المستقبل العاجل، إلى ما هناك مما جعل العمري يعمل في كتمان لصالح الوزير».

ويضيف كذلك قائلاً:

«عندما بلغ الموقف هذه الدرجة راح الفضيل والمطاع، والكبسي، ورفاقهم يضعون الخطط ويتصلون في صنعاء بالرئيس العسكري العراقي جمال جميل وغيره، وذهبت رسلهم تحمل المعلومات من تعز إلى الزبيري، ونعمان، بعدن، وإلى البناء بالقاهرة، وانتهت الاتصالات بالموافقة على أن يكون الوزير إماماً دستورياً، على رأس حكومة دستورية، وفعلاً شكلت الحكومة، ونص على أعضائها ووضع لها دستور سمي الميثاق الوطني المقدس اشترك في وضعه الفضيل والكبسي، وغيرهما، وكتبه السيد أحمد بن محمد الشامي، وأرسلت

منه نسخة بخط الشامي إلى الزبيري، والنعمان ليطبع منها عدد كبير يحفظ هناك في سرية إلى الوقت المناسب لإعلان الثورة، وطبع الميثاق واحتفظ بكل الأعداد، لكن السرية لم يحتفظ بها»[1].

وبعد فشل الثورة أفلت الشيخ الفضيل إلى مركب بحري مع رفيق له هو الدكتور مصطفى الشكعة المصري وقضيا عليه شهرين كاملين يذرع بهما البحر الأحمر والبحر المتوسط بحثاً عن مكان للجوء، ولكن البلدان العربية أغلقت حدودها دونه لتعاطفها مع أسرة حميد الدين، إلى أن وافق المرحوم رياض الصلح رئيس وزراء لبنان على لجوئه إلى لبنان بصفة متخفية، وغير رسمية تجنباً للمشاكل والمضايقات العربية والأوروبية.

وفي رسالة للدكتور مصطفى الشكعة إلى ابن الشيخ الفضيل، توضيح لهذه الأزمة أرسلها إليه من مدينة العين بالإمارات العربية المتحدة هذا نصها:

الأخ العزيز مسعود حفظه الله

سلام الله عليك ورحمته وبركاته

سعدت كثيراً بالاطلاع على رسالتكم إلى أخي الأستاذ الدكتور عبده الراجحي، التي تطلبون فيها عنواني للاتصال بي وتوثيق العلاقة بيننا إحياءاً لصلة كريمة عزيزة كانت تربطني بالمرحوم المبرور والدكم العزيز، واستئنافاً لوشيجة أنا أكثر حرصاً على تثبيتها وتمكينها.

إن صلتي بالمرحوم والدكم لم تكن مجرد صداقة ولكنها كانت أخوة موصلة الأسباب لإثنتي عشرة سنة في السراء والضراء في مصر، واليمن، ولبنان، فكان إذ أعز اللقاء في مصر، سعيت إليه في لبنان، ولقد خضنا سوياً مواقف حاسمة ولا أقول معارك حاسمة في تاريخ هاته الأمة رغم حداثة سني، آنذاك. فقد كان رحمه الله بمثابة الأخ الكبير لي، عشنا معاً الأيام الحاسمة في تاريخ اليمن في صنعاء، وقضينا مدة شهرين على باخرة صغيرة تذرع بنا البحر

(1) القاضي عبدالله الشماخي: ثورة 1948، ص 39 ـ 40 ـ 46 ـ 50 عن كتاب رياح التغيير في اليمن للسيد أحمد الشامي (جدة 1405هـ / 1984).

الأبيض، والبحر الأحمر، وعملنا من أجل استقلال الجزائر، وقد كان أبوك بعمله وفضله، وفصاحته، ومنطقته، وصبره، بمثابة كتيبة كاملة في معركة التحرير، ولم نفترق إلا حين هاجر مضطراً إلى تركيا حيث وافته المنية، وهو يقرأ كتاب الله بصوت جهير وأكرمه الله في الفترات الأخيرة بوجود مستشار السفارة الليبية صديقنا الأستاذ فرج بن جليل بالقرب منه.

وسوف يسرني كثيراً أن أعرف أخباركم وأطمئن على أحوالكم والله يحفظكم ويرعاكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. العين في: 20 فبراير 1985م.

المخلص: مصطفى الشكعة[1]

وقد تعاطف مع الفضيل المحبون والمخلصون، والمؤمنون بمستقبل الإسلام والأمة الإسلامية، ومنهم رئيس حزب الاتحاد اليمني الشيخ عبدالله علي الحكيمي الذي له زاوية بمدينة كارديف، وصحيفة تنطق باسمه تدعى: السلام، فكان يتتبع أخباره وينشرها ومن ضمن العناوين التي نشرها آنذاك: الشيخ الفضيل الورتلاني طريد البلاد العربية، وبالطبع فإن الشيخ الحكيمي معارض لأسرة الإمام يحيى حميد الدين. ويتزعم حزب الاتحاد اليمني المعارض.

وخلال أزمة الشيخ الفضيل هذه قامت مشيخة الجامع الأزهر بتشميع حجرته، بمسكن سوق الصيارف عدة شهور، وذلك على ما يبدو بأمر من السلطات المصرية الملكية التي كانت تتعاطف مع النظام الملكي في اليمين، وتتضامن معه.

ثم أصدر وكيل الأزهر يوم 14 ديسمبر 1948، قراراً بالاستيلاء على الحجرة وإخلائها من الأثاث وكلف الملاحظ بالقسم العام بتنفيذ الأمر، فقام صحبة ثلاثة من الفراشين بجرد ما فيها من الأثاث والألبسة، والأدوات، والكتب، ونقل كل ذلك إلى حجرة بالقسم العام تحت عهدة أبي العز الإشراقي.

---

(1) تسلمت صورة من هذه الرسالة من ابن الشيخ الفضيل.

وفيما يلي نص هذا الأمر، ومحتويات الحجرة كما جاءت في ذلك القرار:

جرد محتويات حجرة الشيخ الفضيل الورتلاني بمسكن سوق الصيارف وإخلاؤها

إنه في يوم[1] الثلاثاء ديسمبر 1948، كلفني شيخ القسم العام بالأزهر بتنفيذ الأمر الصادر من فضيلة الأستاذ الجليل وكيل الجامع الأزهر بإخلاء الغرفة الكائنة بمسكن سوق الصيارف التابع للأزهر، ونقل محتوياتها الخاصة بالشيخ الفضيل الورتلاني، إلى القسم العام بالأزهر ليمكن الانتفاع بتلك الغرفة بعد أن ظلت معطلة مدة طويلة.

وبناء على ذلك توجهت أنا الموقع على هذا، أحمد مرزوق بكر، الملاحظ بالقسم العام، ومعي حسن الطبلاوي، وأحمد الطبلاوي الفراشين بالقسم العام، وصلاح محمد أحمد الفراش بمسكن سوق الصيارف، وبعد معاينة خاتم الشمع الذي كان على باب الغرفة، والتحقق من سلامته، قمت بحضور المذكورين، بفتح الغرفة، فوجدنا محتوياتها تامة، وسليمة بالحالة التي كانت عليها ثم كلفت الفراشين المذكورين بإحضار عربة نقل، وقمنا بنقل جميع الأدوات والدواليب والكتب إلى القسم العام مع المحافظة التامة عليها أثناء عملية النقل، وقد تم وضعها في غرفة خاصة وتسليمها إلى محمد أبو العز الأشراقي في عهدة القسم العام وهذا محضر بذلك.

أحمد مرزوق بكر، حسن الطبلاوي، أحمد حسن الطبلاوي

وأقرر أنا الموقع على هذا، أبو العز الأشراقي عهدة القسم العام بالأزهر أنه قد وردت اليوم إلى القسم العام الأشياء الخاصة بالشيخ الفضيل الورتلاني التي كانت محفوظة بإحدى الغرف بمسكن سوق الصيارف وبيانها:

---

(1) تسلمت صورة من هذا الأمر من الأخ مسعود ابن الشيخ الفضيل بمدينة قسنطينة يوم 7 جوان 1989 بالمركز الثقافي الإسلامي الذي يديره.

عـدد	بيـــــان
1	سرير مفرد بلوازمه وهي: مرتبتان، ومخدتان، وثلاثة بطاطين، وثلاث ملايات فرش
2	دولاب ملابس كبير، كل دولاب ذو مصراعين من الخشب.
1120	كتاب (وضعت بالدولابين المذكورين، منها كتب كبيرة، وكتب صغيرة مجلدة، وغير مجلدة، ومن بينها بعض المصاحف)[1].
1	شهادة العالمية الخاصة بالغرباء.
15	صورة فوتوغرافية منها واحدة موضوعة في إطار.
4	كراسي خشب منها ثلاثة قواعدها مملوءة بقش الخيزران، والرابع منجد.
2	طرابزة خشب مستطيلة ذات ثلاثة أسطح وأرجلها مخروطة، والأخرى مستديرة.
1	مكتب صغير من الطراز الإنجليزي بأربعة أدراج.
1	شنطة ملابس من الضبر متوسطة الحجم.
1	مرآة متوسطة في إطار من الخشب.
17	شماعة للملابس منها 6 كبيرة و11 صغيرة.
2	علبة من الخشب المطعم واحدة كبيرة والأخرى متوسطة.
1	علبة معدنية من علب الحلوى صغيرة.
1	علبة من الكرتون المبطن من الداخل بالقماش الأزرق.
2	طارة مستديرة من الخشب الأبيض.
56	قطعة ملابس مختلفة الأنواع (بلاطي، وبنطلونات، وصداري بدل، وقمصان إفرنجي، وفانلات، وجلاليب، وروب، وعقالات).
1	كمر جلد.

(1) بعد إنشاء الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية تم نقل عدد من كتب الشيخ الفضيل إلى مكتبتها التي أنشئت بها في حي ڤاردن سيتي بالقاهرة، وذلك عام 1958 و1960 م.

5 طرابيش مستعملة.

3 فرشاة ملابس ومشطين.

2 كيس مخده أبيض جديد.

2 زوج حذاء قديم من الجلد الأصفر، وسيف، وخنجر، كل منهما في قراية.

5 براد صاج، وطبقين من العاج، وكوبين للماء واحد ألومينيوم والآخر زجاج.

1 كليم صوف بلدي كبير، وكمية كبيرة من الكرافتات القديمة، والجوارب، والبطاقات، والأوراق الخاصة.

وإني أقرر أني تسلمت الأشياء المذكورة ووضعتها بإحدى الغرف بالقسم العام وأصبحت في عهدتي، وأتعهد بالمحافظة عليها محافظة تامة وهذا إقرار مني بذلك.

محمد أبو العز الأشراقي

قمت بمعاينة الأشياء المذكورة وهي موضوعة بالغرفة المجاوفة لغرفة التليفون، وقد تم قفل الدواليب، بحضوري على الكتب والأشياء الأخرى الموضوعة بداخلها وختمت بالشمع الأحمر وبذلك أصبحت عهدة الشيخ أحمد مرزوق خالية من هذه الأشياء لانتقالها إلى عهدة محمد أبو العز الإشراقي.

نظره 1948/12/15

الختم
بتاريخ 16 ديسمبر
1948

يعتمد شيخ القسم العام
(الإمضاء)

وعندما صدر عفو الإمام أحمد، ملك اليمن الجديد، على المتهمين في الثورة، شمل الشيخ الفضيل الذي كان صديقاً له، ولربما كان هو السبب في نجاته وخروجه من اليمن، وكان الذي حال دون اعتقاله من قبل الإمام يحيى قبل اغتياله.

وكتب الشيخ البشير الإبراهيمي مقالة في البصائر استنكر فيها أن يكون الفضيل قد شارك في المؤامرة، واعتبر شمول العفو له بمثابة إهانة له. نوردها فيما يلي لأهميتها كشهادة.

شهادة الشيخ البشير الإبراهيمي في الشيخ الفضيل الورتلاني[1]

وصلتنا من بيروت كلمة من الأخ الكريم الحاج خليل أبو الخدود، ومعها تصريحات لولدنا الأبر الأستاذ الفضيل الورتلاني، قبيل الاجتماع العام لجمعية العلماء. وكنا آنذاك منهمكين في إعداد الاجتماع، وفي استقبال السنة الدراسية وشؤون المدارس والعهد الباديسي، وما يستلزمه ذلك من أدوات ووسائل وتجديد في الأجهزة اللازمة من برامج ومال، ورجال ولقد كان إسكان تلامذة المعهد، وعددهم يشارف السبعمائة كافياً لاستنفاذ الجهد، واستغراق الوقت، وقارنت تلك الجهود تأخر «البصائر» عن مواقيتها لأسباب داخلية اقتضاها التجديد، لذلك كله تأخر نشر الكلمة وما معها من تصريحات إلى هذا العدد. فمعذرة إلى الأستاذين الفاضلين البعيدين عنا بعد الدار، القريبين منا قرب العمل المشترك والفكرة الجامعة أبي الخدود، والورتلاني.

وقد كنا قرأنا في الجرائد الشرقية خبر عفو أمير اليمن عن المتهمين في الحركة الانقلابية التي كان من آثارها قتل أبيه يحيى حميد الدين. فلم يحرك منا

(1) نشرت في العدد 174 من جريدة البصائر بتاريخ 05 نوفمبر 1951 م وفي كتاب عيون البصائر. الجزء الثاني (الجزائر ـ بدون تاريخ) «1971» ص 687 ـ 690.

هذا العفو شعرة، كما لم يثر منا ذلك الانقلاب إلا الألم ولا يستطيع أحد أن يتهمنا في هذا بجفاء الطبع أو جفاف العاطفة، فنحن من أشد الناس افتتاناً بالعروبة والعرب، وأرقهم إحساساً في النوائب التي تنوبهم، وأعمقهم أسى للحالة التي هم عليها ولكن رأينا في ملوك العرب معروف، ومن رأينا في الكثير منهم أن كل ما يصدر منهم من عقد، ونقض، وعفو، ومؤاخذة، فهو ناشىء عن خطرات من الوساوس الفردية لا عن بواعث من المصلحة العامة. وأنهم عدموا القوانين المقيدة، فاستحكمت فيهم النزعات المطلقة، فأصبحوا، في نظرنا يوجدون فكأنهم، في فراغ الحياة، ما وجدوا، ويفقدون فكأنهم لهوان الخطب ما فقدوا. ومن رأينا في ذلك الانقلاب أنه أحط من بصيرة المتبصرين بدرجات وأنه متأخر عن وقته بسنوات. وأنه لو صحبته البصيرة، وكان العلم والعقل من ذرائعه، لكان تطوراً لا انقلاباً، ولما سأل فيه ملء محجم من الدم.

وقالت تلك الأخبار: إن العفو شمل الأستاذ الفضيل الورتلاني المتهم بتدبير الانقلاب، والاغتيال وتباشر أصدقاؤه وعارفوا فضله لهذا العفو، كأنهم رأوا فيه حداً للحالة التي يعيش عليها، وكأنهم يرون أن تلك التهمة على بطلانها، عاقت الأستاذ الفضيل عن مواصلة جهاده في سبيل العرب والمسلمين، فالعفو يضمن له تابعة الكفاح.

والأستاذ الورتلاني ابن بار من أبناء جمعية العلماء، وغض من دوحتها الفينانة، فتح عينيه على شعاعها وسار في الحياة من أول خطوة على هداها وبز الجياد القرح في ميادينها، ورمى الغايات البعيدة بتسديدها، ورضى عقله على التفكير الصائب، ولسانه على الحديث الصادق في الإصلاح السياسي، وهذه أنواع من الإصلاح متشابكة الأصول، متشابهة الفروع تفصل بينها فواصل اعتبارية دقيقة، ولكن الأجرياء المقدمين يرونها متلازمة متوقفاً بعضها على بعضها، ولا يتم جزء منها إلا بتمام جميعها، ومن هؤلاء ولدنا الفضيل، فلما ضاق عنه وطنه الأصغر طار إلى وطنه الأكبر، ولما كان الأستاذ الورتلاني منا، ومكانته عندنا، وأعددناه من أبنائنا البررة، ورجالنا الأفذاذ، وتيقنا من طهارة ذمته من القاذورات، وتسامي همته إلى بناء المأثورات، نرى أن كلمة: «العفو

عنه» كما تقول الجرائد، سبة لم يسب بأفحش منها، ولا نظن أن ولدنا الفضيل ارتاح لها، أو وقعت منه موقعها، لما نعرفه فيه من الشمم وكبر النفس، وما زالت كلمة العفو في مثل هذه المواطن ثقيلة على النفس الحرة، لا يطرب لها إلا المذنبون الضارعون، كالذي يقول (رأيت العفو من ثمر الذنوب) وإذا كان العفو لا يكون إلا عن جان فإقراره إقرار للجناية، ومتى كان الفضيل جانياً حتى يعفى عليه؟ أو حتى يكون العفو عنه مدعاة للسرور والابتهاج؟ وقد وقع لنا مثل ذلك مع الاستعمار، يظلمنا، ثم يبدو له فيقول: عفوت عنكم. فلا يكون أحز في نفوسنا من ظلمه إلا عفوه.

كل ذنب الفضيل أنه أراد أن يعالج ناحية من نواحي تلك المملكة الشقيقة. فعاجلته الأيدي الخفية التي تريد إصلاحاً بتلك الحادثة.

وبعض ذنبه، إن كان هذا يسمى ذنباً، أن جرأته على مصارحة الأمير القتيل بلزوم الإصلاح، وتنبيههُ إلى مواقع الخطر المترتب على الإهمال، كل ذلك جراً للطائشين على التعجيل بأمر لم يجيلوا فيه روية، ولا تدبروا له عاقبة، والمعاني الكبيرة لا تحتملها العقول الصغيرة، وأعان على ذلك ظلم طال أمده، واتسع مداه وتظلم خفت صوته، فلم يتردد صداه.

إننا نعلن، نيابة عن الأستاذ الورتلاني، بما لنا عليه من حق الأبوة، أنه يستحق التبرئة والاعتذار إليه لا العفو، إذا كانت العقول قد ثابت إلى رشدها، وطهر الجو من الروائح الاستعمارية، التي أفسدته. أما إذا كان الإمام لا يحسن الإمامة، وكان السيف لا يقطع إلا أوصال جلية، فخير للفضيل أن تتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق من أن تكتب في تاريخه الحافل «طرة» وهي أنه (مجرم معفو عنه).

إننا قوم لا نرضى من الأخلاق إلا أن تكون عقائد، وأن هذا الاعتبارات هي التي أسكتتنا عن الحديث في هذا العفو وإن لامنا عن هذا السكوت اللائمون، أما ما جرته تلك التهمة على الأستاذ الفضيل من تنكر الملوك له، وضيق الحكومات به، فهو امتحان البطولة، وطالما أداه الأبطال قاسياً ثقيلاً.

وما زالت العليا تعني عزيمها، كما يقول ابن خميس، وهو دليل البطولة، وللبطولة منها عليها شواهد.

وأما ما لقيه بسببها من تجهم بعض الأصدقاء، فهو دليل على أن صداقتهم كانت على دخن، أو من شماتة بعض الخصوم، فهو دليل على أنه كان غيظ الحاسد ومسيح الدجاجلة، وكل ذلك مما يعلي قيمة الفضيل، ويبين عن جفاء جوهره، وأن تلك الغيمة العارضة، ما زادت على أن كانت تلقيحاً في رجولته، وتنقيحاً في أصدقائه، وافتضاحاً لخصومه.

محمد البشير الإبراهيمي

أسفار الورتلاني ورحلاته في الغرب والشرق

لقد وهب الفضيل الورتلاني نفسه لخدمة بلاده، والإسلام، والعروبة، وضحى بماله، وصحته وأوقاته، في سبيلها. وكان بإمكانه، لو أراد أن يكون من كبار الأثرياء، ولكنه أبى إلا أن يكون داعية إسلامياً كبيراً، وهذا ما عبر عنه تلميذه ورفيقه اللبناني السيد رفيق سنو حيث قال: «إنني أعلم أن الورتلاني قد ورث عن آبائه وأجداده أموالاً كثيرة، لو خصص لها جزءاً صغيراً من عنايته، لكان بها من كبار الأغنياء، ولكن انصرافه إلى الرسالة وإهماله لها كما أهمل صحته في سبيلها جعل تلك الثروة تتبعثر، وتلعب بها الأيدي الاستعمارية وغير الاستعمارية، وهو يتفرج من بعيد كأنه لم يكن من أصحابها.

وما يزال حتى الآن يستعمل شتى الحيل لإنقاذ ما يمكن إنقاذه منها، حتى يعيش عفيفاً كريماً. ولقد كان في مصر قبل ثورة اليمن يتمتع بنفوذ كبير على طائفة من الشركات الاقتصادية الكبرى ذات رؤوس أموال تعد بملايين الجنيهات. وكان يمكنه يومئذ بكل سهولة أن يجمع ثروة طائلة في رحابها الواسعة.

ولكن الرسالة المقدسة كانت صاحبة السلطان الأكبر على أخلاقه، فخرج من ذلك المحيط الضخم صفر اليدين من المال، ولكنه خرج بثروة كبيرة من العفاف والإكبار. وعاش في اليمن بنفوذ اقتصادي خطير كان يستمده من الشعب والحكومة معاً. ولقد كان مديراً عاماً للشركة الوحيدة ذات الامتيازات الواسعة في دولة اليمن، وقد علمت من المطلعين الصادقين، أن الورتلاني لو أراد أن يتنازل قليلاً عن الحنبلية في رسالته وعفافه، لخرج من اليمن بمئات الآلاف غير خائن ولا مشار إليه بالبنان. وعاد إلى مصر بعد الثورة الأخيرة وكان أقرب المقربين إلى رجال الثورة وكانت صلاته بأرباب الملايين واسعة عريضة ولكنه لم يرضى أن يشرب من كأس مشبوهة يوماً ما.

وبعد أن صدر العفو عنه، وعن غيره وأصبح بإمكانه الظهور، عاد إلى نشاطه السياسي، والفكري والثقافي فأخذ يكتب المقالات في الصحف والمجلات، أحياناً بأسماء مستعارة، وعمل مندوباً متجولاً، لبعض وكالات الأنباء، والصحف الكبرى، وقام برحلتين طويلتين إحداهما إلى بلدان أوروبا، والأخرى إلى بلدان آسيا.

رحلة الورتلاني إلى أوروبا والمغرب الأقصى

قام بهذه الرحلة عام 1950 وابتدأها من سوريا، إلى تركيا فاليونان، فإيطاليا، فسويسرا، فاللكسمبورغ فبلجيكا، فهولندا، فارلندا، فاسبانيا، فالبرتغال، فالمنطقة الخليفية بالمغرب الأقصى، فطنجة، وهكذا زار اثني عشر بلداً، وفي العودة مر عليها كلها كذلك، بعد أن أقام في كل بلد الوقت المناسب الذي كان يتطلبه عمله. والتقى بعدد كبير من زعماء وشخصيات المغرب العربي وغيره حسب اتفاقات ومواعيد مسبقة في سويسرا ولندن وطنجة والمنطقة الخليفية وغيرها وعندما نشبت أزمة السلطان محمد بن يوسف الخامس مع الجنرال جوان، كان الورتلاني في لندرة، فذهب إلى أسبانيا ومنها إلى تطوان، وطنجة ليساهم مع الزعماء المغاربة في مواجهة تلك الأزمة. وبقي هناك مدة كافية في زي متنكر حتى لا تعرفه المخابرات الفرنسية.

وقد أجرى الورتلاني اتصالات واسعة في كل هذه البلدات التي زارها مع القادة والزعماء، والشخصيات المهمة لخدمة قضية الجزائر، وبلدان المغرب العربي، والعالم الإسلامي بصفة عامة، واستغرقت رحلته هذه أكثر من سبعة شهور، ثم عاد إلى لبنان.

رحلة الورتلاني إلى بلدان الشرق الآسيوي

وبعد أن أخذ الورتلاني قسطاً من الراحة بعد هذه الرحلة الطويلة، شد الرحال إلى بلدان الشرق الأقصى في نفس العمل، داعية ومرشداً، ومواجهاً، فابتدأ رحلته من الكويت فإيران فالسعودية، فالبحرين، فالباكستان فالهند فباكستان الشرقية، فبورما، فسيام، فالملايو، فسنغافورة، فأندونيسيا، واستقبل من قبل الوزراء، والأمراء، والملوك، والعلماء، والحكومات، والجماهير الشعبية، وحاضر، وخطب، ووجه، ونصح، ووعظ، وأرشد واستضافته حكومات هذه البلدان، وكرمته، وبجلته وحضر خلال هذه الرحلة ثلاث مؤتمرات إسلامية دولية عالمية، وانتخب عضواً أساسياً وبارزاً وهي: المؤتمر الإسلامي العالمي، ومؤتمر علماء الإسلام، ومؤتمر الشعوب الإسلامية، وانتدبه الأولان رسمياً للقيام برحلة عالمية لشرح مقرراتها، وقام بجزء كبير منها.

ولدينا كلمة كتبها في رانقون عن أهل رانقون جديرة بأن نسجلها هنا لأهميتها سجلها في دفتر دار العلوم برانقون:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد فلقد كانت زيارتي إلى ديار رانقون غرة في جبين أيام رحلتي لما وقفت عليه من أسباب السعادة الدينية والدنيوية بين أهل الإسلام فيها. فالعلماء وهم في كل عصر ومصر مادة الحياة الحقة إذ أنهم مطر هدايتهم أخضرت أرض القلوب والنفوس والأجسام، واستوت السعادة على سوقها، وإن هم أمسكوا الله على خلقه، ورحمته هي العلم

الصحيح والمعرفة الحقة، إن هم أمسكوها شاع الجفاف في القلوب ووجد الشيطان وأعوانه من الشهوات سبيلاً إلى الصد والإضلال، فكان القحط وكان الشقاء والعياذ بالله، أما علماء رنقون فلقد وجدت فيهم من الود المتبادل والاحترام والتعاون ما ملأ نفسي غبطة وسروراً، إلى جانب ما لمسته من آداب الإسلام فيهم والحرص على إشاعة تعاليمه وذلك ما ظهر لي وسمعته من غير واحد في أيام إقامتي القليلة. وأرجو أن يكون هو الواقع الذي لا يزينه شيء من المظاهر العارضة.

ولقد اجتمعت بوزرائهم وكان سروري أشد حينما وجدت أمامي، رجالاً يختلفون كثير عمن رأيتهم، وما أكثر من رأيت من رجال السياسة، إذا وجدت التواضع أملك شيء على نفوسهم، واحترامهم للعلماء أبرز مزاياهم، والاعتزاز بدينهم صاحب السلطان الأكبر على تصرفاتهم، وكم كان سروري زائداً حين اكتشفت مقدار التعاون، القائم بين العلماء ورجال السياسة والتجار. فالأركان الثلاثة هي عماد النجاح، وهي في رنقون متضامنة والحمد لله.

هذه كلمة عامة وقاصرة بالنسبة لما أحمله لأهل رنقون من أجل الذكريات، أما الكلمة الحقة فهي التي أسجلها باغتباط عظيم عن هذه الدار العظيمة التي تقوم على نشر الهداية الإسلامية ولغة القرآن تلك هي دار العلوم، فلقد تفضل أميرها المفتي الأعظم محمود داوود يوسف بإقامة حفلة شيقة فيها، حضرها العلماء والتجار والأعيان، وحضرها جميع طلاب الدار، وأساتذتها، وتبارى الجميع في الخطابة نظماً ونثراً وتمجيداً للإسلام ولغته، وترحيباً بالضيف المتواضع، فأكبرت هذا العمل الجليل الذي سيكون له شأن عظيم إن شاء الله في مستقبل الأيام في بورما فقط ولكن في هذا الشرق الواسع الذي كاد يضم بين بنيه نصف سكان الدنيا وهم أقرب الناس إلى الإسلام.

ولقد تجلى الجد والإخلاص في الطلاب والمعلمين، والرؤساء، الأمر الذي ملأ نفسي أملاً بمستقبل أعمالهم، وإني وفاء بعهدي لهم ولله أسجل على نفسي كتابة أنني سأبلغ رسالتهم النافعة إلى جميع من تصل إليهم قدرتي من

حكومات وشعوب إسلامية كما أسجل عليهم في دفترهم: هذا عهدهم لي باسم الله، وبمبايعة أميرهم المفتي الأعظم، على أن يعيشوا جميعاً للدعوة الإسلامية، والله يتولاهم وينصرهم ومن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً.

كتبه الفقير إلى الله في رنقون السيد محمد حسنين
الفضيل الورتلاني الجزائري
بتاريخ 19 رجب سنة 1372 هـ ـ 1952.04.14 م

ونقله أحقر عباد الله الرحمن العبد المكنى بأبي حفص المدعو بمحمد مقصود أحمد عفا عنه المعبود المنان ووفقه للخير في كل آن وزمان، وتوفاه على الإيمان بحرمة نبي الإنس والجان، وصلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه الصلاة والسلام الأتمان الكاملان والحمد لله.

بتاريخ 20 رجب سنة 1372 هـ ـ 1952.04.16 م

عودة المجاهد الورتلاني لمصر وتكريمه فيها

وأخيراً، وبعد خمس سنين قضاها الأستاذ المجاهد الإسلامي السيد الفضيل الورتلاني مشرداً مطارداً من حكومات الاستبداد، نراه يعود إلى مصر كما يعود الحق إلى نصابه والسيف إلى قرابه.

وقد تألفت في القاهرة لجنة من المجاهدين الإسلاميين والعرب للاحتفال بتكريمه والحفاوة به، كانت هيئة الاحتفال مؤلفة من حضرات السادة:

محمد البشير الإبراهيمي رئيس جمعية العلماء بالجزائر، والشيخ محمد عبد اللطيف دراز وكيل الجامع الأزهر، والأستاذ محمد بدرة وزير الشؤون

الاجتماعية بتونس، والأستاذ محمد محمود الزبيري وزير معارف اليمن سابقاً، والأستاذ محمد الحسن الوزاني رئيس حزب الشورى بمراكش، والأستاذ إبراهيم شكري عضو مجلس النواب السابق، والأستاذ محمد العربي أبو جمالين ممثل حزب البيان الجزائري، والأستاذ عبد المجيد بن جلون مندوب حزب الاستقلال المراكشي، والأستاذ صالح عشماوي صاحب مجلة الدعوة، والأستاذ علي البلهوان مندوب الحزب الدستوري التونسي، والأستاذ محمد خيضر مندوب حزب الشعب الجزائري، وكان يشرف على الاحتفال الأستاذ محمد علي الطاهر رئيس اللجنة الفلسطينية بالقاهرة.

وقد وجهت لجنة الاحتفال الدعوة إلى عدد كبير من فضلاء وعظماء مصر والشرق ونزلاء القاهرة من أبناء العروبة والعالم الإسلامي، وهي:

«بمناسبة عودة المجاهد العربي السيد الفضيل الورتلاني إلى الديار المصرية من المنفى ومن رحلاته وجهاده السياسي في البلاد الإسلامي.

«تتشرف لجنة الاحتفال بتكريمه بدعوة حضرتكم إلى تناول الشاي بفندق سميراميس في الساعة الخامسة بعد ظهر الجمعة 28 نوفمبر سنة 1952».

الحفــــلة

وما كاد موعد الاحتفال، يوم 28 نوفمبر 1952، يأزف حتى امتلأت القاعة الكبرى لفندق سميراميس بالشخصيات الممتازة، من وزراء وسفراء وساسة وعلماء وأدباء ورجال الصحافة والقلم من جميع الطبقات، وكان عدد الذين جلسوا على موائد الشاي حوالي ثلاثمئة غير الذين وقفوا على أقدامهم لكثرة الزحام.

وقد خطب كثيرون من الخطباء كما ألقيت قصائد المبرزين من الشعراء، ثم رد عليهم الأستاذ الورتلاني بخطاب سياسي ضاف شكر فيه حضرات المحتفلين والحاضرين جميعاً، وستصف الرسوم الآتية فخامة تلك الحفلة وروعتها، وهي:

تصاوير الاحتفال



المائدة الرئيسية:

ويظهر على المائدة من اليمين دولة السيد أحمد حلمي رئيس حكومة فلسطين فالشيخ فهمي هاشم الوزير الأردني الأسبق في المملكة السعودية فالحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين فالشيخ البشير الإبراهيمي رئيس علماء الجزائر فالأستاذ الورتلاني «المحتفل به» فالأستاذ محمد العشماوي وزير المعارف الأسبق فوزير أندونيسيا المفوض، وغيرهم من الفضلاء، ووقف الأستاذ محمد علي الطاهر خلف المائدة الرئيسية يخطب أمام الميكروفون ويقدم



صورة تذكارية من القاهرة سنة 1953 م

من اليمين إلى اليسار: أحمد طالب الإبراهيمي - الشيخ العربي التبسي، الشيخ البشير الإبراهيمي - الشيخ الفضيل الورتلاني - الرئيس جمال عبد الناصر

وعندما قامت الثورة المصرية يوم 23 جوليه 1952، وأطاحت بالنظام الملكي، ارتفع شأن الأخوان المسلمين الذين تعاطفوا مع الثورة، وتعاطفت معهم، فاغتنم الشيخ الفضيل الفرصة بعدما عاد إلى مصر، وعمل مع الشيخ البشير الإبراهيمي في مكتب جمعية العلماء، وجدد نشاطه كالعادة، وقام بنشاط مكثف وكتب عشرات المقالات والبرقيات، في الصحف والمجلات، وكثف صلاته بالشخصيات العلمية، والفكرية، والسياسية، واحتل مكانة مرموقة بفضل صلاته الوثيقة بالأخوان المسلمين. وليس هناك جريدة أو مجلة في مصر، وسوريا، ولبنان لم ينشر فيها مقالاً أو برقية أو دراسة، للتعريف بالجزائر، وجهادها، وبتونس، والمغرب، وليبيا، وبمشاكل فلسطين، واليهود، وبقضايا العالم الإسلامي، بصفة عامة. ومن ضمن هذه الجرائد:

الحياة ـ جريدة الجريدة، بيروت، بيروت المساء، المنار، الأنباء، الجمهورية، المصري، الأهرام، الأخبار، منبر الشرق، الدعوة، مصر الفتاة، الكتلة، الأخوان المسلمون، النذير.

وكانت له مراسلات مكثفة مع الكثير من شخصيات العالم الإسلامي، شرقاً وغرباً حول القضايا العامة، والخاصة، أحياناً وحده، وأحياناً مع الشيخ البشير الإبراهيمي: ونورد فيما يلي نص البرقية التي بعثها مع الشيخ البشير إلى حاكم باكستان ورئيس وزرائها حول قضية الشيخ أبي الأعلى المودودي.

نص البرقية التي أرسلها الشيخ البشير الإبراهيمي
والشيخ الفضيل الورتلاني إلى حاكم باكستان
ورئيس وزرائها في قضية المودودي

بسم الله الرحمن الرحيم[1]

حضرة صاحب الفخامة السيد غلام محمد حاكم باكستان العام ـ كراتشي.

حضرة صاحب الدولة السيد محمد علي رئيس الوزراء الباكستانية ـ كراتشي.

(1) نشرت في عدد 232 من جريدة البصائر عام 1953، وفي كتاب عيون البصائر جـ 2 ص: 697 ـ 698.

شاع في أنحاء العالم أن المحكمة العسكرية بمدينة لاهور حكمت بالإعدام على عالم من أكبر علماء الإسلام ومن أعظم دعاته، وهو الشيخ أبو الأعلى المودودي، ثم شاع الخبر بأن الحكومة الباكستانية خففت هذا الحكم إلى السجن أربع عشرة سنة.

إن هذه الأخبار أحزنت مئات الملايين من المسلمين في العالم، وسرت أعداء الإسلام كلهم، ومهما تكن الدواعي لهذه الأحكام القاسية فأن المسلمين في جميع الدنيا لا يرضون لحكومة باكستان الإسلامية أن يسجل عليها التاريخ قتل علماء الدين، أو سجنهم، لأنها لا تعدم بإعدام المودودي شخصاً، وإنما تحطم سيفاً من سيوف الإسلام، وتسكت صوتاً من أصوات الإسلام، وتطمس مفخرة من مفاخر الإسلام، ويا فرحة أعداء الإسلام بذلك.

إننا باسم جمعية العلماء الجزائريين، وباسم ثلاثين مليون مسلم في المغرب العربي، نتوجه في شدة، وإلحاح، إلى دولة باكستان الرشيدة، التي نفخر ونعلق عليها الآمال، في إعلاء كلمة الإسلام أن ترجع عن هذه الأحكام التي تزعج نفوس المسلمين، وتطلق سراح المودودي عاجلاً، لترد الاطمئنان إلى نفوس جميع المسلمين.

إن فرح المسلمين بنشأة باكستان، وعطفهم عليها، وانتصارهم لقضاياها، هو رأس مال عظيم للدولة الباكستانية، الواجب أن تزكيه بإطلاق حرية رجل من أكبر رجال الإسلام، مهما كانت جريمته السياسية فإنها لا تعدو أن تكون جريمة رأي.

محمد البشير الإبراهيمي	الفضيل الورتلاني
رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين	عضو جمعية العلماء المسلمين الجزائريين
ورئيس تحرير جريدة البصائر	والداعية الإسلامي

الشيخ الفضيل يغادر مصر نهائياً بعد أزمة الإخوان

وعندما اندلعت الثورة الجزائرية في نوفمبر 1954 أعلن عن تأييدها، ونشر بيانين واحد بتاريخ: 3 نوفمبر، والثاني بتاريخ: 15 نوفمبر 1954 واشترك هو والشيخ البشير الإبـراهيمي مـع ممثلي الأحزاب الجزائرية بالقاهرة في تكوين جبهة التحرير الوطني الجزائرية بتاريخ 17 جانفي 1955، وقام بنشاط مكثف، ونشر عدد / كبير/ من المقالات والدراسات، في الصحف والمجلات، ورد على زيف الإذاعات الاستعمارية، وشارك في إبلاغ صوت الثورة إلى كل بلدان العالم العربية والإسلامي، وكشف المجازر التي تقوم بها القوات الاستعمارية في الجزائر، وتتبع حوادث الثورة، ونقلها إلى الصحف العربية.

ولكن السلطات المصرية لم تكن مرتاحة له حسبما أكد ذلك السيد فتحي الذيب رئيس قلم المخابرات المصرية وذلك لصلته الوثيقة بالأخوان المسلمين الذين اصطدمت بهم الثورة المصرية، وحاربتهم وقاومتهم بعد أن كانت متعاطفة معهم، وذلك بسبب إصرار الأخوان على ضرورة تطبيق الشريعة الإسلامية وتلكؤ ومماطلة قادة الثورة في ذلك، مما أدى إلى إعدام السيد قطب، والمحامي عبد القادر عودة.

ومن أجل ذلك اضطر الفضيل أن يغادر مصر ويلتحق ببيروت ليستقر بها كما كان في السابق ويواصل نشاطه في حدود إمكانياته، ولـم يبخل في خدمة الثورة، وذكر لنا الأخ محمد كسوري ناقلاً عن المرحوم فرحات عباس بأن جبهة التحرير كانت راغبة في استقدامه إلى القاهرة للاستفادة من نشاطه، ولكن الحكومة المصرية عزفت عن ذلك لعلاقته الوثيقة بالإخوان، والحقيقة أن الحكومة المصرية حتى الشيخ البشير جمدت نشاطه، بإيعاز من عناصر معينة في الجبهة، وهذا مما يؤكد عدم صحة قول عباس حتى بالنسبة للشيخ الفضيل.

وخلال إقامة الشيخ الفضيل ببيروت كان يتنقل بينها وبين تركيا، إلى أن اضطر إلى مغادرة لبنان نهائياً فاستقر بتركيا. واعتلت صحته كثيراً ومع ذلك لم يتقاعس عن العمل، وهو الذي مهد لاعتماد أول مندوب لجبهة التحرير الوطني الجزائرية بتركيا عام 1958 م وهو العقيد عمرو أَوعَمْرَانْ، رغم الظروف الصعبة التي كان يعيشها مادياً وسياسياً، وهناك مرض ودخل إلى المستشفى، ووقف إلى جانبه رجل فاضل هو السيد الأستاذ فرج بن جليل، المستشار بالسفارة الليبية، وواساه وعوضه عن الغربة التي كان يعاني منها، وعن الآلام والأسقام، إلى أن وافته المنية يوم 12 مارس 1959 عن عمر حوالي نصف قرن وزيادة. وبعد 21 عاماً من مفارقته لوطنه الصغير الجزائر. فدفن هناك بأنقره إلى أن جلبت رفاته إلى الجزائر عام 1987 ودفن في مسقط رأسه ببني ورتلان. لقد عاش الشيخ الفضيل مكافحاً ومجاهداً في سبيل عزة الإسلام والعروبة، ومخلداً في سماء الخالدين، ولا يمكن أن تنسى ذكراه أبداً إلى يوم الدين، وسيبقى كتابه: «الجزائر الثائرة» رمزاً له وسجلاً حافلاً للأعمال الجليلة والكبيرة التي قام بها على مدى ثلث قرن من الزمن. وقد أعادت جماعة عباد الرحمان ببيروت طبعه ونشره عام 1963 م مشكورة. كما أعاد ابنه الحسين طبعه للمرة الثانية عام 1993 بميلة في قسنطينة. وخلف وراءه ابنه الحسين الذي يعمل حالياً مديراً للمركز الثقافي الإسلامي بمدينة قسنطينة، وبنتاً متزوجة هناك إلى جانبه، مع والدتهما حفظهم الله جميعاً وبارك في أعمالهم وجعلهم خير خلف لوالدهم العظيم.

وقد دعيت في مارس 1989 للمشاركة في إحياء ذكرى وفاته الثلاثين بمسقط رأسه بني ورثلان، وألقيت هناك محاضرة حوله وحول علماء المنطقة ودورهم في نشر العلم والثقافة ومقاومة الاستعمار.

نبذة مختصرة عن حياتي

يوسف العلوي المدعو يعلاوي بن الخير بن عبد الرحمن

من مواليد سنة 1918 بقرية شريعة

بلدية قُنزات بني يعلى

أما يعلاوي فهو نسبة إلى بني يعلي عرفت به إبان الثورة أيضاً.

حفظت القرآن في قريتي شريعة مسقط رأسي، عن عمي المسمى علي الشريف رحمه الله وأخذت مبادىء العربية والفقهية من علماء الناحية الشيخ السعيد بن عمر عبد لاوي والشيخ يحيى الشريف رحمهما الله، ثم هاجرت مغامراً إلى زاوية بن الحملاوي سنة 1936. حيث أخذت معلومات عن أساتذة تونسيين وجزائريين.

وفي سنة 1937 ـ 1938 الدراسية ساعدتني الظروف أن التحق بالجامع الأخضر لأحظى بالتلمذة على الإمام عبد الحميد بن باديس رحمه الله.

وكم تمنيت بل بذلت مجهودات لمواصلة الدراسة بالهجرة إلى تونس أو إلى مصر أو إلى معهد من المعاهد في الدول العربية والإسلامية ولكن الضعف المادي والعراقيل والحضوض كانت دون تحقيق الأماني.

في سنة 42 وقعت حادثة غلق طريق بوقاعة قُنزات في وجه حاكم لافيط القرقور الذي قدم في مهمة إلى قُنزات لبحث حادثة المقاطعة التي نظمت ضد شراء بضائع أحد التجار الفرنسيين بقُنزات، والتي اعتبرت قضية سياسية فقام الاستعمار بالبحث عن كل مشبوه في أمره منتسب إلى حركة وطنية فانتقلت مهاجراً إلى سوق أهراس حين مكثت هناك إلى سنة 1944 حيث رجعت إلى بني يعلى قائماً بالتعليم والنضال تحت لواء التجمع المعروف آنذاك بأحباب البيان وفي 8 ماي تجدد البحث عن كل من ينتسب إلى كل حركة وطنية فانتقلت متسللاً إلى قمون بني خيار حيث مكثت هناك كمعلم في نظام جمعية العلماء إلى سنة 1952 وقد قمت بتنظيم حركة هناك، عدةُ مدارس في الناحية أسست

ونشر الوعي في أوساط الشعب وحوكمت مرات في بوقاعة، ثم في بجاية، بالسجن والغرامة وأخيراً وفي سنة 1953 بمحكمة باريس بغرامة 76 ألف فرنك.

وفي أواخر سنة 1952 عينت كمدير لمدرسة عين آزال ناحية سطيف.

ومن هناك في أواخر سنة 1955 التحقت بجيش التحرير الوطني بولاية الأوراس حيث قضيت مدة حتى شهر أوت سنة 1959. انتقلت إلى الولاية الثالثة بأمر من القيادة العليا لجيش التحرير الوطني، كضابط سام، وبقيت هناك إلى سنة 1962 السنة التي انتصرت فيها الثورة على الاستعمار الفرنسي واسترجعت الجزائر سيادتها كاملة غير منقوصة.

جرحت جراحاً خطيرة في معركة كبيرة بجبل أكفادو سنة 1960 عاطلاً عن أداء المهام المسندة إليّ أحسن الأداء، وما زلت أعاني منها ما أعاني. هذا ما يتعلق بالنشاطات المتواضعة التي وقعت قبل سنة 1962.

إما بعد استرجاع السيادة الوطنية، فبالرغم من هذه الجراحات وبالرغم من العمليات الجراحية التي أجريت لي والتي بلغت نحو خمس عمليات، والأخيرة أجريت لي على القلب سنة 1984.

فقد أسندت لي أو كلفت بعدة مسؤوليات وطنية:

- عضو المجلس الوطني التأسيسي الأول من سنة 1962 إلى سنة 1965.
- محافظ وطني بولاية تيزي أوزو سنة 1966 إلى 1968.
- مراقب وطني في حزب جبهة التحرير الوطني من سنة 1968 إلى سنة 1973.
- أمين وطني في المنظمة الوطنية للمجاهدين ثم أمين عام لنفس المنظمة من سنة 1973 إلى اليوم.
- عضو اللجنة المركزية لحزب جبهة التحرير الوطني من سنة 1979 المؤتمر الرابع إلى هذا التاريخ الذي سجلت فيه هذه الوثيقة وهو 16 ذو الحجة سنة 1409 الموافق لـ 19 جويلية سنة 1989 م.

وكل ما يطلبه أخوكم العبد الضعيف أن يتقبل الله أعماله، وأن يختم الله حياتنا على الإخلاص لا مبدلين ولا مغير لا فاتنين ولا مفتونين.

يوسف اليعلاوي

المجاهد الشهيد الشيخ محمد الطاهر المدعو يونس بَغُّورَة

بسم الله الرحمن الرحيم(1)

نبذة من تاريخ الأخ السيد محمد الطاهر المدعو يونس بَغُّورَة.

ولد محمد الطاهر بغورة المدعو: يونس، بقرية ريفية تسمى: «ثاد شيرث» ببلدية تقرق التابعة لولاية سطيف سابقاً، وبرج بوعريريج حالياً، عام 1929 بعد وفاة أبيه محمد الطاهر بشهرين اثنين، ولذلك سمي باسمه، ولكنه شهر باسم يونس. وأصبح يدعى بهذا الاسم. وكان والده محمد الطاهر عالماً، وفقيهاً ومفتياً للناس، يفصل الخصومات بينهم كعادة كل الفقهاء، في القرى الريفية بالجزائر. وقد بقي الابن يونس تحت كفالة أعمامه إلى أن بلغ سنّ الدراسة فعلَّمه عمه محمد البشير، إمام القرية، القراءة والكتابة، وحفَّظه جزءاً من القرآن الكريم، ثم بعد أن كبر وتحسّن مستواه انتقل إلى زاوية سيدي عبد القادر الجيلالي بجوار القرية، التي كان يديرها ويسيِّر شؤون التعليم فيها أعمامه، ثم أخوه وأتم بها حفظ كلّ القرآن الكريم. وبعض المتون الفقهية واللغوية خاصة، الأجرومية، في النحو، وابن عاشر في الفقه، وجوهرة التوحيد، في علم التوحيد.

وعندما لاحظ عليه أخوه الرغبة الملحة في توسيع مداركه ورفع مستواه

---

(1) توصلنا بهذه النبذة أوائل شهر أبريل عام 1991 من طرف ابن عم الشهيد، السيد عبد الوهاب بغورة المعلم بمدينة برج بوعريريج، بطلب منا، وأعرف هذا المعلم يوم أن كان يدرس بتونس أوائل عقد الخمسينات.

وثقافته، حتى يتمكن من أخذ مكانة والده المرحوم كمفتي، وقاضي، وشيخ للقرية، والعرش، والزاوية، أرسله إلى الزيتونة بتونس ليتم دراسته، ويحصل على شهادة، وذلك أواخر عقد الأربعينات، من هذا القرن، ودرس هناك ثلاث سنوات أظهر خلالها نجاحاً وتفوقاً، في دراسته وامتحاناته. وكان عندما يعود خلال العطل الصيفية، يتصدى لتعليم أبناء القرية، وطلبة الزاوية، ولا يضيع وقته، وقد انقطع عن الزيتونة في السنة الثالثة، وتفرغ للتعليم بالزاوية المذكورة، وعمل على إصلاح نظام التعليم فيها وتطويره، وبعث الحماس في نفوس التلاميذ والطلبة، وطبق أساليب جديدة في التعليم، تتناسب مع التطورات الجديدة التي كانت الجزائر تستعد لاستقبالها خاصة بوادر ثورة أول نوفمبر 1954 م، التي كان سباقاً للمشاركة فيها ودعوة الناس لها.

وتولى إدارة التعليم الحر في المنطقة وشؤون التفتيش، والقضاء بالناحية كلها في إطار جبهة التحرير الوطني التي كلفته بذلك، وتحمل المسؤولية عن جدارة حتى ألقي عليه القبض عام 1956 واقتاده جنود جيش الاحتلال إلى قرية «أولاد خليفة» التي اتخذت بمثابة معسكر له، وتمركز به عدد من جنود الاستعمار، ومجموعة من القوم، والحركة، الجزائريين الذين باعوا دينهم ووطنيتهم، فعذبوه بقسوة وسلطوا عليه وسائل قاسية علّه يبوح لهم ببعض الأسرار، ولكنه كان شهماً فلم يفدهم بشيء ولذلك أعدموه بالرصاص، وفضل الاستشهاد على الاستسلام والخيانة للثورة والوطن.

وقد ترك زوجة، وبنتاً، كفلهما أخوه محمد أمزيان بَغُّورَه.

رحم الله الأخ، وجميع الشهداء، وأسكنهم فسيح جنانه.

نص عقد على تولية السيد محمد السعيد بغورة

إدارة زاوية ومعمرة عبد القادر

الجيلالي بقرية ثفرق

الحمد لله[1] وصلى الله على سيدنا محمد

الإعلام من الكاتب والإشهاد منه كل من وقف عليه كتابه هذا من علماء عصرنا وولات (كذا) بلدنا ومن له عقل راجح من وطننا أن يقف ويتبع كل ما يذكر ويتجنب كل ما تدعيه الخصام من الفجور فيؤجر. وبعد التماس صالح دعائكم لنا اعلموا رحمكم الله أن الحامل السيد محمد السعيد نجل البركة الشيخ السيد محمد امزيان بن البركة السيد محمد بن بغورة قد طلبني في الشهادة التي لا يحل لكل مسلم مؤمن بالله ورسوله أن يكتمها وذلك على معمرة جده البركة السيد محمد بن بغورة وهي تلقب بمعمرة السيد عبد القادر الجيلالي أحضر لنا عنايته لأنه قرأ فيها على ما سمعناه من مشايخنا وأجدادنا فأجبته بما هو واجب علي إفشاؤه ولا يحل كتمانه وإخفاؤه وأن المقام المزبور هو للحامل ولأجداد (كذا) فمنذ قمت وعرفت مصلحتي ودخلت فيه نتعلم القرآن العظيم فوجدت الشيخ السعيد محمد بن بغورة وابنه السيد محمد امزيان هما المتصرفان به مقامهم المزبور وتعلمت عليها زماناً حتى حفظت كلام الله فلم يتعرض لهم أحد حتى توفي الشيخ السيد محمد أمزيان وترك أباه وابنه المزبورين يتصرفان فيه ثم توفي السيد محمد بن بغورة فترك ابن ابنه الحامل السيد محمد السعيد يتصرف فيه أيضاً كما شاء، وبما شاء ولم يدخل كلفته أحد من القبائل ولا من المرابطين من آل ثفرق. ولا مدخل لأولاد سيد (كذا) الحاج محمد لأن جده نشأ في بني يعلى ولا مدخل أيضاً لسيد محمد وأخيه سي أحمد الملقب بسته فجدهما كان في القلّة منشأ، وحاصل كل ما عندي من الشهادة لا مدخل لجميع من ذكر في المقام المسطور ولا تولية لهم عليه بل يختص به الحامل السيد محمد السعيد

---

(1) تسلمت نسخة طبق الأصل من هذا العقد من طرف الأخ عبد الوهاب بغورة ببرج بوعريريج عن طريق ابن العم سالم بوعزيز في شهر مارس 1992 م.

وأولاده وأولاد أولاده إلى هلم جر لأنه لا خلافة ولا شك أن الخلف يتبع السلف ويقيم (كذا) مقامه في كل الأمور إن كان الحق حقيقاً ولناصره تغريضاً وقائمه مخلصاً صديقاً فهذه شهادة كاتبه الآتي آخره ومن أذن له في وضع شهادته حيث أحضرهم الحامل بعد أن لهجوا بما ذكر بلسانهم صريحاً وعلمهم لذلك واضحاً وهو الناسك للحرمين الشريفين السيد الحاج محمد بن زرقاق من سلالة سيد الجودي والسيد الحاج الطيب بن بُغَنْجُورْ والعدل المرضي محمد أمزيان بن رجدال والمرضي حَمٌّ (كذا) بن رجدال منه، ومحمد وعلي بن فرماش والطاهر منه.

كاتبه الراجي عفو ربه العالي ابن الربيع حمود بن محمد الصديق المتعالي.

بتاريخ أول ربيع الأنور عام 1249هـ[1].

نبذة عن حياة الشيخ الشهيد عيسى حميطوش

ولد الشهيد عيسى حميطوش[2] يوم 12 أكتوبر 1917 في قرية بوندة الكبرى، التابعة لبلدية الجعافرة حالياً. وعندما بلغ سن الخامسة أدخله أبوه إلى المسجد ليتعلم القراءة والكتابة، ويحفظ القرآن الكريم على عادة أبناء الريف القبائلي كله. وأتم حفظه عام 1927 م. فألحقه أبوه بزاوية: بُودَاوَدْ في جبال جرجرة، ليحكم حفظه ويتقن روايته، وليدرس العلوم العربية الدينية، واللغوية، كالفقه، والحديث، والسيرة النبوية والنحو، والصرف، وغيرها.

وبعد أن أتقن دراسة هذه العلوم والمعارف، تفرغ للتدريس في نفس الزاوية لمدة عام واحد، كما جرت عادة كل الزوايا. وفي عام 1931 عاد إلى مسقط رأسه ولزم والده الصياد، وأخذ عنه حرفة الصيد حتى أصبح من كبار الصيادين والقناصين، كما لزم عمه الذي كان يتولى الإشراف على شؤون

(1) الموافق 20 أوت 1930 م ويوجد في آخر الصحفة الثانية من شهادة العقد مفصولاً عنها: عبارة: عقد شهود المقام في مقامنا.

(2) أعدّ لنا هذه النبذة صهره أحمد حميطوش بطلب منا، فأعدنا صياغتها.

العائلة. وورث عنه النخوة والشجاعة والشهامة، والرجولة، والمحافظة على العرض والشرف العائلي كما ورث عنه منصب رئاسة الفرقة في القرية، مما أكسبه عداوة قائد الدوار.

وفي الفترة من 1934 إلى 1939، متن صلاته بحزب الشعب الجزائري من الناحية الوطنية والسياسية، وبجمعية العلماء المسلمين الجزائريين من ناحية التعليم والإصلاح الديني، والاجتماعي.

وفي عام 1939 دعي للخدمة العسكرية في الجيش الفرنسي، ولكن الكشف الطبي أعفاه من ذلك بعد أن مرض واعتلت صحته.

وفي عام 1945 تزوج، من ابنة عمه التي أنجبت له ثلاث بنات وولداً والتحق ببلدة اليشير غرب مدينة برج بوعريريج كمعلم للقرآن الكريم، لدى عائلة ابن محمد، واستمر في هذه المهنة عدة سنوات، وتخرج على يديه عدد من حفظة القرآن الكريم، وخلال أحداث مجازر 8 ماي 1945، اعتقلته السلطات الاستعمارية وسجنته في بلدة مجانة أسبوعاً كاملاً، ثم أطلقت سراحه.

وفي عام 1947 أذنت له جمعية العلماء بإنشاء مدرسة حرة في قريته بوندة وتعاون مع عدد من الرفاق وحول أحد مسجدي القرية إلى مدرسة، بعد جهد جهيد بسبب معارضة كبراء القرية الذين يدعون «بالمزاور» والمرتبطين بقائد الدُّوَّارْ.

وبعد انكشاف أمر المنظمة الخاصة السرية التابعة لحزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية في مارس 1950 اعتقل وصدر الحكم عليه بسنة ويوم سجناً. ولكن صديقه محمد الطاهر بن أخروف كلف المحامي محمد الصالح بن مصباح بالدفاع عنه وتمكن من إطلاق سراحه بعد عدة أيام فقط من صدور الحكم عليه، ويقال إن السيد فرحات عباس استعمل نفوذه كذلك.

وخلال هذه الأحداث دبرت ضده مؤامرة اغتيال من طرف جماعة من خصومه، والحاقدين عليه، جمعوا مبلغاً من المال، واشتروا مسدساً، وأعطوهما للمرحوم سليمان قيسوس، لينفذ العملية، ولكنه بعد أن ترصده، أنبه

ضميره فتراجع عن قراره وزاره في منزله ليلاً وحكى له القصة، وسلم له المسدس، والمبلغ المالي، الذي استغله في بناء مدرسة القرية، وشكره على موقفه، وأخزى الله الجماعة.

وكان الشيخ عيسى عام 1948، بعد انتخابات المجلس الجزائري المزورة، قد دعا لمقاطعة حافلات بلخير العياشي الذي كان عوناً للاستعمار، فامتثلوا أمره، وقاطعوها أسبوعاً كاملاً. وبسبب الفقر المدقع، وكثرة رقابة أذناب الاستعمار له، خاصة قائد الدوار، وكبار القرية، التجأ إلى أسلوب التغيب عن القرية والاختفاء لدى بعض أصدقائه في القرى المجاورة أمثال: المولود البلعيالي، وسليمان العشابو، وأحمد علوش وابنه الوشانيين وعمر بوشيحة البومسعداوي.

ورغم أنه وظف في القرية كمعلم للقرآن الكريم، والصلاة بالناس إلاّ أنه قاطع التعليم، وهاجر إلى فرنسا، والتحق بثلاثة إخوة أشقاء له هناك. وبقي عندهم عاماً واحداً ثم عاد إلى القرية، وبصحبته بندقية صيد اشتراها من هناك ودعا سكان القرية إلى بناء مدرسة جديدة تليق بالتعليم العصري الحديث، ولكنه وجد معارضة ضده من قائد الدوار، وأعوانه في القرية الذين استعملوا النعرة القبلية وأذكوها حتى قسموا سكان القرية إلى صفين متعاديين، وأدى ذلك إلى قطع صلة الرحم حتى بين أفراد العائلة الواحدة.

وعندما حاول سكان القرى المجاورة إصلاح ذات البين وجدوا صعوبات كبيرة، ولم يفلحوا في مساعيهم، وزادت الأمور تعقيداً، ولكن المدرسة أسست على أي حالٍ وفي المكان المعين والمقرر لها. وأرسلت جمعية العلماء الشيخ أحمد حسين ليصلح ذات البين ويهدىء الأمور بين الفريقين.

وبعد تأسيس هذه المدرسة وفتحها. تغير أسلوب الشيخ عيسى ولوحظ عليه كثرة التغيب عن القرية لفترات أحياناً تطول وأحياناً تقصر. ولاحظ عليه أفراد عائلته، كثافة اللقاء والتجمع مع رفاقه وأصدقائه إثر كل عودة من غيابه، وذلك في منزله وبعد منتصف الليل، حيث لا يعلم أحد ماذا يدور بينهم في

اللقاء. وكان من ضمنهم: بوغيدة الصديق، وفتح الله رابح، وأمدور الهاشمي، وغيرهم.

وفي أواخر عام 1954 غاب عن القرية أكثر من شهرين، ورزق في أول نوفمبر 1954 بولد، وهو غائب، وفي إحدى ليالي نوفمبر نفسه بعد أن عاد، اجتمع بمعلم القرية السيد: علي الحوار، رحمه الله، في منزله، وطال اجتماعهما، وفي الصباح أخبر أسرته بأنه سيسافر إلى تونس ليعالج عينيه، وهو في الحقيقة ينظم اتصالاته بالمجاهدين.

وبعد عودته من هذه الغيبة دعا سكان القرية إلى تحقيق المصالحة وإزالة الانقسام والانشقاق الناشب من جراء بناء المدرسة. وكانت هذه الدعوة تمويهاً لغرض منها جمع سكان القرية كلهم في المسجد، وكان قد اتفق مع جنود جيش التحرير الذين حضروا معه، أن يدخلوا إلى القرية خلال الاجتماع يحيطوا المجتمعين باندلاع الثورة، ويدعوهم لدعمها وتأييد المجاهدين، وفعلاً اقتحم المجاهدون المسجد خلال الاجتماع وأبلغوهم أخبار الثورة، وحققوا المصالحة بينهم، وتجندوا جميعاً في صفوف الثورة. وغادر الشيخ عيسى القرية مع المجاهدين، ولم يعد إليها إلا بعد أن حمل السلاح وارتدى اللباس العسكري، وكان رائداً في تبليغ الثورة إلى قرى المنطقة مثل: القلعة وتازلة، وبلعيال، والشكبو وغيرها.

وفي أواخر عام 1955 م، اشترك مع المجاهدين في محاربة الميصاليين المعارضين للثورة بنواحي: أَوَقَّاشْ، وبني موحلي، وبني يعلى، والبابور، وخاض معارك في قرى: إقليم أوموسى، وبوختالة، وثاركبات، وغيرها. وفي عام 1956 م أرسله القائد عميروش إلى بلاد الأوراس في مهمة، وعاد بفيلق من الجنود على رأسهم المجاهد البطل علي النمر.

وبعد مؤتمر الصومام عام 1956، عاد إلى مسقط رأسه بوندة بصحبة عدد من ضبطا جيش التحرير أبرزهم: يوسف زيروت، وعمرو أُوعَمْرَانْ. وبعد ذلك حيكت ضده مؤامرة من طرف الحاقدين عليه، فمثل أمام لجنة تأديب،

وجرد من كل رتبه العسكرية، ونقل إلى بلاد القبائل الكبرى، وواصل عمله كما كان حتى استعاد كل رتبه العسكرية. وعندما استشهد بربوة سيدي المسعود في ضواحي أربعاء بني دوالة في شهر جويلية عام 1958 كان يحمل رتبة نقيب. وقد أقام مجاهدوا المنطقة نصباً تذكرياً له ولزملائه في مكان استشهادهم عام 1987 هذا نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

بني دوالة 5 جويلية 1987

﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾.

صدق الله الغظيم

في هذه الربوة من روابي بلدية بني دوالة، والتي تدعى سيدي مسعود، وقعت معركة حاسمة بين الاستعمار البغيض، وجيش التحرير الوطني في شهر جويلية 1958 بقيادة النقيب سي عيسى. وفيها بلي جيش التحرير الوطني بلاءً حسناً وكبد العدو خسائر فادحة في الأرواح والعتاد، وعلى أثرها سقط 34 شهيداً في ميدان الشرف.

رحم الله الشهداء وأسكنهم فسيح جنانه.

المجد والخلود لشهدائنا الأبرار

الشاعر الشهيد

الشيخ الربيع بوشامة(1)

ولد الربيع بوشامة بقرية قُنزات في بني يعلي، دائرة بوقاعة، ولاية سطيف، في شهر ديسمبر من عام 1916 م. وكان الابن الثاني من بين إخوته، وهم طفلان وثلاث بنات. وعندما كبر أدخله والده إلى مسجد القرية ليتعلم القراءة والكتابة ويحفظ القرآن الكريم، كما أدخله إلى المدرسة الفرنسية منذ السنة السابعة من عمره.

وعندما بلغ سن الثانية عشرة حفظ القرآن الكريم على أيدي الشيخ الصديق بن عبد السلام، وأقام له والده حفلة احتفاء وتخليداً للمناسبة كعادة الناس في المنطقة. وواصل تعلمه في المدرسة الفرنسية إلى السنة الأخيرة من المرحلة الابتدائية.

وبعد ذلك تفرغ لدراسة العلوم العربية الدينية واللغوية على شيوخ المنطقة وعلمائها ببني يعلى. فتتلمذ على الشيخ سعيد الصالحي سنوات عديدة، وكان عالماً متضلعاً في العلوم والمعارف الإسلامية الدينية واللغوية. ودرس علوم النحو والتجويد، وعلم القراآت على الشيخ العياشي مزغيش. ودرس كتاب خليل في الفقه على الشيخ الهاشمي بالمولود الذي كان هو الآخر متخصصاً في علوم الفقه والتوحيد. ودرس أيضاً على الشيخ علي الزموري، والشيخ السعيد بن عمر، وغيرهما، وأظهر حزماً ونشاطاً في تحصيل العلوم والمعارف، والآداب العربية، وتفانى في تكوينه الذاتيّ، وكون لنفسه مكتبة مهمة منذ صدر شبابه لتساعده على التكوين الشخصي. وبالطبع فإن وجود أولئك العلماء في

(1) لخصنا هذه النبذة من المقدمة الطويلة التي كتبها الأستاذ جمال قنان لديوان شعره. والتي أرسلها لنا مشكوراً. وهو ابن أخت الشاعر الشهيد.

قريته: ڤنزات لهم دور في نجاحه ونبوغه وتفوقه. وارتقائه، في مدارج العرفان.

يضاف إلى هذا أن منطقة بني يعلى خلال عقد الثلاثينات كانت إحدى مراكز الإشعاع الفكري والإصلاحي، فشب الربيع بو شامة في هذا الجو والمناخ، ومتن صلاته بالحركة الإصلاحية التي كان يقودها آنذاك في المنطقة الشيخ السعيد الصالحي، والشيخ الفضيل الورتلاني. ودأب على قراءة مجلة الشهاب الباديسية التي كانت تصله باستمرار وبانتظام.

وابتداء من عام 1937 أصبح الربيع بوشامة عضواً عاملاً في حركة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وأسس مع نخبة من رفاقه شبان القرية نادياً للشباب وأخذ يساعد شيخه وأستاذه السعيد الصالحي، في التدريس بجامع القرية الكبير.

وفي عام 1938 أخذه معه الشيخ السعيد الصالحي إلى باريس لمساعدة الشيخ الفضيل الورتلاني في عمله الإصلاحي هناك.

غير أن الإدارة الاستعمارية طلبته للتجنيد، فعاد قبل أقل من عام من وجوده هناك، ولكن الفحص الطبي أثبت أنه غير صالح للجندية بسبب ضعف بصره. فنجاه الله من ذلك والتحق بالشيخ عبد الحميد بن باديس في قسنطينة للدراسة، والتحصيل، فحثه الشيخ على الالتحاق بالزيتونة في تونس لأن مستواه الثقافي كان عالياً، ولكنه اعتذر بالضائقة المالية، ووعده الشيخ بتدبير الإمكانات غير أن الموت عاجلت الشيخ عبد الحميد بن باديس يوم 16 أبريل 1940، فتبخرت أماني الربيع بوشامة وعاد إلى قريته ڤنزات حزيناً ومتألماً من وفاة الشيخ أساساً، وتوقف مشروع الالتحاق بالزيتونة ثانياً، ولكن تأثير الشيخ بن باديس فيه كان قوياً جداً، وبقي فيه طول حياته.

وخلال وجوده بقسنطينة دأب على مساعدة الشيخ بن باديس، في التدريس لبعض المستويات الأولى. وعندما عاد إلى ڤنزات أقام بها سنتين وزيادة، يمارس التعليم والوعظ والإرشاد والإصلاح. وثارت حفيظة الإدارة الاستعمارية

ضد نشاطه واستدعاه حاكم بلدية بوقاعة المختلطة مرتين، وهدده بالنفي إلى الصحراء إذا لم يتوقف عن نشاطه الإصلاحي، ولكنه لم يلتفت إليها ثم أن صديقه المعلم محمد الشريف أحموم أبلغه بأن مدرسة قرية خراطة بحاجة إلى معلم. فانتقل إليها عام 1942، ولحقت به زوجته وأمه وأخته الصغرى في العام الموالي 1943 م.

وكانت مدينة خراطة في هذه الفترة تعج بحركة تنمية واسعة في المجال الاقتصادي مما جعلها قبلة لكثير من الناس التحقوا بها للعمل. من مناطق كثيرة خاصة سطيف، والعلمة، والمسيلة، وبني يعلى، وبجاية وغيرها، وذلك في القطاع الصحي، والجهاز القضائي، وورش الكهرباء ومصلحة المياه، وشق الطرق وغيرها. ومن المشاريع الكبرى التي كانت قائمة آنذاك: بناء سد خراطة، وإنشاء معمل توليد الكهرباء، وإنجاز مشروع حفر نفق للسكة الحديدية، التي تربط سطيف ببجاية، واستغلال المحاجر الموجودة على أطراف القرية.

وزيادة على هذا كانت خراطة نقطة عبور هامة للقوات الأمريكية بين بجاية وسطيف، ومحتشد للأسرى الإيطاليين الذين كانت الإدارة الاستعمارية تسخرهم في المحاجر لكسر الحجارة وتفتيتها. وهكذا شهدت خراطة في هذه الفترة وخلال الحرب العالمية الثانية نهضة اقتصادية، وقفزة في العمل الإصلاحي، بفضل مدرسة جمعية العلماء، واستقرار عدد من الناس ذوي الحس الوطني لم يتوانوا في العمل لإصلاح ذات البين، ونشر العلم والوعي الوطني بين الناس.

ومن المفارقات العجيبة أن السكان في خراطة قبل أحداث 8 ماي 1945، كانوا متعاونين ومتضامنين رغم اختلاف أجناسهم: جزائريين، ونصارى ويهود ويبدو أن محنة الحرب العالمية ألّفت بينهم جميعاً. وكانوا يحتفلون سنوياً في المناسبات العامة، فيخرج الأطفال من مدارسهم المختلفة ويلتقون في ساحة القرية العامة، وينشد أطفال اليهود أناشيدهم، وأطفال النصارى أناشيدهم والأطفال الجزائريون نشيدهم الخاص بهم وهو: شعب الجزائر مسلم وإلى العروبة ينتسب وذلك دون أي حرج، أو عقدة، أو خلفية.

محنة الربيع بوشامة خلال أحداث 8 ماي 1945 م

في صبيحة يوم الثلاثاء 8 ماي 1945، وصلت أخبار مظاهرات سطيف وأحداثها الدامية إلى خراطة، فثار الناس وهاجموا بعض المحلات الأوروبية، وقتلوا عدداً من الأوروبيين، فاتصل السيد محمد أعراب حنوز بالربيع بوشامة وأوضح له بأن الأوروبيين يدبرون مذبحة في المدينة، والأحسن أن نجمع شملنا. ونلجأ إلى قرية آيت موعي، المطلة على المدينة من أعلى، والقريبة من جبال البابور، وننتظر هناك ما سوف تفرزه الأحداث. وفعلاً انتقلوا إلى تلك القرية، وقضوا ليلتهم هناك داخل مدرسة فرنسية كان بها معلم جزائري صديق لهم. وفي اليوم الموالي تدارسوا الأمر وفكروا في أحد حلين: إما التوغل داخل الجبل، أو العودة إلى خراطة، واختاروا في النهاية الحل الثاني، وعادوا إلى خراطة التي يسيطر عليها رجال الدرك، والجيش، القادمون كنجدة من سطيف وبجاية.

وبمجرد وصولهم إلى خراطة ألقت السلطات الاستعمارية القبض على الربيع بوشامة، وفتشت منزله، واقتادته إلى مقر رجال الدرك، ومن هناك اقتادوه إلى مدينة سطيف وتكفل أخوه الحاج رمضان بوشامة الذي عاد لتوه من الحرب بأوروبا بالبحث عنه، وكلف المحامي الصالح مصباح للدفاع عنه، واكتشف أنَ مستوطناً أوروبياً من خراطة يدعى ساكس هو الذي كذب عليه وشهد لدى الدرك بأنه هو الذي كان يتصدر المظاهرة بخراطة، ويحث الناس على الجهاد، ومهاجمة المعمرين الأوروبيين، وكان هذا المستوطن الأوروبي قد تعرض منزله للتخريب، ولم يجد من يكذب عليه سوى الربيع بوشامة المعلم بالمدرسة.

وقد صدرت الأحكام عليه وعلى ثلاثة عشر آخرين بالإعدام، وبالسجن المؤبد مع الأشغال الشاقة على امرأة كانت ضمن هذه المجموعة.

فاستأنف الربيع بوشامة الحكم أمام محكمة قسنطينة، مستغلاً تذبذب شاهد الزور الأوروبي ضده، وتضارب أقواله، ووكل محامياً أوروبياً دافع عنه،

وصدر الحكم بالبراءة فخرج من السجن أواخر شهر فيفري 1946، في حالة من العياء والتعب والشقاء، والتحق بأهله في قنزات.

انتقال الربيع بوشامة إلى الجزائر العاصمة

وفكر ملياً في العمل وقرر الانتقال إلى الجزائر العاصمة وهناك اتصلت به جمعية الهداية بحي العناصر. وطلبت منه العمل بمدرستها كمعلم، واتفق معها في شهر جوان وأمضى عقد العمل الذي باركه الشيخ البشير الإبراهيمي وأوصى الهيئة الإدارية للجمعية بالعناية به، وتوفير ظروف العمل له.

وفي أول شهر جويلية 1946 باشر الشيخ الربيع عمله في المدرسة وأحدث فيها ثورة في أسلوب الدراسة، وبرامجها وفي إقبال الأطفال عليها، وذلك بفضل كفاءته العلمية أولاً، ونشاطه المكثف ثانياً. ولم يكتف بهذا فأحدث درساً أسبوعياً، ودروساً ليلية للشبان والكهول من مختلف الأعمار. وخصص الأجور التي يقدمونها له لميزانية المدرسة، واكتفى فقط بالأجر الشهري المتفق عليه.

إنها تضحية من نوع آخر وقد اعترفت الجمعية للشيخ البشير الإبراهيمي بأن المدرسة كانت ميتة فأحياها الشيخ الربيع بوشامة، ولذلك كافأته جمعية العلماء على هذه الجهود، ورقته، وعنيته مديراً ممتازاً من الدرجة الأولى في سلكها التعليمي خلال العام الدراسي 1947 ـ 1948 م.

ورغم هذه الجهود، وهذا النجاح الجيد لم يستمر الربيع بوشامة في العمل طويلاً بمدرسة الهداية هذه لأن الهيئة الإدارية الجديدة للجمعية المحلية صاحبة المدرسة، انتخب فيها أعضاء جدد ينتمون إلى حزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية الذي كان يسعى هو الآخر للقيام بحركة تعليم حرة تابعة له، ووجد بوشامة نفسه أمام خيارين: أما البقاء في مدرسة الهداية التي سيتقلص فيها نفوذ جمعية العلماء وذلك يتعارض مع تفكيره وقناعاته التي ترى أن إشراف جمعية العلماء على حركة التعليم هو الذي سيضمن لها الاستمرار، والجدية، والتطور،

وأما مغادرة المدرسة، وترك الوظيفة وهو ما فعله. فعينته جمعية العلماء معلماً ومديراً لمدرسة الثبات بالحراش في بداية العام الدراسي 1948 ـ 1949 م. وباشر عمله بجد ونشاط وحيوية وفتح أبواب المدرسة لمئات التلاميذ، وحصل على نتائج جد هامة ومرضية، وأصبح الخريجون من مدرسة الثبات يوجهون إلى الزيتونة في تونس، وإلى معهد عبد الحميد بن باديس في قسنطينة. ورشحت المدرسة فوجاً من تلاميذها للمشاركة في أول دورة للشهادة الابتدائية التي نظمتها جمعية العلماء، في صيف عام 1952 م.

الربيع بوشامة ينتدب لشعبة باريس

وفي شهر أوت من عام 1952 انتدبته جمعية العلماء ليرأس شعبتها المركزية بباريس، على إثر الزيارة التي قام بها الشيخ البشير الإبراهيمي إلى فرنسا في بداية نفس العام قبل أن يرحل إلى المشرق. قطع الربيع بوشامة عطلته الصيفية، والتحق بباريس على أمل أن تتم صلاة عيد الأضحى في مسجدها الجامع تحت إشراف الجمعية من أجل التعريف بها وبأنشطتها المختلفة، وذلك سيسمح لها بتكوين شعب جديدة في باريس وكل أنحاء فرنسا. وجمع الأموال اللازمة لمشاريعها التعليمية وتكثيف الاتصالات مع الجاليات العربية والإسلامية المتواجدة هناك، ومع المثقفين كذلك. وتنظيم المهاجرين الجزائريين، وبث حركة التعليم والوعظ والإرشاد في أوساطهم.

وفعلاً باشر بوشامة نشاطه وتمكن مع رفاقه في تأسيس عدد لا بأس به من النوادي والشعب في باريس وغيرها من المدن الفرنسية الكبرى التي يتواجد فيها المهاجريون الجزائريون. ويبدو أن خصوم الجمعية لم يرتاحوا لعمل بوشامة ونشاطه لأنه نجح في رفع وصاية بعض الأحزاب السياسية الجزائرية خاصة الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، ولذلك بدأوا يتحركون ليثيروا الصعاب أمامه وأمام معاونيه، وأخذ يشعر بالضيق خاصة وأن الدعم الذي كان يتلقاه من الشيخ البشير الإبراهيمي انقطع بعد سفره إلى الشرق العربي. وفي الأخير أنهيت مهمته في باريس قبل أن تمر سنة على التحاقه بها. وعاد إلى الجزائر وإلى إدارة

مدرسة الثبات بالحراش كمدير عادي من الدرجة الثانية وكان قبل ذلك مديراً ممتازاً من الدرجة الأولى، وواصل نشاطه التعليمي بصفة عادية حتى اندلعت الثورة في ليلة أول نوفمبر 1954 م. وبالطبع سوف لن يتخلف عن الركب، ولن يتردد في العمل لدعمها بكل إمكاناته المادية والمعنوية خاصة وأنه كان على معرفة تامة بالعقيد حمودة عميروش يوم أن كان في باريس.

عمل الربيع بوشامة في ثورة أول نوفمبر 1954 م

بدأ الربيع بوشامة اتصالاته بقادة الثورة في الشهور الأولى من اندلاعها خاصة قادة جيش التحرير الوطني، وكان أول اتصال له مع الشهيد العقيد عميروش. وفي ربيع عام 1955 تم ثاني اتصال له معه بعد أن أرسل إليه رسالة مع مبعوث خاص إلى منزله. وفي يوم 13 ماي 1956 الموافق لثاني يوم من عيد الفطر المبارك لعام 1375 هـ توجه بوشامة إلى برج بوعريريج، ثم إلى مسقط رأسه قُنزات ببني يعلى، ومنها إلى قرية قلعة بني عباس في جبال البيبان أين اجتمع بالعقيد عميروش، ولا شك أن الحديث كان على شؤون الثورة خاصة قضايا المصاليين الذين تمركزوا في غابات منطقة بني يعلى التي رحل عنها الجيش الفرنسي. ثم عاد إلى العاصمة، وواصل نشاطه التربوي كعادته.

وفي مطلع عام 1957 غادر العاصمة للاتصال بقادر جيش التحرير في مهمات خاصة لصالح الثورة، ودامت غيبته شهراً كاملاً، ثم عاد إلى منزله، ونشرت الصحف الفرنسية اسمه ولكن محرفاً مما جنبه المتابعة إذ لم تذكر الربيع وإنما ذكرت بوشامة فقط، وبعد مدة قام برحلة إلى سطيف وبعض مدن الشرق الجزائري مستخدماً بطاقته المهنية كمفتش لمدارس جمعية العلماء، ليقضي مصالحه ويؤدي ما أوكل إليه من مهمات لصالح الثورة، قبل أن يعود إلى العاصمة. ليواصل عمله النضالي على مستوى مدينة الجزائر في إطار خلايا جبهة التحرير الوطني.

ونظراً إلى الرقابة الشديدة التي كانت السلطات الاستعمارية تفرضها على نشاطاته، كان دائماً في حالة طوارىء ليلاً ونهاراً. وقد أعدّ له العقيد عميروش

الأوراق ليذهب إلى الخارج تونس مثلاً، ولكن لم يتم ذلك، وكان لا يرغب في الخروج وقال لزوجته ذات مرة عندما اقترحت عليه ذلك، إذا كان كل متابع يخرج إلى الخارج فيمن يبقى هناك لخدمة جيش التحرير والثورة.

استمر الربيع بوشامة في عمله مع الثورة، واتصاله بقادة جيش التحرير طول عامي 1957 و1958، وكانت آخر رسالة توصل بها من العقيد عميروش قبل شهر من اعتقاله في مطلع عام 1959 م. ففي الأسبوع الثاني من شهر جانفي 1959 تمكنت السلطات الاستعمارية من تفكيك شبكة بحي المدينة بالجزائر العاصمة، وتم إلقاء القبض على أكثر من مائة مناضل. وبدأ بوشامة يشعر بالخطر يقترب منه، ثم لما تمكنت من تفكيك شبكة حي سيد امْحَمَّد أصبح ما بد من اعتقاله لأن مناضلي هذه الشبكة لهم صلة به، وسوف يذكرون اسمه بعد التعذيب.

وهكذا وفي صباح يوم 16 جانفي 1959 تم إلقاء القبض على الربيع بوشامة في مدرسة الثبات بالحراش بتهمة تمزيق العلم الفرنسي الذي كان منتصباً وسط ساحة المدرسة، واقتيد إلى مقر قيادة الدرك بحي بلفور في الحراش، واستجوب هناك وأنكر أن يكون هو الذي مزق العلم، فأطلق سراحه وعاد إلى البيت، وعلى الساعة الثانية عشرة ليلاً حضرت الشرطة السرية إلى منزله واعتقلته من جديد وفتشت منزله وحملت معها كل ما وجدته من أوراق وجرائد واقتادته إلى مكان مجهول لمدة ستة أيام عذّب فيها عذاباً شديداً ثم عادوا به إلى منزله في حالة يرثى لها من الجروح والدماء وذلك لمواصلة البحث والتحقيق، وإرهاب أفراد أسرته كذلك، وتفتيش المنزل تفتيشاً دقيقاً.

وبعد أن أنهوا عملهم اقتادوه معهم من جديد، وهي آخر مرة يرى فيها عائلته، واعتقلوه في مكان مجهول تماماً، حتى عن محاميه الأوروبي، الذي ظـل يردد لعائلته بأنه ما يزال رهن التحقيق.

وخلال شهر أبريل 1959 اتصل المحامي بعائلته وأبلغها بأن الربيع بو شامة سيقدم للمحاكمة قريباً وأن المحكمة حددت أجلاً للنظر في قضيته.

وفعلاً فقد تم تحويل بوشامة من يد الشرطة إلى السلطات العسكرية ومنها تسلمه رجال الدرك. ووضعوه في ضيعة بوشي قرب بلدة لربعطاش، وأخذوا يحققون معه من جديد، ويترددون على منزله للتفتيش واستكمال البحث.

وتمكنت أسرته من التعرف على مكان اعتقاله في آخر لحظة عندما وصلتها منه رسالة في بداية شهر ماي ليست بخطه، ولكن أفكارها منه قال لهم فيها أنه بخير، ويسأل عن حالهم. واستناداً إلى رموز هذه الرسالة التي تعرفوا منها على مكان وجوده اتجهت إليه زوجته وصديقه وتلميذه الشيخ محمد بوستة، وهناك قال لهم الحارس بأن جنود الدرك أخذوه صباح اليوم هو والشيخ أحمد، وكان ذلك يوم 14 ماي 1959 وهو اليوم الذي أعلن فيه رجال الدرك عن مقتله ومقتل الشيخ أحمد إمام مسجد بودواو.

ذلك هو شريط حياة الشهيد الشاعر الشيخ الربيع بوشامة، باختصار شديد لخصناه من مقدمة طويلة كتبها ابن أخته الأستاذ الدكتور جمال قنان لديوان شعره الذي جمعه ورتبه، وقدمه للطباعة والنشر منذ 1986، وما زال لم يصدر إلى الآن. ومن هذا الشريط يتضح أن الربيع بوشامة مجاهد الفكر، والقلم، والتربية والتعليم والوعظ والإرشاد قبل ثورة 1954، ومجاهد النضال السياسي والعسكري خلال هذه الثورة إلى يوم استشهاده في شهر ماي 1959، أنه رجل العلم والثقافة، والسياسة وشاعر مفلق عبر بشعره عن خلجات هذا الشعب، وصور مآسيه مع الاستعمار وبطولاته في الجهاد والمقاومة، ووضع أناشيد في أغراض شتى. وفيما يلي بعض من شعره كنماذج فقط، في انتظار صدور ديوانه الشعري الذي ينتظره الجميع خاصة معشر الشعراء والكتاب والقصاصين والمؤرخين فقال في حق شهرماي:

لي فيك يا (ماي) النوائب والردى ذكـرى ستبقـى طيلـة الأعـوام

فقدان خير أب، وأكرم صحبة وجحيم سجن حف بالإعدام

فـي ذمـة التـاريـخ تسعـة أشهـر قضيتهـا فـي غـزوة وصـدام

قـابلتهـا بشجـاعـة جبـارة وتجلـد يسطـو علـى الآلام

وخرجت منها حر نفس محمداً اعتز ـ جهد الظافر الغنام
يا (ماي) قد ظلموك حقاً مثلما ظلموا الضعاف، وشوهوك بذام
وكسوك ثوب المجرمين ـ إهانة مقصودة لسنائك البسام
ما كنت أهلاً للفجائع والأذى لولا هوى في دولة الأقوام
ورموك من بين الشهور بوصمة شوهاء تبقى سبة الأعوام
عجباً لوجهك كيف عاد لحاله من بعد أحداث عرتك جسام
هلا غربت عن الزمان وأهله فتريح هذا الناس من إيلام
أصبحت رمز الفاجعات بذا الحمى تبدو بهيماً مفزع الأظلام
وتروح ذكرى السوء تحمل قرحة مهما تعد تشرق بجرح دام
يا (ماي) مالك واجماً لم تنتقم أو ما سقاك الظلم أسوأ جام؟
هذا حرامك بالدما مسفوكة قد عج بالأرواح والأجسام
فارفع إلى مولاك شكوى ضارع يبرأ من الحكام والأحكام
واسأل يد الجبار عاجل نقمة للظالم المستهتر الهدام
يا (ماي) أنا في انتظار حكومة فمتى يساق الظلم للإعدام؟

وكما تجاوب مع الأحداث الوطنية، تجاوب وتفاعل مع أحداث الأشقاء في الخارج، ورثى شهيد القسطل الفلسطيني عبد القادر الحسيني، وقال:

حي ذاك الشهيد في الميدان باسم الثغر هادىء الوجدان
يرفع الطرف للسماء شكوراً نعمة الموت من حمى الأوطان
والدماء الحمراء، تدفق نوراً وحياة مشبوبة الألوان
بطل (القسطل) الشهيد المفدى حزت مجداً مخلداً في الزمان
أن تعالجك في الجهاد المنايا قد بلغت المدى على الأقران
رح شهيداً مقدس الروح شهماً مشرق الوجه عاطر الأكفان
أيها العرب أمة المجد والعلـ ـياء ماذا ترجون غير التفاني؟
أنه الموت في الكرامة والعـ ـز، أو العيش في الشقا والهوان
كيف ترضون عيش أمن وخير وفلسطين في الجحيم تعاني
فانهضوا للفدا ولبوا سراعاً داعي الله من سما الأكوان

لا رعـــى الله أنفســـاً تتملـــى عيشة الذل في صفوف الغواني

وعندما تم إعلان استقلال المملكة الليبية عام 1952 م، حياها، وحي الشعب الليبي والأبطال الليبيين بقصيدة طويلة منها:

وأسعد بتحرير أخوان بني رحم موصولة، أيدتها ذمة الجار
أن العروبة في أي البلاد نمت روح مـوحـدة الآمـال والـدار
حييت يا ليبيا الشماء من وطن معـزز سيـد الأبطـال مغـوار
وعشت خفاقة الأعلام زاهرة ترعاك روح الهدى في ذمة الباري

يا شباب هيا للعلاء...

«مهداة إلى أخوان الصفاء والوفاء: وفي طليعتهم السيد الطاهر سي بشير[1]، والشيخ عبد الحفيظ أمقران، والشيخ البشير إيزمران الذي له فضل الإيحاء والبعث على نظمها، بكتابته الأخوية المؤثرة وأدبة اللطيف الممتع، ثم إلى سائر الشباب الناهض من أبناء العروبة والإسلام».

حـي بـاسـم الأخـوان الصفـاء وارع فيهـم أبـداً عهـد الـوفـاء
واعتــزز منهــم بــذكــر نخبــة أهــل فضــل وطمــوح وذكــاء
رأسهــم عبـد الحفيـظ ظـاهـر وبشيـر المجـد فخـر الأصفيـاء
ثم (صبحي)[2]ذلك الشهم السري آيـــة الله نبـــوغـــاً وذكـــاء
من بني (لبنان) عنوان الفدى وحمى الأعلام والصيد الوضـاء
وأشـــد ألحـــان وداد عـــذبـــة تنعش النفس وتسمو بالإخاء
واسقنـي منهـا كـؤوسـاً ثـرة تتـوالـى فـي صبـاح ومسـاء
صـرفـة ميمـونـة أعقـابهـا ليـس فيهـا مـن نفـاق أو ريـاء
إنهـا سلـواي فـي دنيـا هـوى وهمـوم، وهـي طبـي والشفـاء

---

(1) الطاهر سي بشير هو خال العميد العربي سي لحسن، والبشير أيزمران، وعبد الحفيظ أمقران، كانوا كلهم بفرنسا مع الشيخ الربيع بوشامة.

(2) الدكتور صبحي الصالح من طرابلس بلبنان. كانت له صلات متينة بالمهاجرين الجزائريين في باريس. اغتالته الأيدي الأثيمة في لبنان خلال الحرب الأهلية.

وحيـــاة لشعــــوري وسنــــا　　لضميــــري، وســـلاح للغـــداء

* * *

فتيــة المجـــد رعـــى الله يـــداً　　جمعتنـــا حـــول وردّ وصفـــاء
وأتـــاحـــت لكلينـــا فـــرصـــاً　　طيبـــات للتـــآخـــي والـــولاء
ولسعـــي مـــا جـــد مشتـــرك　　للمعـــالـــي والأمـــانـــي والسنـــاء
حيـث جـاهـدنـا بـأعلى همـة　　وبنينـــا للحمـــى خيـــر البنـــاء
كـم هـزنـا مـن نفـوس نـوم　　وسقينـا مـن حشـاشـات ظمـاء
وبعثنـــا مـــن شعـــور طيـــب　　ونشـــرنـــا مـــن حيـــاة وضيـــاء
ورفعنـــا مـــن طمـــوح صـــادق　　وأثـــرنـــا مـــن حمـــاس وإبـــاء
ومـــلأنـــا الجـــوّ رَعـــداً قـــاصفـــاً　　مـــوقطـــاً روح العـــلا والكبـــريـــاء
وقـــد تحطنـــا وإبلينـــا بـــلا　　حسناً من غير شكوى أو وناء
وأقمتنـا سمعـة حسنـى غـدت　　مضـرب الأمثـال عنـد العقـلاء
ونـــوينـــا مـــن المـــآتـــي كلهـــا　　ما نوى ذو همة سامي الرجاء
وأردنـــا الله مـــن دون الـــورى　　ولـــدى الله لنـــا أوفـــى الجـــزاء
سل حمى باريس أرضاً وسما　　عـــن هـــدانـــا وساعينا الوضاء
واسأل الأحرار من أهل الحجى　　هـــل وفينـــا وظفـــرنـــا بـــالـــرضـــاء
وأقمنـــا مثلمـــا كنـــا علـــى　　شـــرعـــة الله، وطهـــر الأتقيـــاء
كلهـــم يشهـــد بـــالحـــق لنـــا　　أننـــا أهـــل المعـــالـــي والـــوفـــاء
همنـــا الـــوثـــاب تحقيـــق المنـــى　　وفدى الأوطان من قيد العناء

* * *

يـــا شبـــابـــاً عـــاهـــدوا الله علـــى　　خـــدمـــة الشعـــب وحـــرب الألداء
اسمعـــوا صـــوت جـــريـــج مـــرهـــق　　واستجيبـــوا بـــاهتمـــام للنـــداء
إن أوطـــانكـــم الشـــم بكـــت　　واستغـــاثـــت: يـــا لقـــوم للفـــداء
يـــالقـــوم لصغـــار رضـــع　　ونســـاء ورجـــال مـــن الـــدمـــاء
وشبـــاب ضيـــع قـــد حـــرمـــوا　　فـــي حمـــاهـــم كـــل خيـــر وهنـــاء
حطّمـــوا الأغـــلال عنـــا وافتـــدوا　　أمـــــة ردت عبيـــــداً وأمـــــاء

وأعــزوا كــل وجــه كــاسـف	سـامـه الـذل وألـوان الشقـاء
وخـذوا الـرّايـة الحمـراء لهـا	وارفعـوهـا فـوق هـام الشهـداء
لا تهابوا الموت في سبيل العلا	إنمـا المـوت حيـاة العظمـاء
ذاك صوت الحق يدعو في السما	يـا شبـاب العـرب هيـا للعـلاء
ابـذل الأرواح والمـال تعـش	بـالمنـى والعـز عيـش السعـداء

الجزائر في 27 ـ 08 ـ 1954 م

الربيع بوشامة

الشيخ محمد أَكْلِي أُوحَمُّودَهْ زَابُورِي

من مواليد قرية بوفنزار بالجعافرة في مطلع هذا القرن، وكان أبوه الشيخ محمد أرزقي أُوحَمُّودَهْ حافظاً للقرآن الكريم، وعلم في قريته هذه أكثر من أربعين عاماً وعليه حفظ ابنه هذا القرآن الكريم، وتعلم العلوم الدينية الفقهية، والعربية، واللغوية، في زوايا المنطقة، وتضلع خاصة في اللغة والأدب، واعتمد على التكوين الذاتي.

وبعد ذلك شرع كغيره في التعليم بالقرى والمداشر، فعلم في قرية بوحمزة بعرش بني عيدل عدة سنوات، ثم انتقل إلى قرية مغنية على الحدود الجزائرية المغربية، وتصدى للتعليم هناك بضع سنين، والتف حوله عدد من الطلاب، فأحدث نهضة علمية نشطة، وكان من ضمن من علم عنده في مدرسته الأستاذ المرحوم الدكتور محمد مصايف أستاذ الأدب العربي في جامعة الجزائر، وتعرض للمضايقة من طرق السلطات الاستعمارية فأشار عليه بعض المخلصين له بأن يرحل قبل أن يتعرض لما لا تحمد عقباه، فانتقل إلى مدينة وهران، واحتضنه حزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية وساعده على إنشاء نواة لمدرسة في شرق المدينة الذي يدعى بقامبيطة، ثم أسس له «مدرسة الحياة» في حي كوربي الذي يعرف اليوم بالصاديقية وذلك بعد الحرب العالمية الثانية، وزرته بها حوالي عام 1947 أإو 1948 يوم جمعة، وكان يستعد لصلاة الجمعة لأن المدرسة بها مسجد للصلاة تؤدي فيه كذلك صلاة الجمعة، وعرض

علي البقاء لتناول الفطور معه بعد الصلاة فاعتذرت.

وقد تطورت هذه المدرسة وتوسعت، وشاركت في النهضة الثقافية وكان من ضمن من علم بها تحت إشرافه، الشيخ عبد القادر الزبير مفتش الشؤون الدينية الذي علم بها أربع سنوات كاملة لغاية 1955، وقد حكى لي بنفسه عام 1986 بأن الشيخ محمد أكلي كان يخرج إلى واحات الجنوب كالبيض، وسعيدة، وعين الصفراء، ومشرية، ليحضر الطلبة الذين يدرسون بالمدرسة ويجمع التبرعات التي تساعد على إيوائهم، وتموينهم، وذكر لي كذلك بأن زوجة الشيخ محمد أكلي كانت تقوم بإعداد الطعام بنفسها من طلوع الشمس إلى الغسق لهؤلاء الطلبة.

وقد أشاد الشيخ الزبير، والشيخ المحامي محمد فرحات المعسكري، بفضله في هذا الميدان، ويحكي الأستاذ محمد بونوة أنه وأخوان له من عين الصفراء، كانوا بمثابة أبناء له يدخلون إلى بيته ويخرجون، ويتناولون غذاءهم داخل المنزل بين أطفاله، ولا شك أن دعم الحركة الوطنية له مما ساعده على النجاح في مدينة طغت فيها وتجبرت الجالية الأوروبية خاصة العناصر الإسبانية منها.

وقد بقي يجاهد ويكافح في هذا الميدان حتى عام 1957، ثم غادر المدرسة لحي آخر بعد أن هدد بالقتل، وتعب كغيره وفي عام 1962 انتقل إلى مدينة الجزائر وحصل على أقدمية وعين أستاذاً في ثانوية عمارة رشيد حتى تقاعد، وحج، وتوفي عام 1987 م.

وقد زارتني أسرته خلال عام 1988 زوجته، وبنتان، وابن، إلى منزلي وحكوا لي جانباً من حياته، وذكرت لي زوجته بأن له ديواناً شعرياً يحوي مجموعة من القصائد في مختلف الأغراض، وعدة تقييدات، ووعدتني بإرسالها للاطلاع عليها، ولم يحصل ذلك بعد. وحدثني ابن له طبيب، بأنه سيعمل على نشرها، وذكر لي الشيخ المحامي المعسكري محمد فرحات بأن الشيخ محمد أكلي فصيح اللسان عندما يخطب له قدرة على التأثير على مخاطبيه، متطلع في العلوم العربية والمواد الفقهية، متفتح، وله مواقف هامة في ميدان الاجتهاد قل أن توجد عند غيره.

الشهيد الشيخ جمعة أُويَخلَف المَايِني

من مواليد قرية إلماين، ووالده يدعى سي محمد السعيد أُويَخْلَفْ وأعرفهما جيداً، وكثيراً ما زارنا إلى منزلنا، وكثيراً ما زرتهما إلى منزلهما، حفظ الشيخ جمعة القرآن الكريم في مسقط رأسه، والتحق بمعهد ثاموقرة، ودرس هناك على الأستاذ الشيخ الطاهر، وحاول أن يلتحق بالزيتونة في تونس ولكن لم يوفق لظروف عائلية، ولكبره في السن الذي لا يسمح له بالانخراط رسمياً في سلك التعليم الرسمي.

واعتمد على التكوين الشخصي، وتضلع في الفقهيات، وعلوم اللغة والأدب، وفي مادة الفرائض والتركات، وعلَّم في عدة قرى وانخرط في صفوف الثورة منذ البداية، فعينته معلماً في قرية ثُودَّارْ ببني عيدل، وهناك استشهد في غار بعد أن هجم عليه وعلى من معه الجنود الفرنسيون، وقَذَفُوهُمْ بالنيران، وكان المجاهد عبد الحفيظ أمقران العشاشي، المحافظ السياسي، والمسؤول عن التعليم والأوقاف في الولاية هو الذي عينه للتعليم في هذه القرية كما ذكر لي شخصياً، وقد استشهد خلال عام 1957 أو الذي بعده.

الشيخ الطاهر آيت علجت المقراوي

من مواليد قرية ثاموقرة ببني عيدل عام 1917، حفظ القرآن الكريم في مسقط رأسه بزاوية جده الشيخ يحيى العيدلي، ودرس هناك مبادىء العلوم العربية، واللغوية، ثم رحل إلى زاوية بلحملاوي في العثمانية قرب قسنطينة، ودرس هناك حتى تضلع خاصة في الفقه وعلوم اللغة والأدب، والرياضيات وحضر بعض الدروس على الشيخ باديس في قسنطينة، ثم عاد إلى ثاموقرة، وتفرغ هناك للتعليم والتدرسي والإفتاء، وأقبل عليه طلاب العلم والمعرفة من كل الجهات ما بين بجاية على البحر، والهضاب العليا في الداخل ومن حوض الصومام إلى جبال البابور، فأحدث ثورة في ميدان التربية والتعليم، وأصبح طلابه وتلاميذه يلتحقون أفواجاً بجامع الزيتونة في تونس، للدراسة والتحصيل

ويتفوقون، لأن نظام الدراسة الذي يطبقه في مَعَمْرَةِ ثَاموقثرة كان متطوراً يتماشى مع النظام الزيتوني في تونس، ومع نظام معهد عبد الحميد بن باديس، ومعهد الكتانية، بقسنطينة، فتخرج الكثير من طلبته، وتصدوا للتربية والتعليم في كل قرى المنطقة، وشاركوا في الجهاد الثقافي مشاركة فعالة ومؤثرة.

وقد بدأت هذه النهضة الثقافية بمعهد ثاموقرة قبل الحرب العالمية الثانية، واستمرت حتى عام 1956، ثم التحق الشيخ الطاهر وطلابه، بالثورة وشاركوا كلهم فيها، واستشهد الكثير منهم، وفي عام 1957 التحق الشيخ الطاهر بتونس، وعين عضواً في مكتب جبهة التحرير الوطني بطرابلس الغرب لغاية 1962[1]، ثم عاد إلى الجزائر، وعين أستاذاً في إحدى ثانوية الجزائر حتى تقاعد، وما يزال حياً يمارس دروس الوعظ والإرشاد في مسجد حيدرة، ويتمتع بسمعة كبيرة جداً في أوساط سكان المنطقة، ولدى كل المثقفين ومن مزاياه ومآثره أنه يتولى فصل الخصومات بين الناس، وينقذهم من المحاكم الاستعمارية التي كانت تمتص أموالهم، وتضيع لهم أوقاتهم وكان في هذا مثل الوالد، والشيخ المولود الحافظي، والشيخ الهاشمي بن الطيب، والشيخ محمد وَعْلِيَ وَالطَّيب مَدَاغْ وآخرين.

وقد اتصلت به مراراً، ورجوته أن يكتب لنا سيرته بخط يده كما فعل آخرون فلم يستجب. ولعله تحاشى الحديث عن نفسه.

الشيخ حمزة كسوري الورتلاني

من مواليد قرية الجمعة ببني ورتلان التي يعقد فيه سوق أسبوعي حتى اليوم يدعى بسوق الجمعة عرفته بتونس حيث كان يدرس هناك وحصل على شهادة التحصيل في بداية الخمسينات، وعاد إلى مسقط رأسه ليمارس التدريس

(1) عندما غادرت القاهرة إلى تونس في شهر جوان أو جويلية ١٩٦٢. مررت بطرابلس الغرب واتصلت به في مكتب جبهة التحرير الوطني وضيفني هو ورئيس المكتب المرحوم أحمد بودة. وبقيت هناك ثمانية أيام.

في مدرسة القرية نفسها التابعة لجمعية العلماء، وكان من الأوائل الذين حصلوا على هذه الشهادة بالمنطقة من الزيتونة، أما أخوه محمد فقد واصل دراسته بعده، ثم أرسل مع بعثة جمعية العلماء إلى مصر، وتخرج من كلية أصول الدين، واشتغل في مكتب جبهة التحرير بالقاهرة حتى عام 1960 ثم نقل إلى مكتب الجبهة ببغداد حتى عام 1964 م. ثم دخل إلى الجزائر.

وعندما اندلعت ثورة أول نوفمبر 1954 وشرع الجيش الفرنسي في قذف قرى المنطقة فر الشيخ حمزة، والتجأ إلى قريتنا: أمزرراق، وبقي بها لاجئاً طوال عام 1956، والنصف الأول من 1957، وعندما هجر سكان القرية هاجر معهم إلى ثاوريرث نتيزي عيذل، ثم إلى أولاد سيدي يذير، وعد من أفراد القرية، وخصصت له حجرة في زاوية بالقرية وتولى السكان المهاجرون تموينه، ووجد نوعاً من الحماية بفصل رجل من الحركة في بلده بني ورثلان يدعى: جَمْعَة أَكْسَاسْ، كان مجنداً ضمن الحركة في قرية إلماين المجاورة لأولاد سيدي يذير، فغطى عليه، وحال دون معرفة الضباط الفرنسيين لحقيقة أمره. وهذا الحركي يثنى عليه كل سكان المنطقة لمواقفه المشرفة بحيث أنقذ الكثير من العذاب، ونجى كثيرين من مصائب الجيش الفرنسي، بحسن نصائحه، وملاطفته، وحسن سياسته ودفاعه.

وعندما نقل هذا الحركي من إلماين، وشى بالشيخ حمزة حركي آخر من قرية أقلقال قرب إلماين، يدعى إبراهيم أُوقَاضَرْ إلى السلطات العسكرية، وزعم لضباط المركز بأنه كان قاضياً للثورة يحاكم الخونة والجواسيس، فاعتقله ذلك الضابط في الحال وسلط عليه العذاب الأليم عدة أسابيع، ثم رماه في حفرة كبيرة معدة للتعذيب، بنى عليها برج حراسة، وترك هناك يتبول عليه الجنود، ويرمون القاذورات عليه، للبرد، والشر، والعطش، ومرة على مرة يخرج من الحفرة، ويمسك الضابط عوداً طويلاً في طرفه موسى الحلاقة، ويضربه به على أجزاء جسمه ليسيل دماءه.

لقد عذب الشيخ حمزة في هذه الحفرة عذاباً أليماً، ولم يكن أحد يتصور

أنه سيبقى حياً، ولكن الأرواح بيد الله على أي حال، وحكى لي هذه القصة ابن العم أَبْعَازِّي مَحَمَّدْ الذي شهد بنفسه الحدث. وعندما سمع حركة بلاده بني ورثلان، بخبره، احتجوا لدى الضابط الفرنسي هناك، وقالوا له أما أن يأمر بإحضاره أو يستقيلون من عملهم بصفة جماعية وأكدوا له بأن هذا الرجل من بلادهم، وإذا استوجب التعذيب والعقاب، فمركز بـلادهم أولى بذلك فرضخ الضابط للأمر الواقع وقادهم جميعاً إلى مركز بني حافظ الذي يحكم ضابطه في معسكر إلماين، فأعطى لهم ورقة إلى ذلك الضابط ليسلمه إليهم، فذهبوا إليه وأخذوه إلى بلاده بني ورثلان، ولم يطل الأمر حتى عجل الله بالفرج، واسترجعت البلاد استقلالها، وشفي الشيخ حمزة، وعوفي، فتصدى للتدريس والتعليم، والإمامة، والخطابة في جامع قرية سوق الجمعة. وقد زرت قرية بني ورثلان يومي 12و13 مارس1989 بمناسبة الذكرى الثلاثين لوفاة العالم الفاضل الشيخ الفضيل الورتلاني، والتقيت به وجلست معه. وقد تقدم به السن، وأصبح لا يطيق الحوار والمناقشة، ولا يقبل رأي غيره. وقد توفي الشيخ حمزة كسورى حوالي عام 1992 م.

الشيخ الشريف عديس حمودة

من مواليد قرية أغيل أورير بسفح جبل ثفرق وأعشابو آوفله (العلوى). حفظ القرآن في مسقط رأسه بمسجد القرية، ودرس في معمرة آمالو، بواد الصومام، وفي زاوية الوالد بالجعافرة على الشيخ علي البودليمي المسيلي، الذي يكن له تقديراً كبيراً ويزوره إلى مقر سكناه بتلمسان مرة على مرة إلى أن توفي عام 1988.

تضلع الشيخ الشريف في مادة الفقه، وعلوم قواعد اللغة العربية، كالنحو والصرف، وتصدى للتعليم في القرى قبل الثورة وخلالها ابتداء من الحرب العالمية الثانية.

وبعد استرجاع الاستقلال الوطني عام 1962، حصل على الأقدمية وعين

مدرساً في مدينة برج بوعريريج إلى تقاعده في بداية الثمانينات وتفرغ لتكوين الأئمة والإطارات الدينية، بتعاقد مع وزارة الشؤون الدينية، وهو كفوء لذلك دمث الأخلاق، طيب، ومتواضع، ويعتبر أحد تلاميذ الوالد، وثيق الصلة به طوال حياته، مد الله في عمره، وأعانه على أداء الدور والرسالة الدينية التربوية التي يقوم بها لصالح الأمة، وقد توفي الشيخ الشريف حمودة عديس عام 1992 م عن عمر طويل قضاه كله في التربية والتعليم.

الشيخ بلقاسم البوجليلي

من مواليد قرية بوجليل بجبال بني عباس، في جبال البيبان، في أوائل القرن الماضي وتوفي عام 1898 م، ولم يلحق القرن الحالي، ويوافق ذلك عام 1316 هـ. حفظ القرآن الكريم على والده في مسقط رأسه ثم التحق بزاوية الشيخ عبد الرحمن اليلولي في جبال جرجرة، ودرس مختلف العلوم والمعارف العربية الإسلامية الدينية واللغوية على المشائخ التالين: العربي الأخداشي، ومحمد الطاهر الجنادي خريج جامع الزيتونة بتونس، ومحمد بن علي التقابي، ومحمد أُوبُورَاشَدْ الألمياني، وأدرك بالزاوية الشيخ محمد بن يحيى اليراثني، وبعد تخرجه من الزاوية تفرغ للتدريس بها مدة سنة، ثم أخذ الطريقة الصوفية على الشيخ محمد أمزيان بن علي الحداد، وأسس لنفسه زاوية في بوجليل، وعكف فيها على التعليم والتدريس، وتحفيظ القرآن الكريم، للكبار، والصغار، ومن المواد التي كان يدرسها: النحو، والفقه، والأصول، والفرائض، والتوحيد، والمنطق، والحساب، والتجويد، وعلم القراءات، وألف في عدة أغراض خاصة، النحو، والقراءات، ومن مؤلفاته:

1 ـ التبصرة في القراءات العشرة،

2 ـ معرب الأجرومية،

3 ـ إعراب المبنيات،

4 ـ نظم أرجوزة في التجويد جمع فيها تقاييد للشيخ محمد بن عنتر

البتروني، وهو أحد الشيوخ المبرزين للطريقة الرحمانية له تلاميذ ومريدون عديدون أخذوا عنه أو عن نوابه، ومقدميه.

الشيخ عبد الحفيظ أمقران الحسني

لقد طلبنا منه أن يسجل لنا ملخصاً عن حياته فاستجاب مشكوراً، وأرسل إلينا النبذة التالية:

من مواليد 1926 بقرية بني عشاش، بلدية عين لقراج، دائرة بني ورتلان، وجده الأعلى التاسع هو سيدي أحمد الشريف الحسني نجل سيدي علي البكاء البجائي كما ورد في كتاب «الرحلة الورتلانية» لصاحبها سيدي الحسين الورتلاني[1].

ويوجد ضريح سيدي أحمد الشريف (من القرن العاشر الهجري) على بعد ثلاث كيلومترات جنوب غربي قرية بني عشاش، وكانت زاويته تأوي ما لا يقل عن خمسمائة طالب في وقته، يتلون كتاب الله ويتدارسون العلوم الدينية[2].

حفظ السيد عبد الحفيظ أمقران القرآن بمسقط رأسه، ولم يتجاوز اثنتي عشرة سنة على جده من أمه وبعض شيوخ الناحية، كما تعلم مبادىء العلوم على ابن عمه الشيخ محمد أمقران، وأساتذة آخرين، كالشيخ المولود الحافظي الأزهري، والشيخ عبدالله الشلحابي، ثم انتقل إلى مدينة سطيف سنة 1942 لمواصلة التعليم الثانوي الحر على مجموعة من الأساتذة أمثال: الشيخ رابح مدور، ولا يزال حياً، والشهيدين البشير الريغي، وآمحمد عادل الزيتوني، والمرحوم الشيخ الصادق حماني، والشيخ محمد وعلي، والشيخ حسونة، وهؤلاء جميعاً، كانوا قائمين بهذا التعليم كتعويض عن رائد النهضة الشيخ عبد الحميد بن باديس بعد وفاته في 1940، مثل قيام الشهيد الشيخ العربي التبسي

(1) أنظر ص 73 وص 603 من المرحلة المذكورة، ويوجد ضريح سيدي أحمد الشريف على بعد ثلاث كيلومتر جُنوب غرب قرية بني عشاش.
(2) نفس المصدر.

بنفس التعليم في مدينة تبسة. واصل السيد عبد الحفيظ تعلمه حتى سنة 1945، حينما استعد للالتحاق بجامع الزيتونة بتونس، فإذا بحوادث 8 ماي من نفس السنة تحول بينه وبين هذه الأمنية، وكاد أن يذهب ضحية الأحداث بمدينة سطيف لولا لطف الله، وكـان متصـلاً بالكشافة الإسلامية فيها، حيث أنه كان في نفس الوقت من أصغر الطلبة. وهذا التعليم الحر كله كان يتم بمسجد المحطة في مدينة سطيف. ثم عمل معلماً بمدرسة قرية بني عشاش سنة 1946، وبعدها انتقل إلى فرنسا، باريس، أواخر سنة 1948، وسعى في جمع التبرعات لمعهد بن باديس بقسنطينة بعد إنشائه، وكان هذا سبباً في تلقيه رسائل شكر وثناء من مديره، المرحوم العربي التبسي، ثم من رئيس جمعية العلماء الشيخ البشير الإبراهيمي، يحثانه على بث نشاط الجمعية وتجديد الشعبة المركزية بباريس، وهو ما وقع فعلاً، حيث عين كاتباً عاماً لها، وعززتها الجمعية بإرسال الشهيد الربيع بوشامة الذي ترأس هذه الشعبة المركزية. فانتعشت الحركة الإصلاحية وقويت الروح الوطنية في الجالية الجزائرية، حتى أعادوا لها تلك النهضة المعروفة أيام الأستاذ المرحوم الشيخ الفضيل الورتلاني قبل الحرب العالمية الثانية.

ثم عاد عبد الحفيظ إلى أرض الوطن، وعمل مديراً لِمدرسة برباشة بحوض الصومام لمدة سنتين، وبعدها، عاد إلى باريس سنة 1953 وفي هذه المرحلة، تعرف بالمناضل اعميروش آيت حمودة، وكانا يجتمعان في اطار الشعبة المركزية للجمعية. ولما حلت سنة 1954، واستفحل الخلاف السياسي بين مناضلي حركة الانتصار، كان اعميروش وعبد الحفيظ أمقران، وخمسة آخرون من بين المناضلين الذين كوّنوا في سرية تامة أول خلية للجنة الثورية للوحدة والعمل في شهر ماي 1954.

ثم عاد الأستاذ عبد الحفيظ إلى أرض الوطن. وإلى نفس المدرسة ببرباشة، في انتظار تفجير الثورة المسلحة، بعد توديع أخيه في النضال والجهاد الشهيد العقيد اعمبروش. وفور اندلاعها في غرة نوفمبر 1954 وتعيين الشهيد العقيد اعميروش مسؤولاً وقائداً للثورة بحوض الصومام، التحق الأستاذ عبد

الحفيظ بمعاقل الثورة مجاهداً، فمحافظاً سياسياً، فضابطاً لجيش التحرير الوطني منذ مؤتمر الصومام في 20 أوت 1956 في مستوى الولاية الثالثة، وهو من المعطوبين الكبار في ثورة التحرير، حيث أصيبت بجراحات بليغة سنة 1958.

وبعد استرجاع الاستقلال الوطني في 1962، تقلد عدة مناصب سياسية وإدارية في المستوى الوطني، وساهم بصفة فعالة في الحياة الثقافية بالمحاضرات والمقالات ودروس الوعظ والإرشاد في المساجد والإذاعة الوطنية، كما شارك في جميع الملتقيات لكتابة تاريخ الثورة التحريرية في إطار منظمة المجاهدين، ولا يزال يعمل في هذين الحقلين الثقافي والتاريخي إلى اليوم، وهو مدير للمركز الثقافي الإسلامي بعاصمة الوطن منذ 1984 تحت وصاية وزارة الشؤون الدينية.

نسأل الله التوفيق وحسن الخاتمة

الشيخ موسى الأحمدي نويوات بقلمه[1]

* موسى الأحمدي نويوات عُرف في الأوساط الأدبية (بموسى الأحمدي).
* ولد عام 1320 هـ ـ 1903 م بقرية الطبوشة بلدية أولاد عَدِي لَقباله ولاية المسيلة (المحمدية).
* قرأ القرآن بجامع الصحابي عقبة بن نافع (ض). ثم ببرج الغدير وبه قرأ مبادىء اللغة العربية والفقه والتوحيد وانتقل إلى قسنطينة فتتلمذ على الإمام عبد الحميد بن باديس (رحمه الله) عام 1925 م ـ 1926 م ثم التحق بجامع الزيتونة بتونس ومكتبه من عام 1927 م ـ 1930 م، وأجازه الشيخ عثمان بن المكي التوزري على عادة القدامى في إعطاء الإجازات.
* رجع إلى المسيلة وباشر التعليم المسجدي، والمدرسي بقلعة بني حماد ثم ببرج الغدير ثم بالقلعة العباسية ثم ببرج بوعريريج معلماً فمديراً 1930 م إلى

(1) طلبنا منه في رسالة أن يكتب إلينا موجزاً عن حياته فأرسل إلينا هذه النبذة مع مقتطفات من أشعاره.

1982 م فاستقال بمحض إرادته.

* شارك في كل النشاطات في جمعية العلماء بلسانه وقلمه.

* نشر عدة مقالات وقصائد وبحوث في مجلتي الحضارة الإسلامية، والثقافة السوريتين، والشهاب والثقافة الجزائريتين. وفي الصحف: النجاح والبلاغ والمنتقد والبصائر والشُّعْلَة والنصر والشعب والمساء والسلام والعقيدة.

* دواوينه: له ديوانان: أحدهما بالشعر الفصيح الموزون، والآخر بالشعر الشعبي الملحون.

* نال جائزتين: إحداهما في مسابقة رمضان مُنِحَ تذكرة في الطائرة ذهاباً وإياباً إلى الأماكن المقدسة، والثانية من رئيس الجمهورية تقديراً لأعماله ومؤلفاته.

* بَحْثٌ صَوَّبَ فيه ما أخطأ فيه النحاة وأصحاب الشواهد النحوية في إعراب بيت لجرير: لَمْ تَتَلَفَّعْ بِفَضْلِ مِئْزَرِهَا البيتَ، وما أخطأ فيه صَاحِبُ القاموس في إعراب (جابان)، وما أخطأ فيه الدسوقي في حاشيته على شرح المختصر لسعد الدين التفتزاني على متن التلخيص في بيتين للحرير كان البناء فيهماأكثر من قافيتين نسب الأبيات إلى غير بحرها.

* مؤلفاته: المتوسط الكافي، في علمي العَروض والقوافي في طبعته الثالثة، معجم الأفعال المتعدية بحرف في طبعته الثالثة، المحادثة العربية في طبعتها الثالثة، كشف النقاب، عن تمارين اللباب في الفرائض والحساب، شرح الأسئلة الرمضانية، كتاب طرائف وَمُلَح، كتاب الألغاز المطالعة العربية (خ).

* كتب للأطفال: 13 قصة بالصور من تراث جزائري: نُشِرَ منها: ثلاثةٌ بِبَارِيسَ، وأربعة بالجزائر. والباقية تنتظر النشر.

* له في مجال النشاط: مناظرة بين العلم والجهل، ومناظرة بين غني وفقير، وحِوار شعري بين معلم وزملائه، ومحاورة بين الخليفة أبي جعفر المنصور والشعراء الثلاثة، ومسرحية بطلها أبو محجن الثقفي.

* عنوانه: شارع (ن) 12 هكتار برج بوعريريج ـ الجزائر ـ الجمهورية الجزائرية.

(نَحْنُ شُمُوسُ سَمَاكِ)[1]

بقلم: (موسى الأحمدي نويوات)

شَبَابَ ٱلْجَزَائِرِ كُنَّ ذَا ثَبَاتْ ... فَأَنْتَ ٱلْمُعَدُّ لِكَسْبِ ٱلْحَيَاةْ
وَأَنْتَ ٱلَّذِي بِكَ نَيْلُ ٱلْمُنَى ... وَأَنْتَ ٱلَّذِي بِكَ لَمُّ ٱلشَّتَاتْ
وأَنْتَ ٱلَّذِي عِشْتَ تَحْمِي ٱلْحِمَى ... وَتَدْفَعُ عَنْهُ سِهَامَ ٱلْعُدَاةْ
فَكُنْ لِلْجَزَائِرِ بَانِي عُلاَهَا ... وَحَامِي حِمَاهَا مِنَ ٱلْمُوبِقَاتْ
فَكَمْ قَدْ أَفَادَتْكَ مِنْ نِعْمَةٍ ... وَكَمْ قَدْ وَقَتْكَ مِنَ ٱلْحَادِثَاتْ
فَجِسْمُكَ مِنْ نَبْتِهَا قَدْ نَمَى ... وَرُوحُكَ مِنْهَا لَهَا نَسَمَاتْ
فَإِنْ كُنْتَ مِنْهَا نَشَأْتَ فَصُنْهَا ... وَقُمْ رُدَّ عَنْهَا، سِهَامَ ٱلرُّمَاةْ
فَخُذْ لِلْحَيَاةِ، سِلاَحاً وَهَاتِ، ... كِفَاحاً يُوَاتِي، زَمَانَكَ هَاتْ
وَسِرْ لِلْمَعَالِي، بِسُمْرِ ٱلْعَوَالِي ... وجل في المجال، وكن ذا ثبات
وَدَاوِ ٱلْجَرِيحَ، لِكَيْ يَسْتَرِيحَ، ... وَهُزَّ ٱلطَّرِيحَ، مِنَ ٱلْمُهْلِكَاتْ
فَقَدْ ضَاقَ ذَرْعاً بِمَا لَمْ تَطِقْهُ، ... وَتَعْجِزُ عَنْ حَمْلِهِ الرَّاسِيَاتْ
دِمَاءٌ مُرَاقٌ، وَظُلْمٌ يُذَاقُ ... وَشَرْبٌ زُعَاقٌ، فَمَا ذِي ٱلْحَيَاةْ؟
فَكَيْفَ ٱلْخَلاَصُ، وَأَيْنَ ٱلْمَنَاصُ، ... وَهَلاَّ قِصَاصُ، وَأَيْنَ ٱلْقُضَاةْ؟
وَكَيْفَ ٱلْوُصُولُ، لِمَا فِيهِ سُولُ ... بَنِي ٱلشَّعْبِ قُولُوا، فَمَاذَا ٱلصُّمَاتْ؟
أَلَسْنَا ٱلْهُدَاةَ، أَلَسْنَا ٱلْكُمَاةَ، ... أَلَسْنَا ٱلْحُمَاةَ، أَلَسْنَا الأُبَاةْ؟
فَثِبْ يَا شَبَابُ، لِيُفْتَحَ بَابُ، ... فَأَنْتَ ٱلْحِرَابُ، لِتِلْكَ ٱلدُّعَاةْ
وَسِرْ لِلرَّشَادِ، ـ بَقِيتَ ـ وَنَادِ، ... وَقُلْ يَا بِلاَدِيَ، بَنُوكِ ٱلْحُمَاةْ
فَنَحْنُ شُمُوسُ سَمَاكِ وَنَحْنُ ... أُسُودُ حِمَاكِ لَدَى ٱلْمُزْعِجَاتْ

في شهر أوت سنة 1959 سافرت إلى فرنسا، وركبت الباخرة المسماة

---

(1) أنشأت هذه القصيدة سنة 1948 م قبل ثورة 1954 م المباركة بست سنوات

(الجزائر) وسحرتني مناظر البحر الرائعة فصغت القصيدة التالية، وقد نشرتها مجلة الجيش في عددها 23 من السنة الثالثة من صدور المجلة المؤرخ بـ 1385/11/10 هـ - 1966/2/1 م نشرتها تحت عنوان: (من وحي الثورة).

بِنَا سَارَ (ٱلْجَزَائِرُ) بَعْدَ ظُهْرٍ — يَشُقُّ بِنَا ٱلْعُبَابَ إِلَى ٱلشَّمَالِ

وَكُنْتَ تَرَى ٱلْخِضَمَّ بَدَا كَزَرْعٍ - — تُكَيِّفُهُ ٱلرِّيَاحُ لَدَى ٱسْتِبَالِ

فَطَوْراً لِلْيَمِينِ يَمِيلُ كَرْهاً — وَأُخْرَى لِلْيَسَارِ عَلَى ٱلتَّوَالِي

وَأُخْرَى لِلْجَنُوبِ وَقَدْ تَوَارَتْ — وَرَاءَ حُصُونِنَا أُخْتُ ٱلْغَزَالِ

مَنَاظِرُ تَخْلُبُ ٱلأَلْبَابَ سِحْراً — وَتَمْنَحُكَ ٱلسُّرُورَ ورَمَعَ ٱلْجَمَالِ

* * *

وَمَا سَيْرِي لأَرْضِ ٱلْغَرْبِ طَوْعاً — وَلَكِنِّي دُفِعْتُ إِلَى ٱنْتِقَالِي

طَغَى رِيحُ ٱلسُّمُومِ عَلَيَّ حَتَّى — يَرَانِي بِٱلضَّنَى بَرْيَ ٱلْخِلاَلِ

رِيَاحٌ بِٱلْجَنُوبِ تَهُبُّ دَوْماً — وَأُخْرَى كَٱلْجَحِيمِ مِنَ ٱلشَّمَالِ

طَغَتْ بِنْتُ ٱلطَّبِيعَةِ وَٱسْتَعَرَّتْ — وَزَادَ سُعَارَهَا جَيْشُ ٱحْتِلاَلِ

جُنَاةٌ مِنْ بِنِي ٱلأَزْوَامِ طَارَتْ — لِتَرْتَكِبَ العظيمَ مِنَ ٱلْمُحَالِ

وَجَاءَتْ كَالدَّبَى جَوًّا وَبَحْراً — لِتَقْهَرَ ٱلْوَغَى أُسْدَ ٱلنِّضَالِ

وَظَنَّ (ٱلشُّقْرُ) أَنَّ ٱلْخَطْبَ سَهْلٌ — وَأَنَّا كَالسَّوَائِمِ فِي ٱلْخَوَالِي

وَأَنَّا مَا لَنَا فِي ٱلْكَوْنِ وَزْنٌ - — وَأَنَّا عَاجِزُونَ عَنِ ٱلبِزَالِ

وَمَا عَلِمُوا بِأَنَّا لاَ نُجَارَى — وَأَنَّا كَالصَّوَاعِقِ فِي ٱلْمَجَالِ

وَأَنَّا كَٱلْجَحِيمِ إِذَا ٱضْطَرَمْنَا — بِنَا يَصْلَى ٱلشُّجَاعُ مِنَ ٱلرِّجَالِ

وَأَنَّا كَٱلْقَضَاءِ إِذَا نَزَلْنَا — نَهُدُّ ٱلرَّاسِيَاتِ مِنَ ٱلْجِبَالِ

وَأَنَّا كَٱلْحِمَامِ إِذَا ٱبْتُلِينَا — نُخَطِّفُ فِي ٱلْوَغَى (صُفْرَ ٱلسِّبَالِ)

وَنَسْحَقُهُمْ بِحَدِّ ٱلْعَزْمِ سَحْقاً — وَمَا جَمْعَ ٱلْعُدَاةُ وَلاَ نُبَالِي

(موسى الأحمديّ نُويوَاتْ)

(فَالْعِلْمُ خَيْرُ سِلَاحٍ)

يَا ٱبْنَ ٱلْعُرُوبَةِ هَيَّا … قُمْ لِلْمَعَالِي تَهَيَّا

بَلْهَ ٱلْهُوَيْنَا تَقَدَّمْ … وكُنْ فَتَى عَبْقَرِيَّا

وَٱقْدَحْ مِنَ ٱلزَّنْدِ عَزْماً … وَٱجْلُ ٱلْحَوالِكَ هَيَّا

إِلَى ٱلْمَكَارِمِ سَارِعْ … يَا ٱبْنَ ٱلْحُمَاةِ ٱلأَبِيَّا

فَالرَّكْبُ سَارَ حَثِيثاً … يَطْوِي ٱلْمَسَافَاتِ طَيَّا

فَهَلْ سَعَيْتَ لَمَا قَدْ … سَعَى لَهُ وَتَهَيَّا؟

وَنِلْتَ مِمَّا ٱجْتَنَاهُ … مِنَ ٱلْمَعَارِفِ شَيَّا؟

فَٱلْعِلْمُ خَيْرُ سِلَاحٍ … بِهِ تَكُونُ قَوِيَّا

إِنْ حُزْتَهُ كُنْتَ حَقّاً … مَعَ الدُّهَاةِ سَوِيَّا

* * *

فَنَحْنُ فِي الأَرْضِ نَحْبُو … وَٱلْقَوْمُ فِي ٱلْجَوِّ طَارُوا

دَاسُوا ٱلْفَضَاءَ بِعِلْمٍ … وَبِٱلْكَوَاكِبِ دَارُوا

لَهُمْ تَكَشَّفَ سِرٌّ … فِيهِ ٱلْعُقُولُ تَحَارُ

بِذَاكَ سَادُوا وَشَادُوا … بِهِ عَلَى ٱلنَّاسِ جَارُوا

إِلَى مَتَى يَا ٱبْنَ قَوْمِي … إِلَى مَتَى لَا تَغَارُ؟

إِلَى مَتَى لَا تُبَالِي … بِمَا أَتَاهُ ٱلْفُجَّارُ؟

إِنَّ ٱلشُّعُوبَ بِحَقٍّ … عَلَى ٱلْمُنَاوِىءِ ثَارُوا

فَأَوْرَدُوهُ ٱلْمَنَايَا … وَٱنْفَكَّ ذَاكَ ٱلأَسَارُ

فَرَاحَ يَجْتَرُّ غَيّاً … يَتْلُوهُ خِزْيٌ وَعَارُ

(موسى الأحمدي نويوات)

حرر ببرج بوعريريج في 11/03/1979 م

(اليَومَ يا شَعبُ فافخَرْ)

أَللَّــــــــهُ أَكْبَــــــــرْ شَعْـــبَ الأَبَــاةِ تَحَــرَّرْ
مِمَّــــنْ طَغَـــى وَتَجَبَّـــرْ الْيَــوْمَ يَــا شَعْــبَ فَــافْخَــرْ
بِمَـــا كَسَبْـــتَ افْتِخَـــارَا

مَــا بَعْــدَ نُجْحِــكَ بَــأْسُ وَإِنْ حَــوَى الْبُسْــلُ رَمْــسُ
هَيَّــا لَقَــدْ طَــابَ غَــرْسُ فَيَــومُ فَــوْزِكَ عِــرْسُ
إِذْ حُــزْتَ فِيــهِ انْتِصَــارا

كَــمْ ذادَ جُنْــدُ النِّضَــالِ كَــالأُسْــدِ فَــوْقَ الْجِبَــالِ
عَــنْ غِيلِــهِ لاَ يُبَــالِـي بَــأْسَــاءَ صُفْــرِ السِّبَــالِ
فــي حَــرْبِنَــا الْغَــرْبُ حَــارَا

ظَــنَّ الْعَــدُوُّ بِــأَنَّــا قَــوْمٌ ضِعَــافٌ فَشَنَّــا
حَــرْبــاً عَــوَانــاً فَكُنَّــا حِصْنــاً حَصِينــاً وَقُمْنَــا
نَصْلِيــهِ فِــي الْحَــرْبِ نَــارا

فَــاسْتَنْجَــدَ الْغَــرْبُ لَمَّــا[1] حَــسَّ انْتِحَــارَهُ حَمَّــا[2]
فَلَــمْ يَقُــدْهُ فَغمَّــا[3] وَإِذْ تَكَسَّــرَ لَمَّــا[4]
مَــا يَبْتَغِيــهِ وَطَــارَا

إِنَّــا كَــأُسْــدِ الأَجَــامِ مَــا مِثْلُنَــا فِــي الأَنَــامِ
فِــي الْبَــأْسِ يَــوْمَ الصِّــدَامِ نَسْقِــي كُــؤوسَ الْحِمَــامِ[5]
مَــنْ يَعْتَــدِي عَــنْ حِمَــانَــا

---

(1) لما: حين.
(2) حَمَّ: قَرُبَ.
(3) غم: حَزِنَ.
(4) لَمَّ: جَمَعَ.
(5) الحِمَامُ: الموتُ.

(لا ناقة لكم فيه ولا جمل)

صـدَّامُ فَـاصْـدِمْ طُغَـاةَ الْبَغيِ يَـا بَطَـلُ   يَـا مَـنْ عَلَيْـهِ جَحِيـمُ الْبَغْـيِ يَنْهَطِـلُ

ظَـنَّ الطُّغَـاةُ بِـأَنَّ الْعـربَ عَـاجِـزَةٌ   عَـنِ النِّضَـالِ وَمَـا فـي جِيلِهـم بُسُـلُ

فَـأَقْبَلُـوا كَـالـدَّبَى يَحْـدُو بِهِـمْ طَمَـعٌ   فِـي ثَـرْوَةٍ دُونَهَـا لَـوْ دَقَّقُـوا الأَجَـلُ

مِـنْ كُـلِّ صَـوْبٍ كَـالنَّمْـلِ يَجْمَعُهُـم   حِقْـدٌ دَفِيـنٌ عَلَـى الْبَغْضَـاءِ قَـدْ جَبلُـوا

إِنَّ الْعِـرَاقَ شَجِـيٌّ يُـدْمِـي حُلُـوقَهُـمُ   يَـامَـنْ أَتَيْتُـمْ عَـرِيـنَ الأَسْـدِ فَـانْتَقِلُـوا

إِنَّ الْكُـويـتَ لِمَـنْ يَحْمِيـهِ مُتَّئِـداً   لاَ نَـاقَـةٌ لَكُـمُ فِيـهِ وَلاَ يَنْخَـذِلُ

* * *

صَهْيُـونُ أَخْـرَجَ شَعْبـاً مِـنْ حِمَـاهُ فَلَـمْ   يَبْدُوا اعْتِرَاضاً وَعَـن عدوانِهِ فَغَلُّوا

وَالْيَوْمَ هَمُّوا لِكَيْ يَحْمُو الْكُويتَ وَمَا الْـ   ـكويتُ مَا خَطَّطُوا بَل ذَاكَ مَا فَعَلُوا

تَخْطِيـمُ مَـا اخْتَـرَعَ بَغْيَتُهُـمْ   وَصَوْنُ صَهْيـونَ مِنْ صَارُوخِهِ أَمَلُـوا

لِيَبْـقَ صَيهْيَـونُ يَعْثُـو فـي مَـرَابعِنَـا   وَلاَ يُبَـالِـي بَيْـن فـي حَـرْبِـهِ فَشِلُـوا

لِلَّـهِ دَرُّكَ يَـا صَـدَّامُ مِـنْ بَطَـلٍ   يَامَنْ تَحَدّى جُيُوشَ الْغَرْبِ فَانْذَهَلُوا

ثَبَـتَ كَـالطَّـوْدِ فـي وَجْـهِ العـدَاةِ وَلَـمْ   تَـرْهَـبْ حُشُـودَهُـمُ أَوْ عُـدَّةً حَمَلُـوا

كَفَـاكَ فَخْـراً بِـأَنَّ الْغَـرْبَ أَجْمَعَـهُ   وَمَـنْ يُسَـانِـدَه مِـن بَطْشِكـمْ جفَلُـوا

إِنَّ الشُّجَـاعَ الَّـذِي يَحْمِـي عُـروبَتَـهُ   لاَ مَـنْ يَلُـوذُ بِـأَعْـدَاء بِـهِ نَكَلُـوا

حَـيِّ العِـرَاقَ وَحَيِّـي مَـنْ يَنَـاصِـرُهُ   وَمَـنْ عَلَـى نَصْـرَةِ المظْلُـومِ قـد جُبِلُـوا

(موسى الأحمدي نويوات)

الأجيال المثقفة في قرى جبال البيبان

محاولة جرد

في قرية أمزرراق (قرية المؤلف)

ـ الشيخ الولي محمد أُوعَبْدَ اللّهْ جد معظم سكان القرية وخاصة الفرق الأربعة: أولاد بوعزيز، وأولاد يحيى، وأولاد وعَمْرَوْ، وأولاد بلقاسم.

ـ الشيخ الحاج أُوعَبْد العزيز جد فرقة البعازيز (أولاد بوعزيز).

ـ ابنه الشيخ الحسين (1765 ـ 1857 م) وأبناؤه الأربعة:

1) الشيخ العربي، وأبناؤه: الشيخ عمرو، والشيخ الحسين، والشيخ المختار، وأبناء ابنه عمرو، وهما الشيخ العربي، والشيخ المختار.

2) الشيخ بلقاسم، وابناه: الشيخ الحسن، والشيخ الهادي، وابنا ابنه الحسن، وهما: الشيخ عبد الرحمن، والشيخ يحيى، وأحفاده، أبناء الشيخ عبد الرحمن وهم: الشيخ الزروق الأول، والشيخ النذير، والشيخ الحسن، والشيخ يحيى (مؤلف هذا الكتاب). والهادي الثاني.

3) الشيخ الصالح، وابناه: الشيخ الصالح، والشيخ بلقاسم، وابنا ابنه الصالح وهما الشيخ المدني، والشيخ الحسن.

4) الشيخ محند، وابنه الشيخ جعفر.

ـ الشيخ الموهوب أويعزيز الذي درس في زاوية أَمَالُو بحوض الصومام وعلم في قرية ثاله وانو لدى أخواله أكثر من ثلاثين عاماً.

ـ الشيخ أَمْحَنْدْ بَعَازِيَ، وابنه محمد الأستاذ والمفتش حالياً في مادة التاريخ.

ـ الشيخ الطيب أوبلقاسم، وابنه العربي، وابناه الطيب، والحسن.

ـ الشيخ علي أُويَحْيَى، وابنه العربي الصيد (شهيد).

ـ الشيخ الطيب أُويَحْيَى.

ـ الشيخ علي وعَمْرَوْ.

ـ الشيخ الزين وعمرو.

ـ الشيخ مقران أُويَحْيَى.
ـ الشيخ العربي أُوقَريِّ.
ـ الشيخ أمحند أُوبَلْقَاسَمْ بن العربي بن الزين (شهيد).
ـ الشيخ الطيب بومياسة حفظ القرآن على الوالد حفظاً جيداً، وما يزال حتى اليوم يؤذن في مسجد القرية.

في قرية أولاد حَالَّهْ:

ـ الشيخ الطاهر أُوحَالَّه.
ـ الشيخ العربي أوحاله.
ـ الشيخ علي أوحاله (شهيد).
ـ الشيخ عبد الحميد أوحاله.

في قرية إِلْمايَنْ:

ـ الشيخ الولي أحمد أُوغُوبَهْ (ت 7 هـ/ 13 م).
ـ الشيخ محمد الطاهر أُوبَتْقَهْ صهر الحسين أُوبَعْزِيزْ، تزوج بنته كلثوم التي أنجبت له: الشيخ لحلو، والشيخ محمد أمزيان، الذي أنجب الشيخ محمد الشريف، والشيخ يوسف.
ـ الشيخ التواتي أُوبَتْقَهْ.
ـ الشيخ محمد الطاهر أُويَخْلَفْ (شهيد).
ـ الشيخ جمعة أو يخلف (شهيد).
ـ الشيخ خالد أُومَقْرانْ، ضرير.
ـ الشيخ محند أُوحَالَّه.
ـ الشيخ محند أومَصْبَاحْ.

في قرية أَقْلَقَّالْ:

ـ الشيخ عمرو أُوعَشَّاشْ، وابنه الشيخ الطيب، وابنة عمه الشيخ لحسن (شهيد).
ـ الشيخ الصديق أُويَحْيَى، وابنه الشيخ أَمْحَنْدْ اَسْعِيدْ.

في قرية أَذْرَارْ سَيِّدِي يِذِيرْ:

ـ الشيخ سيدي يذير بن الحاج، ولي صالح.

ـ الشيخ الحاج أُوحَمُّودَهْ (ق 18م).

ـ الشيخ محمد بن عثمان بن الطيب (ق 18 م).

ـ الشيخ أَبُو القاسم بن الطيب (ق 18 م).

ـ العالم محمد البهلولي.

ـ الشيخ محمد وَعْلِي وَالطَّيِّبْ، عالم، وفقيه، توفي في السبعينات، وابناه عباس، وجعفر.

ـ الشيخ عثمان أو الطيب.

ـ الشيخ العربي أوحمودة قاضي بومزراق المقراني.

ـ الشيخ محمد الشريف أوصَالَحْ.

ـ الفقيه أحمد بن محمد السعيد (ق 18 م).

ـ الشيخ إسماعل أوصالح.

ـ الشيخ محمد، والشيخ عبد الكريم ابنا الشيخ المبارك.

ـ الشيخ عبدالله بن أحمد بن علي تلميذ أحمد بن حموده.

في قرية تَانْسَاوْتْ:

ـ الشيخ بلقاسم أُولْخَيِّرْ.

ـ الشيخ وعلي وَالْخَيِّـر (شهيد).

في قرية ثَاوْرِيرْثْ اَنْتِيزِي عِيذَلْ:

ـ الشيخ عبدالله أُوشَرْعَ اللَّهْ، وأخوه أحمد (الشهيد).

في قرية ثَاوَرْمِيثْ (الجعافرة):

ـ الشيخ أحمد بوختاله وابناه: الشيخ المختار، والشيخ العطوي.

ـ الشيخ العياشي الزيتوني (بلعمار)، والشيخ أمحند أُوخْمِيدَّانْ.

في قرية بُوفِنْزَارْ (الجعافرة):

ـ الشيخ المختار أُومَعْطِي.

- الشيخ لخضر أُومَغْطِي، وابناه: يحي، ومُحَنْدْ وعَمْرَوْ.
- الشيخ محمد أرزقي أُوحَمُّودَهْ، وابنه الشيخ محمد أكلى.
- الشيخ الزروق البدوي، وابنه الشيخ عمرو البدوي.
- الشيخ الزين بلحداد.
- الشيخ يحيى برقة.

في قرية أَوْرِيرْ الجعافرة:

- الشيخ مُحَنْدَ شقار.
- الشيخ محند أمقران شقار.
- الشيخ بلقاسم شقار صهر جدنا لأمنا الشيخ الهادي الذي تزوج بنته ربيعة وأنجبت له خالتنا كلثوم التي تزوجها أخونا النذير بوعزيز، وبقيت عنه ثمانية عشر عاماً حتى توفيت ولم تنجب عام 1949 م.
- الشيخ أحمد شقار.
- الشيخ محمد أمزيان شقار، وأخواه، محمد الشريف، والزبير.
- الشيخ رابح بسعى.

في قرية المقام (ثِيكْنِيشَّوْثْ) بأولاد سيدي الجودي قرب بني يعلي:

- الشيخ سيدي الجودي أُوعَولْمِى ولي (أواخر القرن 10 هـ).
- الشيخ محمد الجودي.
- الشيخ علي بن الجودي تلميذ علي بن المبارك صاحب كتاب المرائي.
- الشيخ بلجودي بن الحاج.
- الشيخ حميدة الشريقي من أولاد بلعباس، علم ثلاثين عاماً بقرية ثالة وَانْو.
- الشيخ علاوة الزوادي البهلولي.

في قرية ثاله وانو:

- الحاج الحسن بن الربيع، طالب قرآن، وفقيه، وابنه محمد.
- الشيخ محمد المسعود بن شايب العين.
- الشيخ سَعُو من أولاد شايب العين.

ـ الشيخ بلقاسم من أولاد شايب العين.
ـ الشيخ محمد بلفقير.
ـ الشيخ المختار بن بلقاسم بن الربيع، وابنه الشيخ إبراهيم.
ـ الشيخ الشريف، درس في أمالو، وعلم في القلة.

في قرية أَسْقِهْ:

ـ الشيخ الطاهر بَرَّعْوَاشْ، من فرقة إِيرَعْوَاشَنْ.

في قرية بني لعلام:

ـ الشيخ محمد بوڤجار فقيه.
ـ الشيخ البشيربو قجار، وابنه محمد الصالح المحامي.

في قرية إِغِيل أَوْرِيرْ:

ـ الشيخ الشريف عديس حموده.

في قرية مَذْوَاسْ:

ـ الشيخ الطيب أُوصَالَحْ، وأخوه الشيخ محمد أرزقي ـ وقد دَرَسَ عليهما الوالد بعض المواد في منزله بالجعافرة. فقهية، وأدبية.

في قرية أَعَشَّابُو أُوفَلَّهْ (الأعلى):

ـ الشيخ حموده بن معزة.

في قرية ثَاوْرِيرْتْ انْتَفْرَقْ:

ـ الشيخ أبو القاسم بن مدور، تلميذ الورثلاني صاحب الرحلة تولى قضاء بجاية.
ـ الشيخ الصالح التفرقي، تلميذ الورثلاني كذلك.
ـ الشيخ محمد أرزقي أوبغورة وأبناؤه: الشيخ يونس (شهيد)، والشيخ يوسف، وابن عمهم: الشيخ منصور. والشيخ الطاهر أُوبَغُّوره، والشيخ عبد الوهاب.
ـ الشيخ محمد بن أخروف (من أولاد خليفة).

في قرية أولاد زايد:

ـ الشيخ عاشور قيطاري، وابنه الأستاذ إسماعيل المفتش حالياً في علوم التربية.

في قرية بُونْدَهْ:

ـ الشيخ إسماعيل الزياني.

ـ الشيخ عيسى حميطوش (شهيد).

ـ الشيخ فتح الله المحامي.

في قرية مَجَّانَةْ:

ـ الشيخ سيدي بتقة.

ـ الشيخ سيدي موسى، (ق 9 هـ/ 15 م) وله ذرية في جبل المعاضيد.

ـ الشيخ يحيى بلجودي، أصله من ثَالَةْ وَانُو.

في قرية البيبان:

ـ سي محمد لخضر البيباني.

ـ سي محمد قادري، مسؤول الأوقاف في الولاية الثالثة خلال الثورة.

ـ الشيخ السعيد البيباني.

في قرية ثَامُوقْرَةْ:

ـ الشيخ يحيى العيدلي صاحب المعمرة والزاوية (ق 9هـ/ 15 م).

ـ الشيخ محمد بن علي العيدلي، وابنه الشيخ سيدي الموهوب، وابنه سيدي عبد القادر.

ـ الشيخ حميمي، وأخوه محمد وَعْلِي العِيدْلِيَانِ، (قروفة).

ـ الشيخ محمد الطاهر آيت علجت الموقراوي.

في قَرْية القلة (ثَازالأَمْتْ):

ـ الشيخ محند أُولْمُوهُوبْ، وابنه الشيخ عبد الحميد صهر الشيخ علي البوديلمي، المسيلي، إمام بتلمسان حالياً وأستاذ.

في قرية بني يعلي (ڤنْزَاتْ):

ـ الشيخ أرزقي أُوبَصَّالَحْ، فقيه.

ـ الشيخ السعيد أُوبَصَّالَحْ ـ فقيه وأديب وعضو جمعية العلماء.

ـ الشيخ الهاشمي بن الحاج الطيب، فقيه، ولغوي.

ـ الشيخ أرزقي الزيتوني.

ـ الشيخ محمد أَزَيْتُوني.

ـ الشيخ محمد الصالح أُوقَرِيّ.

ـ الشيخ بونوار أُوقَرِّي.

ـ الشيخ الربيع بُوشَامَةْ (شهيد) شاعر، وأديب.

ـ الشيخ يوسف اليعلاوي، فقيه ولغوي، مجاهد.

ـ الشيخ يحيى اليعلاوي، شيخ الورثلاني صاحب الرحلة.

ـ الفقيه الأديب عبد الرحمن بن بركات بن محمد بن قرى.

ـ الشيخ أبُو القاسم بن دحمان.

ـ الشيخ محمد بن يحيى اليعلاوي تلميذ الورثلاني (ق 11 هـ) وهو من أولاد الشيخ سيدي مالك وقبره مشهور يزار في بني يعلى.

في قرية أَوْرِيْر أُوعُولْمِي:

ـ سي الجودي أُوزَايَدْ.

في قرية زَمُّورَةْ:

ـ الشيخ الحاج محمد القشطولي.

ـ الشيخ حمود بن طالب حسنين.

ـ الشيخ محمد بن عبدالله، تلميذ الورثلاني.

ـ الشيخ علي الفرقاني من آيت فرقان.

ـ الشيخ عمر، والشيخ محمد بن زيان.

ـ الشيخ عمر بو حفص.

في قرية بني حافظ:

ـ الشيخ المولود الحافظي الأزهري، وابنه الشيخ العربي أُوعْطُوطُ السَّحَابِي.

ـ سي علي حميدة.

ـ سي يوسف مقران.

في قرية بني عَشَّاشْ:

ـ الشيخ محمد أمقران مؤسس مدرسة بني عشاش.

ـ الشيخ عبد الحفيظ أمقران (مجاهد).

في قرية بوقاعة:

ـ الشيخ ناصر.

في قرية عَبَّادْ الشَّرِيفْ:

ـ سي سليمان آيت سليمان.

في قرية برباشة:

ـ الشيخ علي بن سليمان البرباشي.

ـ ابنه الشيخ علي بن الصالح البرباشي.

في قرية بني وجهان:

ـ الشيخ عمر بن عبد المحسن الصواف الوجهاني (ق 7 هـ).

في قرية شَرْفَة ثابت براهم:

ـ سي الحاج الحسين مهدي.

في قرية آيت سيدي علي بآيت إبراهم:

ـ سي محمد السعيد.

ـ الشيخ علي الصافي، وأبناؤه من عائلة يحيى حمودي.

ـ الشيخ محمد أويحيى، قريب لنا ابن إحدى بنات أسرتنا أولاد بوعزيز.

علماء بني ورثلان ومنطقتها

ـ الشيخ أحمد الشريف جد الحسن الورثلاني صاحب الرحلة الذي ينتهي نسبه إلى الشيخ أحمد البكاي البجائي من أشراف مدينة تافيلالت. فقيه، ومدرس، وناسخ للكتب والمخطوطات وله زاوية كان بها 500 طالباً.

ـ الحسن بن محمد بن عبد القادر الورثلاني، حافظ وناسخ للكتب، ومفتي

ومدرس، زار مصر ودرس بالأزهر، ومن تلاميذه عبد الباقي الزرقاني شارح موطأ الإمام مالك.

- ابنه الشيخ الحسين بن محمد السعيد بن الحسين بن محمد بن عبد القادر بن أحمد الشريف الورثلاني، من قرية أَنُو قرب بني ورثلان، وهو صاحب كتاب: نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، المعروفة بالرحلة الورثلانية التي حققها ونشرها الشيخ محمد بن أبي شنب عام 1908 م.
- الشيخ الفضيل الورتلاني العالم والواعظ الكبير، وعضو جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.
- الشيخ حمزة قصوري خريج الزيتونة وخطيب جامع القرية.
- الشيخ الحسن فضلاء وأخوه محمد الطاهر فضلاء، وأبوهما الشيخ السعيد أَبَهْلُولْ.
- الشيخ محمد بن عقيلة الورثلاني، مفتش حالياً في مادة اللغة العربية.

علماء أسرة ابن الحبيب ببني ورثلان
وأصلهم من ونوغة

- الشيخ السعيد بن الحبيب.
- الشيخ يحيى بن الحبيب.
- الشيخ عيسى بن الحبيب.
- الشيخ محمد الصالح من قرية أقلميم في عرش بني جماتي ببني ورثلان.
- ابنه الشيخ الحسين بن محمد الصالح الذي زاره إلى منزله باي قسنطينة، فرحات باي (1646 ـ 1652 م).
- الشيخ أحمد بن حمود ابن أخيه الشيخ الحسين.

في قرية بني معوش:

- عيسى لحلاح.

في قرية بني شبانة:

- الشيخ أرزقي الأشباني، عالم عاش أحداث الثورة المسلحة وتوفي عام 1987 م.

في قرية شلحاب:

- الشيخ عبدالله الشلحابي.

في قرية فريحة:

- الشيخ البشير إيزمران وأخوه الشيخ إدريس.
- الشيخ الطاهر الفريحي.
- الشيخ محمد الصغير الفريحي.
- الشيخ عبد العزيز يونسي الأزهري.

في قرية أمالو:

- سي مقران عبد الوهاب.

في قرية إِيث يَخْلَفْ:

- سي عبد الحميد أُونَاصَرْ.
- سي لحلو أوشطاب.

في قرية إيث مالك:

- سي محمد أمقران بن مالك، عَلَّمَ ببني عباس بعد قنبلة مدرستها تولى منصب مفتش الشؤون الدينية في كل من سطيف، وبجاية متقاعد.

في قرية سيدي إبراهيم بالمنصورة:

- الشيخ العربي السعدوني.

في قرية مزيته:

- الشيخ العياشي أُوجَوَّاقْ تابابوشت.

في قرية المعاضيد (برج العذير):

- الشيخ موسى نويوات الأحمدي، وابناه: سعد الدين، والمختار الأستاذ

بجامعة عنابة.

في قرية رأس الواد:

ـ الشيخ البشير الإبراهيمي (أشهر من أن يعرف). رئيس جمعية العلماء.

علماء صدوق ومنطقتها بحوض الصومام

ـ الشيخ محمد أمزيان بن علي الحداد زعيم ثورة 1871 م، وابناه.

ـ الشيخ عزيز بن الحداد.

ـ الشيخ أمحمد بن الحداد.

ـ الشيخ محمد بوزوزو، البجائي.

ـ الشيخ محمد السكلادي تلميذ الورتلاني صاحب الرحلة.

ـ الشيخ يحيى بن حمزة.

ـ الشيخ عبد القادر بن الشيخ الموهوب بالأعراش.

ـ الشيخ محمد بن العربي شيخ والد الورثلاني والساكن بجبل سيدي الموهوب (ت. ق. 12 هـ).

ـ الشيخ علي بن أحمد شيخ الطريقة الشاذلية الناصرية.

ـ الشيخ الصادق ولي في واد بجاية وضرير (ق. 10 هـ).

ـ الشيخ يحيى بن الموهوب.

ـ الفقيه يحيى بن الواثق تلميذ الورتلاني صاحب الرحلة.

ـ الشيخ الصالح بن الشيخ أُولْقَاضِي وأخوه الشيخ محمد الشريف، من صدوق.

من قرية ثَاقَاعَتْ، أَوّصَدُّوقْ السفلي:

ـ الشيخ عمر البوعناني، من ثابو عنانت ببني عباس.

العلماء والمثقفون في قرى قلعة بني عباس

ـ الشيخ أحمد بن عبد الرحمن جد أولاد أمقران، ووالد مؤسس مدينة القلعة في القرن 15 م.

ـ ابنه الشيخ محمد ابركان دفين ضريح أبيه أحمد بن عبد الرحمن.

ـ الفقيه الشيخ محمد السعيد بن الطالب.

ـ الفقيه يحيى الشريف بن رقية من وِزْرَانْ (ق 11 هـ).
ـ الشيخ سيدي أحمد بن علي من أولاد يحيى العيدلي.
ـ الشيخ المسعود بن عبد الرحمن، وابنه الشيخ علي بن المسعود.
ـ أولاد محمد الصالح الدكالي وهم: أبوسنة، وعلي بن محمد، ومحمد بن الفقيه المحقق في علم الكلام، وتلميذ الورتلاني صاحب الرحلة، والطالب بن الفقيه.
ـ الفقيه الأديب يحيى بن حمزة.
ـ الفقيه محمد اليعلاوي بن بطيح.
ـ الشيخ يحيى.
ـ الشيخ سيدي محرز من قلعة بني عباس، ولي صالح.

من قرية ثِيغِيلْتْ أُومَيَّالْ

أسست بها جمعية العلماء مدرسة حوالي عام 1945، وعلم بها:
ـ الشيخ محمد الصادق رزق الله (من ثِيزِي نَتْفُونَاسْ) بين 1945 ـ 1948.
ـ الشيخ محمد أمزيان طوالبي (شقار) من أورير الجعافرة بين 1949 ـ 1955 م.
ـ الشيخ الطاهر زقرور، من بوشقفة بين 1955 ـ 1957.
ـ الشيخ الصديق إيمخلاف، من ثيغيلت أوميال، بين 1955 ـ 1957 م.
ـ الشيخ عيسى رحيم (شهيد) بين 1957 ـ 1958 م.

وعلم بمسجدها الأئمة التالية أسماؤهم:
ـ الشيخ بوعزيز (الحسن والهادي والمدني الأولى جدنا ووالد أبينا، والثاني جدنا ووالد أمنا فطوم، علم بين 1915 أو 1920 م، والثالث ابن عم الوالد.
ـ الشيخ محمد أرزقي أُورَاضِي من ثُودَّارْ قبل عام 1930 م.
ـ الشيخ الشريف يوسف خوجة من حَنْدِيْس حوالي عام 1932.
ـ الشيخ الطاهر حنديس، حوالي عام 1934 م.
ـ الشيخ عبد الرحمن بَسْعِي من ثَاقَرَّابَتْ.

ـ الشيخ محمد الربيع أوكيل.
ـ الشيخ أحمد الحسين من أَوْرِيرْ.
ـ الشيخ دَعُ (السعيد) مباركَ من أورير.
ـ الشيخ محند أرزقي من ثَاسْلَنْتْ حوالي عام 1918 م.

من قرية بوشقفة

أسست بها مدرسة حرة عام 1938 م، وصارت لجمعية العلماء عام 1945 م، وعلم بها.

ـ الشيخ محمد امزيان طوالبي (شقار).
ـ الشيخ محمد الطيب أُوقَاسَةْ من بُوحِيثَمْ.
ـ الشيخ محمد الطاهر أُوشْعِيث حوالي 1947 ـ 1948 م.
ـ الشيخ محمد الطاهر الموقراوي (من ثاموقرة).
ـ الشيخ بلقاسم كَرِّيس من عام 1948 ـ 1955 م.
ـ الشيخ الطاهر زقرور (ضابط حالياً) ما بين 1955 ـ 1957 م.

ومن أئمة هذه القرية في مسجدها:

ـ الشيخ الطاهر جنديس ما بين 1918 وعقد الثلاثينات.
ـ الشيخ محمد أمقران شقار (طوالبي) من أورير الجعافرة ما بين 1933 ـ 1935 م.
ـ ابنه الشيخ محمد امزيان شقار (طوالبي).

من قرية ڤيندوز:

أسست بها مدرسة حرة عام 1942، وصارت لجمعية العلماء عا 1944 م وعلم بها:

ـ الشيخ صالح جطوطح.
ـ الشيخ داعي مبارك.
ـ الشيخ محمد الطاهر شنتير ما بين 1946 ـ 1950.

ومن أئمة مسجدها:

ـ الشيخ سحنون الطاهر من أيخرشوشن علم مدة 17 سنة.
ـ الشيخ صالح يعلى من ثاقرابث.
ـ الشيخ محمد أُوخَاتَّاشْ من بوحمزة.
ـ الشيخ حمودي محمد الصغير من وزران.

من قرية حنديس:

ـ تشتهر حنديس بزاويتها التي أسسها الشيخ سيدي محمد بن يوسف الذي هاجر من الساقية الحمراء خلال القرن التاسع الهجري واستقر بعض الوقت في أولاد راشد، ثم انتقل إلى عريب إعزز أَنْتَازَرْتْ حيث توفي هناك، ودفن بجوار الزاوية التي بدىء في التدريس بها مع مطلع القرن الثالث عشر الهجري (1200 هـ) ومن الذين علموا بها.
ـ الشيخ الربيع مزيان حوالي عام 1916 م.
ـ الشيخ الصالح بعلي.
ـ الشيخ أرزقي بو يعلة، من بني شبانة.
ـ الشيخ أرزقي جبدر من قولمه (أولمه).
ـ الشيخ المولود من سيدي الجودي.
ـ الشيخ عبد المجيد (حالياً إمام بالعاصمة).
ـ الشيخ الحاج علي.

وقد تخرج من هذه الزاوية جيل من المثقفين نذكر منهم:
ـ ـ بلعباس لحلو، من بيشر.
ـ جلواح عمر، من ثازايرت.
ـ عبد الرحمن بسعي، من ثاقرابث.
ـ الربيع قدور من أولاد الساسي.
ـ الصالح بعلي، من ثاقرابث.
ـ لحلو السعيد.
ـ معمر العربي من قلعة بني عباس.

- ابنه معمر عمرو، (حالياً تاجر بالعاصمة).
- زكريا حنديس من حنديس.
- يوسف خوجة الشريف من حنديس.
- يعيش ارزقي من حنديس.
- حنديس الصغير.
- زكريا أحمد.
- يوسف خوجة لحلو.
- حنديس محمد السعيد من حنديس تولى الإفتاء في أقبو ثلاثين عاماً.
- حنديس العربي من حنديس علم في إِغْرَمْ عشرين سنة.
- حنديس البشير من حنديس علم في اغيل علي عشرين عاماً.
- حنديس محمد، علم في مدرسة باب الواد بالعاصمة 23 عاماً ما يزال حياً.
- حنديس الحسن، بوزيان علي، عمران سعيد (ما يزال حياً).
- خوجة الحسين.

كان لدى الزاوية مكتبة مهمة تحوي عدد كبيراً من كتب الفقه والحديث والتاريخ، والسير، ومصاحف القرآن الكريم، والأدب، جمعها جيش الاستعمار عام 1960 م وأحرقها مع كتب أخرى للغير.

ومن الشيوخ الذين علموا بمسجد قرية حنديس:

- الشيخ زكريا محمد الحسين، قبل أكثر من قرن ونصف.
- الشيخ عمران عمران قبل أكثر من قرن وثلاثين عاماً.
- الشيخ يوسف خوجة الشريف خريج الزاوية حوالي عام 1922 م.
- الشيخ حنديس البشير حوالي 1928 م.
- الشيخ يوسف خوجة البشير.
- الشيخ زكرياء موسى حوالي 1940 م.
- الشيخ مجاهدي السعيد من قولمه إلي 1959 م.
- الشيخ باي بوعزيز من حنديس (حالياً يعلم في بوجليل).

من قرية ثازايرت:

أسست بها مدرسة حرة عام 1939، وألحقت بجمعية العلماء عام 1945 ومن بين من علم بها:

ـ الشيخ عيسى قدور من ثاقرابث بين 1939 ـ 1945 م.

ـ الشيخ محمد الطيب عبلاوي من بوثواب.

ـ الشيخ داودي محمد الطيب، من تاملوكة.

ـ الشيخ محمد الطاهر الأطرش من المسيلة.

ـ الشيخ العربي العربي، من تاملوكة.

ـ الشيخ عدنان السعيد، من ايعزوڤن (شهيد).

ـ الشيخ الديلمي محمد وأحمد من سيدي إبراهيم (شهيد).

ومن إئمة مسجد القرية:

ـ الشيخ عمر أَزِيكِيوْ من أَزْرَوعَلُّولْ بين 1914 ـ 1918 م.

ـ الشيخ محمد الطيب عزوق من سيدي إبراهيم حوالي 1919 و1920 م.

ـ الشيخ لونيس بن أحمد من مزيته علم أكثر من 15 عاماً.

ـ الشيخ العربي البوجليلي حوالي 1922 ـ 1923م.

ـ الشيخ نايث حمود من أيلقانن.

ـ الشيخ محمد أمقران شقار (طوالبي) بعد عم 1930 م.

ـ ابنه الشيخ محمد امزيان شقار (طوالبي) بين 1938 ـ 1939م.

ـ الشيخ محمد أمزيان أولموهوب من ثاوريرث عبلة بين 1925 ـ 1938م.

ـ الشيخ محمد العربي من ثاسلنت.

ـ الشيخ الصالح جطوطح من ثاقرابث.

ـ الشيخ العربي أوكيل.

ـ الشيخ يحيى بن عودة من عين بسام بين 1956 ـ 1962 م.

من إغيل علي:

أسست جمعية العلماء بها مدرسة عام 1945 وممن علم بها:

ـ الشيخ محمد الطاهر شنتير من بوجليل.
ـ الشيخ محمد أمويان، من ثارماست.
ـ الشيخ محمد الصادق عيسات من بوجليل.
ـ الشيخ الصالح عبد المالك، من بسكرة.
ـ الشيخ عبد الحميد أوحالة، من أولاد حَالَّةْ وأَمَزْرَرَاقْ.
ـ الشيخ ساكري محمد (شهيد) من جهة باتنة.
ـ الشيخ حميدوش من آيت سعيدة، بقي يعلم حتى عام 1962م.

ومن أئمة هذه القرية:
ـ الشيخ محمد أرزقي أو منصور حوالي عام 1917 م.
ـ الشيخ بشير حنديس.
ـ الشيخ بشير عبد العزيز من إغيل علي.
ـ ابنه الشيخ محمد الطيب عبد العزيز.
ـ الشيخ أحسن البشير من ثاقرابث.
ـ الشيخ بوبكري بوبكر من سيدي إبراهيم.
ـ الشيخ محمد الطيب بودبية الذي له مسجد يحمل اسمه حتى اليوم بإغيل علي.

من قرية ثاقرابث:

توجد بها زاوية منافسة لزاوية حمديس أسسها الشيخ عبد الرحمان المقراني من أولاد مقران الذي كان مفتياً في جباية وغادرها إلى هذه القرية وأسس فيها هذه الزاوية، ودفن بجوارها بعد وفاته، إلى جانب قرية القلعة الأولى التي كانت مقر للمقرانيين قبل تأسيس قرية القلعة الحالية بأعلى الجبل الذي يطل على بونده، وبني عيدل.

ومن شيوخ هذه الزاوية الذين علموا بها:
ـ الشيخ محمد أرزقي يحيى الشريف المعاصر للحسين الورتلاني صاحب الرحلة.
ـ الطاهر أُوقِيطُوس من إيلولن.

ـ الشيخ الحسين أُوعِيسَى من بوجليل.
ـ الشيخ الطيب شنتير من بوجليل وهو شقيق الشيخ علي شنتير الحالي.
ـ الصديق البسكري من تيزي أوزو.
ـ محمد أمزيان أجعود من آيت سلام.
ـ الطاهر قولمه من ايلولن.
ـ علي زروق من العزازقة.

ومن أئمة مسجد القرية قبل الثورة:
ـ بشير شرقاوي من الشرفة.
ـ عبدالله الصدوقي من صدوق.
ـ الخضير من ايلولن.
ـ ارزقي بو يعلى من عين الحمام.
ـ الشريف أبو دريقة من سيدي عيش.
ـ الشيخ سعد من آيت خليفة.
ـ محمد امزيان بويعلى من عين الحمام.
ـ السعيد نايث ايراثن من آيت ايراثن.
ـ الطاهر أوقوسيم من عزارقة ومخلوف بلقاسم.

أما خلال الثورة فمنهم:
ـ عبد الرحمن رابح، من ثاقرابث.
ـ شريفي بشير من ثاقرابث ما يزال حياً.
ـ بسعي عبد الرحمن من ثاقرابث ما يزال حياً.
ـ بعي لونيس من ثاقرابت ما يزال حياً.
ـ قدور عيسى من ثاقرابث ما يزال حياً.

ومن الطلبة والأئمة الذين تخرجوا بالزاوية (ثاقرابث):
ـ الشيخ أحمد قدور من ثاقرابت.

- الشيخ العرب أمزيان ثاقرابث.
- الصالح أُوعَزَّوقْ ثاقرابث.
- قدور الصادق ثاقرابث.
- الصالح بعلي (أحمد خوجة) ثاقرابث.
- بن ناصر أوكيل ثاقرابث.
- امزيان الحسين ثاقرابث.
- أمزيان الربيع ثاقرابث.
- بلقاسم مخلاف ثاقرابث.
- محمد جطوطح ثاقرابث.
- الصلاح جطوطح ثاقرابث.
- قدور البشير بن علي ثاقرابث.
- قدور عيسى ثاقرابث.
- قدور صالح ثاقرابث.
- بسايح العربي بن بسعي ثاقرابث.
- عبد الرحمن بسعي ثاقرابث.
- لحلو السعيد ثاقرابث.
- أوكيل محمد الربيع ثاقرابث.
- أوكل عيسى بن الطاهر ثاقرابث.
- بعلي لونيس (ما يزال حياً) ثاقرابث.
- شريفي البشير ثاقرابث.
- عبد الرحمن أعراب (ما يزال حياً) ثاقرابث.
- مخلاف صالح ثاقرابث.
- قدور العربي (ما يزال حياً) ثاقرابث.
- الطيب الشريف محمد أرزقي ثاقرابث.
- زموري صالح (ما يزال حياً) من برباشة.

من قلعة بني عباس

أسست جمعية علماء بها مدرسة عام 1934 وافتتحت عام 1936 وممن علم بها:

- الشيخ الصالح بن أعتيق من ميلة أحد شيوخ جمعية العلماء.
- الشيخ موسى الأحمدي نويوات من برج العذير.
- الشيخ بن يحيى بن عودة، من عين بسام.
- الشيخ محمد وعمر أوجلواح من القلعة.
- الشيخ مقران صديقي.

ومن علماء هذه المنطقة:

- الشيخ المولود أوجلواح الذي علم بقرية تيزي عيدل سنوات طويلة وهو من أيمسيسن. وله ابنان ما يزالان الآن أحياء: مقران وتعلم بتونس حوالي ثلاث سنوات ثم انقطع وهو الآن معلم، والعلوي وكان يغني بالإذاعة بعض الوقت.
- الشيخ عمر البوعناني الذي علم مع الشيخ علي شنتير في مدرسة بجاية وبعد عام 1962 أصبح أستاذ في إحدى ثانويات العاصمة ما يزال حياً.
- الشيخ علي شنتير من بوجليل عضو المجلس الإسلامي الأعلى.
- الأستاذ مولود قاسم نايث بلقاسم من بلعيال، وهو خريج جامعة القاهرة.

وفيما يلي نبذة عن حياته وجهاده الفكري والأدبي، والسياسي، وقد توفي في شهر أوت من عام 1992 م.

في ذكرى المرحوم مولود قاسم والقواسم الثلاثة

بقلم: د. يحيى بوعزيز

في أواخر صيف عام 1992 فقدت الجزائر أحد أبنائها البررة الأوفياء المخلصين، رجلاً ليس ككل الرجال، وعظيماً ليس ككل العظماء، ومفكراً ليس ككل المفكرين، وكاتباً ليس ككل الكتاب، ووطنياً غيوراً ليس ككل الوطنيين العاديين.

إنه الأستاذ الفاضل المرحوم مولود قاسم نايت بلقاسم، الذي رزئت بفقده الأمة الجزائرية كلها. لأنه كرس حياته كلها في خدمتها منذ النشأة حتى الوفاة على مدى خمسة وستين عاماً، فمن هو مولود قاسم؟ أنه من مواليد قرية بلعيال إحدى قرى جبال بني عباس في القبائل الصغرى التي تمثل جزءاً من كتلة جبال البيبان الكبرى شرق وادي الصومام وجنوبه. والتي كانت تمثل مقراً الإقامة والرئاسة لأمراء إمارة أولاد مقران في قلعة بني عباس على مدى أكثر من ثلاثة قرون.

ولد المرحوم مولود قاسم في أواخر عقد العشرينات من هذا القرن وحفظ القرآن الكريم في مسقط رأسه، وأتقن مبادىء اللغة والعلوم العربية الدينية والأدبية. ثم رحل إلى تونس أواخر الحرب العالمية الثانية والتحق بجامع الزيتونة للدراسة حتى عام 1950، ثم رحل إلى القاهرة والتحق بقسم الفلسفة في كلية الآداب بجامعة القاهرة، وهي نفس الكلية التي التحقت بها أنا عام 1957، ولكن في قسم التاريخ، وعندما اندلعت ثورة أول نوفمبر 1954 كان قد أنهى دراسته والتحق بمكتب جبهة التحرير الوطني، ليناضل من أجل تحقيق استعادة الاستقلال الوطني للجزائر . وعمل في عدة بلدان أوروبية مثل ألمانيا، والسويد، وبعد استعادة الاستقلال الوطني عام 1962 عاد إلى الوطن، وتجند لخدمة بلاده في وزارة الخارجية، والرئاسة، والحكومة إلى أن وافاه أجله في نهاية شهر أوت 1992 م.

ولسنا هنا بصدد التأريخ لحياة المرحوم مولود قاسم، ولكن لاستعراض بعض مآثره، وأعماله، وجهوده الخالدة التي قدمها لبلاده الجزائر. ولشعبه تخليداً لذكراه، وتمجيداً لماضيه، واعترافاً بأفضاله وخدماته ليكون نموذجاً وأمثولة لشباب اليوم، خاصة في ميدان الفكر والثقافة والتربية الوطنية.

القواسم الثلاثة:

واستعراض بعض مآثر الفقيد المرحوم مولود قاسم يتطلب العودة قليلاً إلى الوراء، فعندما التحقت أنا شخصياً بالزيتونة في تونس خلال خريف عام 1949 م، وجدت سمعة، وحديثاً يذكر عن قواسم ثلاثة: قاسم رزيق، وقاسم زيدون وقاسم مولود، وكلهم أعضاء مناضلون في حزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية الواجهة الظاهرة والقانونية لحزب الشعب الجزائري المحظور، والذي كنت أنا عضواً فيه كذلك. وهم كلهم طلبة في جامع الزيتونة العامر. أما قاسم رزيق فقد تولى رئاسة جمعية الطلبة الجزائريين التي تنتمي سياسياً إلى حزب الشعب الجزائري، وعندما اندلعت الثورة دخل إلى الجزائر واستشهد في سنة ومكان لا أذكرهما حالياً.

وأما قاسم زيدون فاسمه الحقيقي، بلقاسم زدور إبراهيم، ابن الشيخ المصلح والمربي الطيب المهاجي الذي تصدى للتدريس، والإقراء والإفتاء في مدينة وهران قرابة نصف قرن، ولم يتوف إلا عام 1968 م. انتقل قاسم زيدون إلى القاهرة في السنة التي التحقت فيها أنا بتونس، ولم أتعرف عليه شخصياً، وعاد إلى الوطن عام 1954 م، واعتقلته السلطات الاستعمارية في اليوم الثاني من اندلاع الثورة وهو شهر نوفمبر 1954، وأعدمته، ورمت جثته في البحر أين تم العثور عليها أمام برج الكيفان في قصة مشهورة، وذلك لأنه رفض أن يفصح لها عن أخبار أحمد بم بلة ورفاقه أعضاء الوفد الخارجي لجبهة التحرير الوطني، بالقاهرة.

وأما مولود قاسم فقد بقيت ذكراه تتردد بين الطلبة الجزائريين في تونس رغم أنه غادرها عام 1950 إلى القاهرة، ولم أتعرف عليه شخصياً إلاّ بعد

استعادة الاستقلال الوطني عام 1962 م، ولذلك قصة لا بد من ذكرها.

كيف تعرفت على الأستاذ مولود قاسم:

فقد التحقت أنا بحقل التعليم، والتحق هو بالعمل السياسي في وزارة الشؤون الخارجية كمدير على ما أظن، لقسم البلاد العربية، وكانت تصلني عنه بعض الأخبار والطرف عن طريق بعض الزملاء الذين كانوا يعملون تحت إدارته، وأذكر منهم الأخ الخضير صالحي، والشيخ الطاهر آيت علجت، وآخرين.

وعندما شرعت عام 1968 في إعداد دراستي الجامعية عن ثورة المقراني والحداد عام 1871 م، وصلته الأخبار، وراسلته من أجل أن يزودني بمصدر كنت أبحث عنه، وكان هو قد بدأ في مشروع إحياء ذكريات كبار المقاومين وزعماء ثورات القرن الماضي، كالباشاغا المقراني، والشيخ الحداد، وابنيه، عزيز وامحمد، والشيخ البركاني، والأمير عبد القادر، وأحمد باي، فأخذ يستدعيني للمشاركة فيها وشاركت فعلاً في ذكرى إعلان الشيخ الحداد للجهاد بصدق يوم 8 أبريل 1871 وذلك عام 1971 م طبعاً.

وعندما أسس مجلة الأصالة في نفس السنة أرسل إلي في وهران رئيس تحريرها الأخ عثمان شيبوب، ليطلب مني كتابة موضوع عن دور عائلة الشيخ الحداد في هذه الثورة. ولبيت الدعوة شاكراً وكان ذلك أول موضوع ينشر لي في هذه المجلة. ومن يومئذ أخذت الصلات بيني وبينه تتمتن وتتوثق، ولكن في حدود الفكر، والثقافة، والكتابة.

وفي عام 1974 دعاني للمشاركة كمعقب في ملتقى الفكر الإسلامي ببجاية وكذلك فعل في ملتقى تلمسان عام 1975 م. ولاحظ علي الدقة، والجدية في تعقيباتي، وكأنه اكتشف عنصراً جديداً كان يبحث عنه، وهو أمر طبيعي لكل مسؤول، فأخذ يستدعيني بعد ذلك كمحاضر ابتداء من ملتقى عنابة عام 1976 م وفي كل الملتقيات التالية حتى ترك الوزارة عام 1979. وكنت أنشر باستمرار مقالاتي التاريخية في مجلة الأصالة، ويعجب بها، ويلح علي

دائماً في المشاركة في كل الأعداد. وواظب على إشراكي في كل النشاطات الفكرية والثقافية، لوزارة الشؤون الدينية وفي المحاضرات والندوات بالمركز الثقافي الإسلامي بالعاصمة.

وأسجل هنا اعترافي الجميل له، لأنه هو الذي شجع قلمي على الكتابة، والانطلاق في تحرير الموضوعات، الوثائقية، وانتشلني وانتشل قلمي من الكسل، والركود، والجمود، وكان السبب حتى في تأليف بعض كتبي انطلاقاً من الموضوعات التي حررتها للملتقيات الفكرية الإسلامية، ولمجلة الأصالة التي فتح مجالها لي ولغيري من الكتاب والباحثين.

وكثيراً ما كان يراجعني في تصحيح بعض الأحداث، والأسماء ويطلب مني التصحيح والتعقيب، والكتابة، وفي بعض الأحيان يبعث إليّ بعتاب. ففي ملتقى بجاية عام 1974 صحح عني بعض المعلومات عن دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر. وفي ملتقى تلمسان عام 1975 لاحظ قلة تدخل الأساتذة الجزائريين المعقبين وعاتبهم على منصة الملتقى، فأخذت المبادرة وشرحت للملتقين بتوسع ما كان يهدف إليه وتلقيت منه ومن الضيوف الشكر والثناء، وفي ملتقى عنابة عام 1976 أشاد بي على المنصة وذكرهم بالجهود التي أبذلها، وعاتب غيري، وشهد ردّي المفحم على المرحوم الشيخ سليمان داوود بن يوسف المزابي. وأعجب هو وكل الحاضرين بردي، وصفقوا كثيراً. وفي ملتقى ورقلة عام 1977 حصل سوء تفاهم بيني وبين المشرفين على تنظيم الملتقى مادياً. ورفضوا أن يعطوا لي سكناً بالفندق لأني صحبت معي زوجتي وبنتي، فغادرت الملتقى في اليوم الثاني، وافتقدني فحدثوه بمعلومات مخالفة للحقيقة، وبعث إليّ بوهران عتاباً مع الشيخ عبد القار الزبير، الذي نقل إليّ حرفياً قوله: (لقد تركت لي الملتقى يتيماً) فإجبته برسالة توضيحية فرضي وأدرك الخلفيات.

وعندما رددت على الشيخ سليمان داوود بن يوسف بمقال مفحم في مجلة الأصالة حول بعض الأحداث التاريخية التي زعم أني أخطأت فيها، وطلب

الشيخ سليمان من رئيس تحرير المجلة إلاّ ينشر لي ردودي، فقال له الأخ مولود قاسم لا يمكن هذا أبداً، المجلة مفتوحة للجميع، والغلبة لصاحب الحق وبإمكانك أن تسكنه بالحقائق. والوثائق، إن كانت لديك، وإلاّ توقف أنت عن التعقيب. ليتوقف هو عن الرد.

شخصية مولود قاسم:

لم يكن المرحوم مولود قاسم، شخصاً عادياً، وإنما هو شعلة من الوطنية، وكتلة متحركة ومتنقلة من الإخلاص لوطنه الجزائر، وللإسلام والعربية وأمة العروبة، وديار الإسلام، أينما كانت. ويملك ثقافة عالية جداً، وفذة، في العلوم والحضارة العربية الإسلامية، وفي التاريخ الجزائري أساساً، والمغاربي، والعربي بصفة عامة والعالمي بصفة أعم. وطعم هذه الثقافة باتقانه لعدة لغات أخرى أبرزها: الفرنسية، والإنجليزية، والألمانية، والسويدية، والإسبانية.

إن المرحوم مولود قاسم عبارة عن موسوعة ودائرة معارف بحالها له في كل علم باع وطرف، وفي كل فن رصيد، ويقرأ ما شاء الله من الكتب، والمجلات، والجرائد والنشريات، والدراسات الخاصة والعامة، خاصة ما يتصل بتاريخ وحضارة الجزائر، وأخبارها وأحداثها القديمة والجديدة، وكذلك الحال بالنسبة للعالمين: العربي والإسلامي وبسبب تضلعه في العلوم والمعارف، انتخب عضواً مراسلاً في المجمع اللغوي بالقاهرة وعضواً عاملاً في المجمع اللغوي بدمشق، والمجمع اللغوي بالأردن، وكان يعد العدة لإنشاء المجمع اللغوي بالجزائر عندما عاجلته المنية، واختطفته في صيف عام 1992 م.

إن الجزائر بالنسبة للمرحوم مولود قاسم هي كل شيء، يغار عليها وكافح في سبيل تحريرها. وإحياء أمجادها التاريخية والحضارية، وتحمّل في سبيل ذلك ما لا يتصور من الأتعاب، والمشاكل، والمنغصات، وحاول أن يبرز ذلك في كتابه: شخصية الجزائر الدولية، ومكانتها العالمية الذي يجب على كل شباب الجزائر أن يقرؤوه ويعيدوا قراءته ليعرفوا من هو مولود قاسم، وما هو

وزن الجزائر وشعبها عنده وكذلك الحال بالنسبة لكتبه الأخرى مثل: إنية وأصالة، ولمقالاته المتعددة في مجلتي الأصالة والثقافة ومختلف الجرائد الأخرى الوطنية والأجنبية.

إن خدمات مولود قاسم لوطنه الجزائر، وتاريخه، وحضارته، عظيمة جداً، وقد لا تعد ولا تحصى، ويمكن أن نبرز بعضها في النماذج التالية:

أولاً: مولود قاسم وإطارات الشؤون الدينية:

لقد كانت وزارة الشؤون الدينية في مؤخرة الوزارات كلها، شكلاً ومحتوى ومكانة، ولا يخصص لها في الميزانية العامة السنوية للدولة سوى مبلغ زهيد جداً لا يسمن ولا يغني من جوع. وكانت إطاراتها ضعيفة المستوى في الميدان الفكري والتربوي، وهزيلة المكانة السياسية نظراً للظروف الاستعمارية القاسية التي مرت بها البلاد خاصة بالنسبة لشؤون الدين، ولم يكن المسؤولون المسيرون للبلاد في السنوات الأولى لاستعادة الاستقلال الوطني، يعطون الأهمية المطلوبة للدين الإسلامي، ورجاله مقارنة بباقي الإطارات في الوزارات الأخرى، ولأجل هذا استمر انتشار الدروشة في أوساط الوعاظ والأئمة، والخطباء في المساجد، وعم الركود والتخلف أوساطهم، ووضعوا على هامش الحياة تقريباً، ولذلك تخلف المسجد عن أداء رسالته المطلوبة في التوعية، والتثقيف والتربية الخلقية، وعندما تسلم المرحوم الأستاذ مولود قاسم وزارة الشؤون الدينية عام 1971 م غيّر الأمور رأساً على عقب، فاهتم بإطارات المساجد، وعلى رفع مستوى الأئمة والخطباء والوعاظ، بالتكوين المستمر، عن طريق الندوات، والملتقيات، واستدعاء علماء الإسلام المبرزين من العالمين العربي والإسلامي ليحاضروا لهم، ويدربوهم على أسلوب الوعظ والإرشاد، ويقدموا لهم المعلومات المطلوبة والمنسجمة مع الدين والعصر، وكلف المفتشين في كل الولايات بتنظيم دروس اسبوعية للأئمة، والوعاظ، والمرشدين والمؤذنين والقيمين، وأمر أن يشارك المسجد في محو الأمية، والتوعية الدينية، والاجتماعية والساسية. ونظراً لتدني مستوى خطباء المساجد كون لجنة على مستوى الوزارة لتعد وتحرر خطب الجمعة الأسبوعية لهم، وفسر

الناس غير العارفين ببواطن الأمور ذلك بكونه تدخلاً في رسالة المسجد، وتوجيهاً للأئمة والخطباء . كذلك عمل الأخ مولود قاسم على رفع أجور السلك الديني، وإدخال رجاله في الوظيف العمومي، بعد أن كانوا على الهامش وبذل جهوداً كبرى ومضنية حتى حقق لهم ذلك. وأصبحوا لا فرق بينهم وبين باقي الموظفين في الوظيف العمومي ما عدا المستوى والمؤهل. وبذلك أعاد مولود قاسم لإطارات الشؤون الدينية مكانتها، واعتبارها بعد أن كانت رخيصة ومهمشة، وغير ذات اعتبار. وزال عنها ذلك الحيف الذي دام قرناً وثلث القرن تقريباً.

ثانياً: مولود قاسم والمعاهد الإسلامية:

وإلى جانب اهتمام المرحوم مولود قاسم بإعادة الاعتبار لإطارات الشؤون الدينية ورفع مستواها الديني والثقافي وتحسين أجورها المادية، أنشأ معاهد التعليم الأصلي والشؤون الدينية لتكوين إطارات كفأة جديدة على أسس عصرية، وأطلق اسم: التعليم الأصلي على برامجها، وقال إنه أخذه عن الإخوان المغاربة وأراد به التعليم العربي الإسلامي الأصيل الذي بفضله وصلت الأمة الإسلامية إلى قمة الرقي في العصور الإسلامية الزاهرة على أن يطعم بالمواد الأخرى العصرية ليواكب خريجوها تقدم العصر وحركة التطور.

وقد تم إنشاء هذه المعاهد الإسلامية في معظم ولايات الوطن وامتازت بأشكالها الهندسية المعمارية العربية الإسلامية الجميلة، وبمستواها الثقافي الرفيع وخرجت أجيالاً من الطلبة برزوا بثقافتهم وسلوكهم الطيب، خريجي الثانويات العادية، وأنقذت أجيالاً أخرى من التلاميذ الذين أفرزتهم الثانويات والمتوسطات، ورمت بهم إلى الشارع فاحتضنتهم وكونتهم وفتحت أمامهم آفاق المستقبل السعيد.

ونظراً لأهمية هذه المعاهد في تكوين وإعداد إطارات دينية كفأة وأصيلة، فقد تآمر عليها الماكرون عام 1976، وتذرعوا بفكرة توحيد التعليم ودفعوا السلطات دفعاً لتدمجها في التعليم العام، وأطفأوا شمعة أوقدوها المرحوم

مولود قاسم لتنير طريق الأجيال الصاعدة، واغتالوا هذه المعاهد ودفنوها قاتلهم الله، وستنتقم منهم الجزائر طال الزمن أم قصر.

ثالثا: مولود قاسم ومجلة الأصالة:

وإلى جانب معاهد التعليم الأصلي، أنشأ المرحوم مولود قاسم مجلة الأصالة عام 1971 م لتواكب حركة التطور في البلاد، وتكشف الغطاء عن ماضي الجزائر المشرق، وتاريخها الطويل الحافل بالأمجاد والبطولات، لقد كان مولود قاسم مفكراً مبدعاً، وفيلسوفاً أصيلاً، وكاتباً مجدداً، ومثله لا يمكن له أن يركن إلى الجمود، والخمول، والتقوقع، ولذلك آلى على نفسه أن يغير أوضاع إطارات الشؤون الدينية من حيث الفكر، والثقافة والتكوين. وأنشأ هذه المجلة ليفتح لها ولغيرها المجال للإبداع، والابتكار، والتزود بالثقافة الصحيحة، والأصيلة والنافعة كل المجالات والتخصصات، وكانت تصدر كل شهرين، وبمبلغ دينارين فقط لا يساويان واحداً في الألف من تكلفتها، وينفق عليها بسخاء ويحرص على أن تصدر في مواعيدها المحددة، وعندما لا يجد صاحب مطبعة البعث بقسنطينة الورق اللازم لسحبها يتدخل هو شخصياً ويدبر له الورق. حكى لنا ذلك الأخ مولود قاسم بنفسه رحمه الله.

وقد تطورت هذه المجلة في محتواها وأصبحت عالمية يبحث عنها كل المثقفين على مستوى القارات الخمسة. وذلك بمقالاتها المتعددة والدسمة في كل عالم وفن، ومادة، وأبرزت تاريخ الجزائر، وحضارتها المشرقة عبر العصور وأزاحت عنها الغبار، وحفزت الأقلام وهمم الكتاب، والباحثين ليكتبوا ويبحثوا ويبدعوا، وكانت حقاً نافذة على الجزائر إلى كل بلدان العالم وصورتها الحقيقية، عرّفت أصالة الجزائر، وعراقتها، في التطور، والتحضر، والرقي، عبر العصور.

وقد عمرت هذه المجلة عقداً من الزمن من عام 1971 إلى عام 1981 م ثم قام الشيخ عبد الرحمن شيبان الذي خلف الأخ مولود قاسم في الوزارة قام بإعدامها واغتيالها، كما اغتال وأعدم التاريخ في ملتقيات الفكر الإسلامي

بدعوى أنها تنشر دراسات عامة، ولا تنشر الدراسات الدينية الخاصة. وهي دعوى عنصرية فكرية وثقافية لا يهضمها ولا يقبلها إلاّ الشيخ عبد الرحمن شيبان ومن على شاكلته وهواه، وكما يقول المثل: فاقد الشيء لا يعطيه.

رابعاً: مولود قاسم وكتب التراث:

ومع مجلة الأصالة اهتم المرحوم مولود قاسم بنشر كتب التراث وتبنت وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، نشر عدد من الكتب المحققة ومنها: الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، لمحمد بن سحنون الراشدي، ودليل الحيران، وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، لمحمد بن يوسف الزياني، اللذان حققهما المرحوم الشيخ المهدي البوعبدللي، كما تبنت هذه الوزارة نشر كل محاضرات وتعقيبات ملتقيات الفكر الإسلامي التي تعتبر بحق مفخرة الجزائر، وموسوعة هذه الملتقيات وقد خصص المرحوم مولود قاسم ريع هذه الدراسات وكتب التراث لدعم مجلة الأصالة وتوفير الأموال اللازمة لإصدارها. وحتى ريع كتبه الخاصة: إنية، وأصالة، وشخصية الجزائر الدولية ومكانتها العالمية، خصصه للأصالة كذلك، ولم يأخذ منه ولو صانتيماً واحداً، حكى لنا هذا مقتصد الأصالة نفسه الأخ محمد بربح. ولكن الشيخ عبد الرحمن شيبان قضى على كل هذه المشاريع، واغتالها وكل ما قام به هو نشر ملخص لملتقى الفكر الإسلامي، عام 1981، وثلاثة كتب من آثار الشيخ عبد الحميد بن باديس.

خامساً: مولود قاسم وملتقيات الفكر الإسلامي:

لقد كانت ملتقيات الفكر الإسلامي الأولى قبل مولود قاسم متواضعة تعقد على شكل ندوات صغيرة يدعى إليها عدد محدود من طلاب الثانويات ليستمعوا إلى محاضر قد لا يكون مختصاً ومنهم المرحوم مالك بن نبي. وبعد أن تولى مولود قاسم وزارة التعليم الأهلي والشؤون الدينية، أحدث انقلاباً كبيراً في هذه الملتقيات شكلاً ومحتوى، ومكاناً، وزماناً، فأنشأ مديرية خاصة لها بالوزارة، وأخذ يدعو إليها صفوة المفكرين والباحثين والمبدعين، من القارات الخمس ليبحثوا ويدرسوا على مدى إثني عشر يوماً، موضوعاً محدداً، يوزع إلى عدة

محاور أبرزها محور التاريخ الذي يخصص عادة للمدينة والمنطقة التي يعقد بها الملتقى. وقد دأب الأخ مولود قاسم على عقد هذه الملتقيات في المدن الجزائرية الكبرى الساحلية والداخلية بصفة دورية، كل سنة، ويبدأ في الإعداد لها في نهاية كل ملتقى حيث يعلن عن موضوع الملتقى القادم، ومكانه وزمانه ثم يشرع بعد ذلك مع اللجنة المنظمة في تحديد قائمة الأساتذة المحاضرين والمعقبين، ويوجه لهم الدعوة قبل ستة أشهر من الموعد، مع موضوع الملتقى ومحاوره، ليختاروا الموضوع الذي يحاضرون فيه، ويلزم الأساتذة المحاضرين بإرسال نصوص محاضراتهم قبل انعقاد الملتقى من أجل طبعها على الآلة، وسحبها، وترجمتها، لتوزع على الملتقين خلال الملتقى، ويتم ترجمة النصوص غير العربية إلى العربية، وخلال انعقاد الملتقى تتم الترجمة الفورية تعميماً للفائدة، ويدعى لهذه الملتقيات باستمرار ألف طالب على الأقل من الجامعات والمعاهد، والثانويات، ليستفيدوا مما يلقى ويتعلموا طرق البحث، والعرض، والحوار، والنقاش.

وكان المرحوم مولود قاسم يشرف بنفسه على تنظيم الملتقى، وتحديد مكانه وزمانه، ومحتواه، ومحاوره، ويعقده في أفخم الفنادق والمركبات السياحية ويشرف بنفسه ويراقب إقامة الطلاب في المعاهد والثانويات وقوائم الأكل لهم وللضيوف، ويكون أول الداخلين لقاعة الملتقى، وآخر المغادرين لها، لا تفوته شاردة ولا واردة ليلاً ونهاراً. وينظم رحلات سياحية وترفيهية للملتقين، ويوفر كل وسائل الإقامة المريحة والتنقل والتغذية لضيوف الملتقى. وخلال انعقاد الملتقى يكلف عدداً من السادة الأساتذة الزائرين بمحاضرة الطلاب ليلاً في أماكن إقامتهم، والإجابة على استفساراتهم. وفي نهاية الملتقى يكلف عدداً منهم بإلقاء محاضرات في عدد من المدن الجزائرية. وكان يتدخل بنفسه يومياً بالتعقيب والتوضيح على ما يلقى من المحاضرات والتعقيبات.

إن ملتقيات الفكر الإسلامي في عهد المرحوم مولود قاسم بمثابة أعراس ثقافية كبرى للجزائر، ومظاهرات ضخمة في ميادين الفكر والثقافة، والإبداع والحوار، والبحث، بل وحتى السياحة والترفيه. ولأول مرة في تاريخ إطارات

الشؤون الدينية يدعون للإقامة في أضخم الفنادق السياحية الكبرى، وتناول الأكلات الفخمة واللذيذة، الأمر الذي لم يكن متاحاً لهم إطلاقاً قبل ذلك. وعليهم أن يترحموا على الأستاذ مولود قاسم، ويعترفوا بأفضاله عليهم، وعلى الوزارة والاتجاه الديني ككل.

وبفضل هذه الملتقيات الفكرية الإسلامية، أصبحت الجزائر قبلة العلماء والمفكرين، والباحثين، والمؤرخين، والفلاسفة، والفقهاء، والشعراء، من كل بلدان العالم، وقد كان الأخ مولود قاسم خلالها شديد الحرص على تطبيق نظام دقيق في وقت المحاضرة، والتعقيب، والتعليق، والتدخل، وبداية الجلسة ونهايتها، والدخول والخروج، وأوقات الأكل، والصلاة، والراحة، وطبع المحاضرات، وتوزيعها، وراحة المدعوين خاصة الأساتذة المحاضرين. ومن أفضاله كذلك أنه يطبع كل ما يرد إلى هذا الملتقى، وما يلقى من المحاضرات والتعقيبات مع الصور التذكارية، في مجلدات خاصة، ويزود بها كل أستاذ محاضر فيها، مجاناً، ويعرض الباقي للبيع في المكتبات لصالح الأصالة، وقد تكونت من ذلك موسوعة ضخمة من العلوم والمعارف الإنسانية بفضل هذه الملتقيات التي كان يشرف عليها.

سادساً: مولود قاسم والتاريخ:

كان المرحوم مولود قاسم يهتم كثيراً بمادة التاريخ، رغم أن تخصصه كان في مادة الفلسفة، وذلك لأن المستعمرين الفرنسيين شوهوا تاريخ هذه البلاد وهذه الأمة الجزائرية وزوروا حقائقه، ثم أن تكوين المرحوم مولود قاسم العربي الإسلامي في جامعات إسلامية عريقة، بمسقط الرأس، والزيتونة، والقاهرة، فرض عليه ذلك، وحفزه على قراءة تاريخ بلاده وأعمال النظر فيه، والعمل على تنقيته وتصفيته من الشوائب، وإحيائه وبعثه من جديد ويعتبر ذلك جزءاً من الوطنية السليمة والمتأججة لكل مواطن غيور على بلاده ووطنه. ومن أجل ذلك فإنه عندما تولى وزارة الشؤون الدينية شرع كما قلنا في إحياء ذكريات كبار الزعماء والمقاومين الجزائريين، وإقامة مهرجانات خاصة بهم عبر الوطن لتحسيس الشعب بهم وبماضيهم، وبطولاتهم، وتضحياتهم، وفي نفس الوقت

أصبح يخصص المحور الأول من محاور موضوعات الملتقيات الفكرية الإسلامية، للتاريخ، كل سنة، ويدعو كبار الباحثين والمؤرخين للكتابة فيه داخل الوطن وخارجه، عرباً ومسلمين، وأوروبيين، ويعطي لهذا المحور أهمية خاصة، ويتتبع باهتمام كل ما يلقى فيه من محاضرات وتعقيبات ويتدخل بنفسه في كل محاضرة، ويرد ويعقب، ويوضح بشكل مكثف، كأنه محام على تاريخ الجزائر أساساً، والعربي الإسلامي بصفة عامة. وبهذا الأسلوب، سلط الأضواء على معظم جوانب التاريخ الجزائري عبر العصور، وأحياه، وأجلاه، ودفع عنه الشبه، والأباطيل، وسلط الأضواء على كل جوانب الفكر والحضارة والاقتصاد والاجتماع لهذه البلاد، وهو ما لم يدركه الشيخ شيبان للأسف الشديد. ولذلك اغتال التاريخ وأعدمه في الملتقيات الإسلامية التي أشرف عليها خلال توزره، وسار على نهجه من جاء بعده من الوزراء.

وقد أحس المرحوم مولود قاسم بعمق الجرح، ورروجع على ما يبدو ونوقش في الموضوع عندما كان وزيراً، وبعد ذلك، فرد بنفسه على من نهج نهج الشيخ شيبان وقال لهم: إن التاريخ هو ذاكرة الشعوب، ولا يمكن أن يغيب في أي ملتقى أو ندوة، فهو ملح العلوم والفنون جميعاً.

سابعاً: مولود قاسم والجدية في العمل:

كان المرحوم مولود قاسم مضرب المثل في الجدية، والانضباط، والاتقان قولاً وعملاً، طوال حياته وعلى كل المستويات في المسؤولية فكان يجمع الليل بالنهار في عمله ويسهر بالوزارة عندما ينهي الموظفون عملهم ويجدونه في الصباح قبلهم، في مكتبه. ومع الجدية والانضباط يتسم بالتواضع، ويبتعد عن الكبرياء الذي يطبع كبار الموظفين في بلادنا. ويكفي هنا أن أورد الأمثلة والشهادات التالية:

1) شهادة الشيخ السعيد الصالحي عضو المجلس الإسلامي الأعلى الذي عمل معه عدة سنوات، واختلف معه حول موضوع اعتماد الحساب في بداية شهر رمضان ونهايته، وغادر الوزارة، وكنت ألتقي به مرة على مرة، في منزله

بالجزائر وفي وهران عندما يحضر إلى ابنه الصغير هناك، وفي إحدى هذه اللقاءات معه جرنا الحديث إلى مولود قاسم فقال لنا: أشهد الله على أنه يضرب المثل في العمل ويسهر في الوزارة أحياناً إلى الساعة الرابعة صباحاً، وقد رزق صبراً كبيراً لم يرزق به غيره، واعترف له بذلك رغم أني أختلف معه في موقفه من جمعية العلماء.

2) شهادة أحد معاونيه من خنشلة عام 1978 عندما كان مرافقاً لي من مدينة قسنطينة إلى باتة عبر خنشلة لحضور ملتقى الفكر الإسلامي. فقد كنا نتحدث على قضايا كثيرة وجرنا الحديث إلى الإعداد للملتقيات الفكرية الإسلامية. فقال لنا إن الأخ مولود قاسم يبذل جهوداً جبارة في سبيل ذلك ويسهر الليالي الطوال كي يصل إلى النتائج المرجوة. ويسهر حتى الساعة الرابعة صباحاً، وأعمل معه في مكتبه وعندما يشعر بأني متعب يشير علي بأن أذهب لأنام، ولكني أرفض لسبب بسيط وهو أنه كيف أسمح لنفسي، وأنا موظف بسيط أن أذهب إلى النوم والراحة، وهو وزير ولكنه يواصل العمل، ولا يسمح لنفسه بالراحة، لقد قال لنا هذا الكلام من أعماق نفسه وهو يهزّ رأسه، ويتعجب ممن لا يعرفون مقدار الجهد الذي يبذله حتى تنعقد تلك الملتقيات في ذلك المستوى الرفيع مادياً، وروحياً، وأدبياً، مظهراً ومخبراً، وأخذ يعدد لي بعد ذلك مثل هذه المواقف في جدية المرحوم مولود قاسم وصرامته.

3) حادثة الأستاذ الدكتور صبحي الصالح الإسلامي اللبناني في ملتقى الفكر الإسلامي بتلمسان عام 1975 م فقد حاول الغمز واللمز ضد المؤرخة السورية ليلى الصباغ وقام ببعض التصرفات التي كادت أن تفجر الملتقى فصعد إلى المنصة ونزل عليه باللوم والعتاب وقال له لا حاجة لنا بالتفصح الذي يفرق الصفوف ويفرقع الجماعة، وإنما نحن بحاجة إلى وحدة التصور وجمع الكلمة، ولم يداره فكان ذلك درساً له قاسياً لاحظته على محياه عندما التقينا على مائدة الغذاء بعد ذلك.

4) حادثة الشيخ الأنصاري أحد علماء دولة الإمارات العربية المتحدة في

مؤتمر تلمسان عام 1975 م عندما انزلق لسان المرحوم مولود قاسم، وقال إن الرسول نفسه يمكن أن يخطىء، فثارت ثائرة الشيخ الأنصاري، وأرعد وأزبدّ وهدد بمغادرة الملتقى، وتدخل الشيخ أحمد حماني وموسى الصدر اللبناني، زعيم الشيعة وآخرون، وأصلحوا ذات البين واعترف الأخ مولود قاسم بأنه سبق لسان فقط. والحقيقة أن الأخ مولود قاسم في ملتقى تلمسان كان يعيش أزمات حادة، منها قطع المياه على الطلبة في محال إقامتهم، وتقاعس المسؤولين في الولاية عن تعليق اللافتات، وأداء الخدمات المطلوبة للملتقى، وضيق القاعة التي عقد فيها الملتقى، وأخطر من كل هذا هو الضغط المسلط عليه حول وجود الشاعر الكبير مفدى زكرياء، وهو له موقف معروف من الرئيس بومدين والحزب، ويبدو أن هناك ضغوطاً عليه ليصرفه عن الملتقى، ومع أنه لم يفعل ذلك، ولكنه لم يسمح له بإلقاء القصيدة التي أعدها لذلك. في مثل هذه الظروف والضغوطات كيف لا ينزلق اللسان ولا يجنّ العقل، خاصة وأن الرئيس كان مبرمجاً أن يزور الملتقى، وقد زاره فعلاً بالليل في الجلسة المسائية وقبل رفعها بقليل.

5) حادثة الشيخ أحمد حسين وحكاها لي الأخير بنفسه، ولم يطق صبراً على تحملها، وغادر الوزارة بصفة نهائية، ولكنه قال لي بعد أن قصّها على أن قلب سي مولود نقي، ولكنه شديد التسرع والانفعال. وهي حقيقة، ولكنه في سبيل المصلحة الوطنية، وسرعان ما يعترف هو بنفسه عندما يدرك خطأه، ويحاول إصلاح ما أفسده تسرعه.

6) حادثة المفكر الإسلامي الجزائري رشيد بن عيسى في ملتقى بجاية عام 1974 فقد كان يعقب على محاضرة الأستاذ مولاي بلحميسي وكان المرحوم مولود قاسم جالساً أمام المنصة، وبجانبه محافظ الشرطة ولم يعجبه تعقيب بن عيسى وحاول أن يناقشه من القاعة، وهو أسلوب خارج عن النظام، فردّ عليه بن عيسى بعنف ونرفزة، من على المنصة، ولم يطق الأخ مولود ذلك العنف وتشابك معه بكلام أشد عنفاً، وقال له انزل يا حمار، وكانت زوجته تتفرج من القاعة على المنظر، والمسرحية، فنزل وغادر القاعة ولحقت به زوجته، وجرى

وراءه الأخ مولود، وآخرون ليعيدوه فرفض ولم يعد من ذلك التاريخ لحضور الملتقيات، وحصلت له مشكلة مع المرحوم محمد الصديق بن يحيى ومع النظام كله فغادر الجزائر، ليتوظف في منظمة اليونسكو بباريس، وقد حضر كزائر في ملتقى الفكر الإسلامي بالجزائر العاصمة عام 1981 وأعطيت له الكلمة ليعقب فجرح في شخصية معروف الدوالي السوري الذي كان حاضراً، واتهمه بالعمالة للمخابرات الغربية، واضطر الوزير الشيخ عبد الرحمن شيبان أن يتدخل ويعقب ليرفض مثل هذه التعقيبات.

ثامناً: مولود قاسم والأصالة والتفتح:

كان المرحوم مولود قاسم مفكراً إسلامياً أصيلاً، شديد التمسك بالشخصية الوطنية الجزائرية في إطار الإسلام والعروبة، وذلك بفضل ثقافته العربية المتينة، وإطلاع الواسع، ولكنه مع ذلك كان يدعو إلى التفتح على الثقافات العالمية للانتفاع بمحاسن التطور، واستغلالها في نهضة الجزائر وترقية شعبها، بشرط ألا يكون ذلك التفتح سبباً في التنكر لعادات وتقاليد البلاد وللإرث الحضاري المشرق الذي بناه وشيده الأجداد عبر العصور بجهودهم وعرقهم. وخاطب هذا النوع من المثقفين المنحرفين وقال لهم إنكم تدعوننا لفتح الأبواب والنوافذ، وإزالة السقوف، وتعريتنا من كل ألبستنا، وفصلنا عن ماضينا ومقوماتنا الوطنية، ولعل تسمية مجلته بالأصالة يترجم هذا الاتجاه والمنحنى الوسط للأخ مولود الذي يجمع بين الأصالة والمعاصرة والتفتح دون شطط، وبكيفية عقلانية مهذبة ومعقولة ومقبولة وهو اتجاه كل الوطنيين المخلصين الغيورين على بلدانهم وشعوبهم وحضارتهم.

وللأسف الشديد فإن أغلبية شبابنا اليوم يدعون لفتح الأبواب والنوافذ وإزالة السقوف، والغوص في حضارة الغير، ولو مع التخلي عن كياننا ومقدساتنا الدينية والوطنية لأن مغريات الغير اليوم كثيرة جداً، وتقتحم ديارنا بدون استئذان عن طريق الفيديو، والكاسيت، والبارابول، وهي أخطار كبيرة ومرعبة، تهددنا بالانسلاخ عن ماضينا، والذوبان في حضارة غيرنا إذا لم نواجهها بما تستحق من الوسائل قبل فوات الأوان، وكان الأخ المرحوم مولود

قاسم يدركها جيداً، وحاربها بكل ما أوتي من قوة ووسائل وإمكانات قولاً وعملاً وسلوكاً.

تاسعاً: مولود قاسم والمواقف الحاسمة:

كان المرحوم مولود قاسم شديد الحرص على حماية كرامة الجزائر، والدفاع عن مقدساتها الوطنية التي طالما أهانها وأذلها الاستعمار الفرنسي. ولم يكن يتسامح إطلاقاً في هذا مع أي كان داخل الجزائر وخارجها مع الجزائريين وغيرهم. والنماذج التالية: توضح بعض جوانب ذلك:

1) في عقد السبعينات قام المرحوم مولود قاسم وزير التعليم الأصلي والشؤون الدينية بزيارة الاتحاد السوفيتي، على رأس وفد عام من وزارته، وفي مطار موسكو استقبله موظف بسيط لا يتناسب مع منصبه كوزير، ويتعارض مع الأعراف الديبلوماسية. وأكثر من هذا نظمُوا له زيارة لكنيسة مسيحية أورثوذوكسية بدل أن يزوروه المآثر الإسلامية هناك وبآسيا الوسطى. وهو وزير مسلم لأمة مسلمة طالما عانت من الغبن المسيحي النصراني الأوروبي، وكافحت عشرات السنين من أجل إعادة الاعتبار لدينها الإسلامي. ولم يطق صبراً على تحمل ذلك، وتشاجر معهم وقطع زيارته، وعاد إلى الوطن بسرعة، رغم أن الاتحاد السوفياتي كان أكبر صديق للجزائر خلال الثورة، والممون الرئيسي لها بعد ذلك بالأسلحة والعتاد العسكري بالنسبة للجيش الوطني الشعبي. لأن مقدسات البلاد الدينية فوق كل اعتبار. ولم يراع صرامة الرئيس بومدين في هذا الميدان، وأعتقد أنه لو كان الموقف مع وزير آخر غير مولود قاسم ما اتخذ هذا الموقف. ومن ذلك التاريخ لم يزر مولود قاسم الاتحاد السوفياتي رسمياً حتى توفي. لقد أخذ بزمام الموقف وضحى بالأبهة، واستصغر ما قد يتعرض له من طرف الرئيس بومدين.

2) عندما زار الرئيس الفرنسي فاليري جيسكار ديستان الجزائر في عهد الرئيس بومدين خلال عقد السبعينات، خطب في مطار الدار البيضاء وقال بالحرف الواحد: «فرنسا التاريخية تحيي الجزائر الجديدة» وهي مقولة فيها ما

فيها من الغمز واللمز لأنها تعني فيما تعني أن فرنسا ذات تاريخ، والجزائر لا تاريخ لها وقد ولدت من جديد عام 1962 م، فأثارت حفيظة المرحوم مولود قاسم ورد عليها وعليه وكان ذلك على ما أظن سبباً في تأليفه لكتابه: «علاقات الجزائر الدولية ومكانتها العالمية». بينما مرت هذه المقولة على غيره مرور الكرام، وذهبت مع الريح، ولم يحس بها إلا القليل.

3) في خلال شهر ديسمبر 1984، وبمناسبة الاحتفال بالذكرى الثلاثين لاندلاع ثورة أول نوفمبر 1954، نظمت وزارة الثقافة ملتقى تاريخي بنزل السفير في مدينة الجزائر دعينا إليه وحضره المرحوم مولود قاسم، وصادف أن شكك أحد الحاضرين في رقم مليون ونصف المليون شهيد، واعتبر ذلك مبالغة فثارت ثائرته، وأرعد وأزبد وكنت واقفاً بجانبه بعد نهاية الجلسة، وقال إن اليهود يزعمون أن النازيين قتلوا منهم ستة ملايين وهو زعم باطل، ولكنهم رسخوه في قلوب الجميع على مستوى القارات الخمسة خاصة البلدان الغربية الأوروبية والأمريكية ولو كان باستطاعتهم أن يلصقوا لافتة بذلك الرقم في السماء لفعلوا، ونحن اليوم نشكك في هذا الرقم المتواضع الذي أصبح شعار هذه الثورة في كل أنحاء العالم. وبالطبع هو محق في رأيه مليون في المائة.

4) وفي نفس الملتقى شاركت أنا بموضوع حول أيديولوجيات الحركة الوطنية من خلال ثلاثة نصوص جزائرية، ومن بين ما ذكرته في الموضوع خلال المحاضرة، المفارقة العجيبة التي حصلت خلال الثورة، وعكست الموازين والمقاييس، فالزعيم فرحات عباس الذي كان يدعو للإدماج والتجنيس وربط مصير الجزائر بفرنسا ربطاً أبدياً وبأي شكل من الأشكال أصبح على رأس قمة هرم جبهة التحرير الوطني وهي الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية بالمنفى عام 1958 م.

والزعيم مصالي الحاج الذي كان ينادي باستقلال الجزائر وكل بلدان الشمالي الإفريقي منذ نهاية الحرب العالمية الأولى، وقضى حياته كلها في السجون والمنافي والإقامات الجبرية داخل الجزائر وخارجها، اتهم بالخيانة

عندما قامت هذه الثورة وحتى الآن لم يرد له اعتباره. فلم يستسغ هذا الكلام السيد محمد قنانيش أحد قدماء مناضلي هذا الاتجاه الذي هو من تلمسان مسقط رأس الزعيم مصالي الحاج، فطلب التعليق وأدلى بكلام عاطفي بعيد عن المنطق والصواب، وغادر القاعة دون أن يسمع ردي وجوابي الذي قلت فيه: إن جبهة التحرير الوطني الجزائرية هي التي أعلنت الثورة، وهي التي أصدرت هذا الحكم ضده، وكنا نتمنى أن تعيد لهذا الزعيم اعتباره كما أعادت الاعتبار لغيره. وما قلناه منبثق من الوثائق موجودة في حوزتنا وكان المرحوم مولود قاسم حاضراً العرض والمناقشة، ولم يتكلم في ذلك اليوم ولكنه في اليوم الموالي حضر وطلب الكلمة في غيابي وقال كلاماً جميلاً لا اختلاف معه فيه. ودافع عن الرجل، وذكر أنه لولاه ما عرف الناس فكرة الاستقلال، ولا كانت هناك ثورة أو استقلال والطريف في دره هو أنه طوال حديثه الذي استغرق على ما قيل لي، لأني لم أكن حاضراً، بل كنت في إحدى القاعات الجانبية أسجل للتلفزة حديثاً بالمناسبة، استغرق حوالي ساعة، كان يوجـه الانتقاد للأستاذ إسماعيل العربي، وعندما حضرت إلى القاعة وهو في ختام كلامه، ورآني تفطن للمقلب وأرسل إلى المنصة اعتذاراً إلى الأستاذ إسماعيل العربي الذي ضاق ذرعاً وغادر القاعة، وضحك هو وضحك جميع من في القاعة. وأجمل شيء قاله عن مصالي هو أنه في مهرجان وفد المؤتمر الإسلامي عام 1936 حمل شيئاً من التراب في الملعب وقال لهم إن هذا التراب لا يباع ولا يشترى ولا يرهن فمن أذن لكم بالموافقة على إدماج الجزائر في فرنسا، وأنتم لا تمثلون إلا أنفسكم.

والخلاصة من كل هذا هو أن المرحوم مولود قاسم لا يتردد في قول الحقيقة واتخاذ المواقف الحاسمة عندما يتصل الأمر بكرامة الجزائر، ومقدساتها الدينية والوطنية. أما مصالي الحاج فهو أبو الحركة الوطنية الجزائرية دون منازع منذ نهاية الحرب العالمية الأولى إلى نوفمبر 1954 م، ولا يستطيع أحد أن ينكر له هذا. أما بعد ذلك فلله في خلقه شؤون، ولا خلاف إطلاقاً بيني وبين الأخ المرحوم مولود قاسم لأننا معاً من نفس المدرسة والاتجاه، والتكوين.

عاشراً: مولود قاسم والتعريب:

كان المرحوم مولود قاسم بحكم وطنيته التي لا تقارن، وثقافته الأصيلة، وتكوينه المتين والراسخ، حريصاً كل الحرص على أن تستعيد اللغة العربية مركزها، ومكانتها في هذه البلاد. وهي إحدى الأماني التي يتقد حرارة لإنجازها، وعندما كان موظفاً في وزارة الشؤون الخارجية يحاسب العاملين تحته على النقط والفواصل، عندما لا يحسنون وضعها في أماكنها، كما حدثني بذلك الأخ الخصير صالحي، الذي أكد لي أنه كان يطلب إعادة كتابة الرسالة أو التقرير، مرة وثانية وثالثة من أجل نقطة أو فاصلة، أهملت أو وضعت في غير مكانها فضلاً عن كلمة أو جملة غير صالحة.

وكان يستهجن ويستنكر التحدث بغير العربية لغة العلم، والقرآن والحضارة أكثر من خمسة عشر قرناً، إلاّ عندما يتطلب الأمر ذلك. وأتذكر هنا يوماً كيف أنب وعاتب الشيخ المهدي البوعبدللي في قاعة المحاضرات خلال إحدى الملتقيات للفكر الإسلامي عندما كان يذكر ألقاب: الكولونيل، والجنرال، وقال له: كفى يا شيخ إن في العربية ألقاباً مقابلة لها مثل، العقيد، والمقدم، فما بالك لا تستعملها، عيب يا شيخ.

وقد واكب المرحوم مولود قاسم حركة التعريب في الجزائر، وعانى أكثر من غيره حركة المعارضين لها. وكان ضمن المجموعة التي أعدت وجهزت لتطبيق التعريب عام 1971 التي أعلنت سنة للتعريب الشامل، وبعد خروجه من الوزارة أسندت إليه رئاسة المجلس الأعلى للغة العربية، وكلف بمراقبة تنفيذ قرار التعريب، وتنقل في كل أنحاء البلاد ولاية فولاية، وبح صوته من الخطب، والشروح، والتعليقات، وإلفات النظر في الندوات والملتقيات، والمهرجانات والمحاضرات، وأطلع نفسه وفي عين الأماكن على العراقيل والصعوبات التي يضعها أعداء التعريب في طريقه، وعلى المؤامرات التي يحيكونها ويدبرونها كل مرة. وتحمل عبء إعداد قانون تأسيس أكاديمية 19 جوان للغة العربية، وتكلف بإعداد إنشاء مجمع اللغة العربية بالجزائر على غرار المجتمعات العربية

الأخرى في البلاد العربية، ولكن المنية عاجلته واختطفته قبل أن يحقق أمله، وأمل كل المخلصين لهذه البلاد ولإرثها العربي الإسلامي الضخم.

ومن السيئات التي نسجلها هنا للرئيس العظيم هواري بومدين هو أنه كان في مقدوره عام 1971 أن يطبق التعريف لأنه كان في موقف قوة داخلاً وخارجاً ولا أحد يمكن أن يعارضه ولو فعل ذلك ما أمكن أن تحصل اليوم هذه الردة التي نعيشها. والتي تطالب بلائكية الدولة، وأمازيغية اللغة. وكلاهما لا يخدم مصالح هذه البلاد وهذه الأمة الجزائرية وعلى العكس يهددان وحدتها وأمنها واستقرارها، وتقدمها، لقد فوت الرئيس بومدين فرصة ثمينة قد لا تعوض في المستقبل إلا إذا حدثت تطورات غير متوقعة مهداة من الله سبحانه وتعالى وهو قادر على ذلك، وليس بعزيز عليه، على أي حال، وهو ما نتمناه ونتعشمه.

وقد تألم المرحوم مولود قاسم كثيراً عندما حيكت مؤامرة إلغاء معاهد التعليم الأصلي، وإلحاقها بالتعليم العام عام 1976 كما تألم أكثر عندما أصدر المجلس الاستشاري عام 1992 قرار بتوقيف العمل باللغة العربية، الذي أصدرة المجلس الشعبي الوطني عام 1991 م. لأن ذلك بمثابة ردة في الحقيقة والواقع لآمال الأجيال المتوالية منذ 1830 إلى ذلك التاريخ، وقد كان قرار الردة هذا من مجلس استشاري غير منتخب، بمثابة غصة له ولأمثاله من المخلصين، ضاعفت من آلامه، وصارت إحدى العوامل التي ضاعفت من آلامه ومرضه الذي أدى إلى وفاته.

وهنا لا بد من إيراد خلاصة للقصة التالية التي سوف توضح للأجيال الصاعدة قيمة هذا الرجل، وعظمته، ومدى حبه للجزائر وللإسلام واللغة والثقافة العربية الإسلامية.

فبعد اتخاذ قرار تحديد الأجل للعمل باللغة العربية، وتعريب المواد العلمية في الجامعات الجزائرية، سافر على رأس وفد إلى المشرق العربي وانتقى من هناك خاصة العراق وسوريا نخبة من الكتب العلمية ليعتمد عليها طلاب الشعب العلمية وأساتذتهم كخطوة أولى لإعداد الكتب الأخرى أو

ترجمتها. وتم شحن هذه الكتب بحراً إلى الجزائر فحجزت في الميناء عدة شهور من طرف إدارة الجمارك، بإيحاء أعداء التعريب، وخلال تلك المدة رمي بجزء كبير منها في البحر، نعم رمي بها في البحر، وما بقي منها تم إخراجها بصعوبة، وأحضر إلى مقر المجلس الأعلى للغة العربية في قصر الحكومة وأودع هناك ثم لما صدر قرار ترحيل هذا المجلس إلى مقر حزب جبهة التحرير الوطني في قصر زيروت يوسف شحنت تلك الكمية إلى هناك، ووضعت في حجرة خاصة أغلقها المرحوم مولود قاسم بنفسه حتى يضمن سلامتها وعدم ضياعها. ولكن المجرمين أعداء التعريب كسروا باب الحجرة وأخذوا تلك الكتب إلى وجهة مجهولة حتى اليوم وبالتأكيد أعدموها وأتلفوها وكان سي مولود في هذه الفترة مريضاً، فأخفوا عليه الخبر مدة ثم كاشفوه بالحقيقة. فتضاعف ألمه ومرضه، وقال لأحد مساعديه الذي حكى لي القصة بنفسه في مدينة برج بوعريريج عام 1993 م، وكان يعمل معه في نفس المجلس، قال له: لقد انتهى عهدي ودوري، وتوفي بالحسرة والغصة من كل تلك الأعمال الإجرامية.

هكذا اغتال أعداء الجزائر لغتها وحضارتها، واغتالوا معها هذا الرجل العظيم مولود قاسم، الذي لو كان بمقدوره أن يحمل الجزائر على كتفيه لحملها وقد أطلق على بنته الوحيدة بعد أخيها، اسم الجزائر، نعم: الجزائر، وما ذلك إلاّ حبّاً في بلاده، فمن يفعل هذا من غيره يا ترى؟

إن الكتابة عن المرحوم مولود قاسم، ومآثره، وخصاله، لا يمكن أن يحيط بها موضوع كهذا، لأن الرجل عظيم حيّاً وميتاً، وإذا غاب عنا جسمه، فإن مآثره باقية وخالدة خلود الجزائر، وهو أهل لأن يطلق اسمه على إحدى جامعاتنا الكبرى لأنه موسوعة علم، ودائرة معارف، وقدم للجزائر خدمات كبرى، ولم يتوقف عن ذلك إلا عندما اختطفه المنون، وما هذه المآثر التي استعرضناها في هذا المجال إلاّ تحية له وهو عند ربه آمناً بفضل الزاد الذي قدمه من قول وعمل، وبفضل تقواه وطهارته وإخلاصه وشدة إيمانه، وما بذله من جهود متواصلة في سبيل الإسلام والقرآن، ولغة القرآن وحضارة القرآن.

فلينم قرير العين، وليطمئن بأن أبنائه وأحفاده وما أكثرهم سيواصلون دربه، وسيخلصون بإسلامها، وعروبتها، وأصالتها، ويتفانون في خدمتها مثلما خدمها هو وأخلص لها، وإنّا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم. والله أكبر ولله الحمد[1].

نماذج من أعلام الفكر والثقافة

في منطقة جبال جرجرة

1) أبو محمد عبد السلام الزواوي: هو زين الدين عبد السلام بن عمر بن سيدي الناس الزواوي، ولد في بجاية عام 589 هـ (1193 م)، ونبغ في علوم الفقه، والقراءات، وعلوم اللغة والأدب، وعندما تقدمت به السن، رحل إلى المشرق، وتنقل بني الاسكندرية، والقاهرة، ودمشق، التي اتخذها مقاماً له، وتولى هناك مشيخة الإقراء الكبرى بالتربة الصالحية، كما تولى قضاء المالكية، وتصدى للتدريس والتعليم، والإفتاء حتى توفي عام 681 هـ (1282 ـ 1283 م)، وسار في جنازته نائب الشام لاجين، مما يدل على المكانة العلمية التي كان يحتلها.

2) العالم يحيى بن معطى النحوي: ولد أبو الحسين زين الدين يحيى بن عبد المعطي بن عبد النور الزواوي في قرية إفرا وسن بجبال جرجرة عام 564 هـ (1169 م)، ودرس في صغره على علماء المنطقة، وتفقه على المذهب المالكي، ثم رجل إلى المشرق واعتنق المذهب الشافعي ثم الحنفي، واستقر في دمشق الشام، ودرس على ابن عساكر، وغيره، حتى نبغ في علوم اللغة والأدب، وتصدى للتدريس في الجامع الأموي إلى أن استدعاه الملك العادل إلى مصر، فانتقل إلى القاهرة، وتصدى لتدريس علوم اللغة في الجامع الأزهر،

(1) حررنا هذا المقال وأنهيناه يوم الأربعاء 1 جمادي الأولى عام 1413 الموافق 28 أكتوبر 1992 ونشرناه في جريدة الشعب على ثلاث حلقات خلال شهر أوت 1993 بمناسبة الذكرى السنوية الأولى لوفاته.

حتى توفي عام 628 هـ (1231 م)، وخلف لنا من ورائه عدداً من التآليف في الأدب، والنحو، والعروض، وعلم القراءات، منها:

ـ الدرة الألفية في علم العربية، وموضوعها النحو، والصرف، بدأها بقوله:

يقـــول راجـــي ربـــه الغفـــور يحيى بن معطى بن عبد الغفور

وقلده فيها ابن مالك في ألفيته النحو كذلك.

وقد طبعت ألفية ابن معطى في مصر، وفي ليبزق بألمانيا، وشرحها كثيرون منهم الشربيني.

ـ كتاب الفصول.

ـ كتاب العقود والقوانين في النحو.

ـ حواشي على أصول ابن السراج في النحو.

ـ شرح كتاب الجمل للزجاجي في النحو.

ـ شرح أبيات سيبويه، شعراً.

ـ نظم لكتاب الجمهرة في اللغة لابن دريد.

ـ نظم كتاب في العروض.

ـ ديوان خطب.

ـ كتاب المثلث.

ـ نظم كتاب الصحاح للجوهري.

إن ابن معطي من المجتهدين في علوم قواعد اللغة والأدب، وبقيت كتبه في هذا الميدان مرجعاً أساسياً في كل الجامعات الإسلامية شرقاً وغرباً حتى القرن الحالي.

علماء أسرة بني غبرين:

أنجبت أسرة بني غبرين في منطقة العزازقة بجبال جرجرة عدداً لا بأس به من العلماء الأفاضل خدموا الفكر والثقافة العربية الإسلامية داخل الجزائر وخارجها منهم:

3) **أبو العباس أحمد الغبريني**: ولد عام 644 هـ (1246 ـ 1247 م)

وتعلم في صغره العلوم العربية، وحفظ القرآن الكريم، وتفقه في العلوم الدينية، والشرعية، والفلسفية، ودرس علوم الدراية والرواية، في بجاية، وتونس، وأورد في كتابه: عنوان الدراية قائمة طويلة للعلوم والمعارف، والكتب التي درسها، وللشيوخ والعماء الذين درس وتعلم عليهم، وشغل وظيفة التدريس في بجاية، وجامع الزيتونة بتونس، وتولى وظيفة القضاء في عدة أماكن ومنها بجاية.

وفي أواخر حياته ذهب في سفارة إلى تونس من قبل السلطان أبي البقاء خالد، إلى صاحب تونس محمد الواثق أبي عصيدة من أجل تمتين الروابط، وفي عودته من هناك إلى بجاية وشى به ظافر الكبير إلى سلطان بجاية، وأشاع لديه بأنه داخل سلطان تونس، وحرضه على غزو بجاية، فصدق أبو البقاء خالد هذه الوشاية، واعتقل الغبريني وسجنه وقتله عام 704 هـ (1304 ـ 1305 م)، وخلف لنا من ورائه كتاباً جليل القدر، في تراجم علماء بجاية وأحوازها سماه: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، طبعه المرحوم محمد بن أبي شنب في مطلع هذا القرن، وأعاد طبعه المرحوم رابح بونار عام 1981 م، وترجم فيه الغبريني لمائة وأحد عشر من العلماء، والأولياء، والفقهاء.

4) ابنه أبو القاسم أحمد الغبريني: الفقيه، والإمام، والخطيب، درس ببجاية، ثم بتونس على الفقيه ابن عبد السلام، وأضرابه، وتولى منصب الفتيا بتونس، ودرس عليه عدد من علماء تونس منهم ابن عمه القاضي أبو مهدي عيسى الغبريني، وأبو عبدالله القلشاني، وتوفي هناك بعد عام 770 هـ (1368 ـ 1369 م).

5) وولده الآخر أبو سعيد أحمد الغبريني: الفقيه، والخطيب، والمستشار، لعامة الناس، ولم يسجل كتاب السير تاريخ ميلاده ووفاته.

6) أبو مهدي عيسى بن أحمد الغبريني: قاضي الجماعة بتونس، وعالمها، وخطيبها، وحافظ الحديث فيها، قال عنه الشيخ عبد الرحمن

الثعالبي، بأنه أوحد زمانه علماً، وديناً، وقد ناب عن الشيخ الفقيه ابن عرفة في الخطبة بجامع الزيتونة عندما ذهب إلى الحج عام 972 هـ (1390 م) وتوفي عام 816 هـ (1413 ـ 1414 م).

7) **أبو محمد عبد الحق بن يوسف بن جماعة الغبريني**: فقيه، ولغوي، ونحوي، تولـى القضاء في بعض كور بجاية، ولم يسجل كتاب السير تاريخ مولـده ووفاته.

8) **الشيخ عيسى بن مسعود بن المنصور بن يحيى المنقلاتي**: فقيه، وأصولي، وأديب، ولد في بني منقلات عام 664 هـ (1265 م ـ 1266 م)، وتفقه في بجاية على أيدي الشيخ أبي يعقوب الزواوي، وحفظ مختصر خليل في مدة ثلاثة أشهر ونصف الشهر، كما حفظ موطأ مالك في الفقه وتنقل بين بلاده، والاسكندرية، والقاهرة، ودمشق، وتولى في هذه الأخيرة منصب قاضي الجماعة، ودرس في الأزهر الشريف، وقال عنه ابن فرجون، بأنه إمام في الفقه، انتهت إليه رئاسة الفتوى على مذهب مالك في الديار المصرية، والشامية.

ومن مؤلفاته في الفقه والتاريخ:

- شرح صحيح مسلم في الحديث سماه: إكمال الإكمال في 12 مجلداً.
- شرح مختصر ابن الحاجب في الفقه، في سبع مجلدات ولم يكمله.
- اختصر جامع ابن يونس في شرح المدونة.
- صنف في الوثائق والمناسك، وعلم المساحة، ومناقب مالك والشافعي.
- رد على ابن تيمية في مسألة الطلاق.
- ألّف كتاباً في التاريخ في عشر مجلدات وصل إلى النصف.
- شرح الرسالة العضدية في علم الوضع.

9) **الشيخ يعقوب بن يوسف المنقلاتي**: من أهل القرن السابع الهجري (13 م) درس وتفقه في بجاية، وتونس، وتضلع في الأصول، والفقه، والتوحيد، وتصدى للتعليم والتدريس والإفتاء في بجاية حتى توفي في بني

منقلاث نفسها عام 690 هـ (1291م).

10) وإلى جانبه يمكن الإشارة كذلك إلى الفقيه والمحدث الشيخ عطية الله بن منصور الزواوي، من آيت إيراثن، والشيخ أحمد بن عيسى البجائي، شيخ عبد الرحمن الوغليسي، وأبي الحسن المنقلاثي، والشيخ أحمد بن عمر الدللسي، وأحمد الزروق بن مصباح، والحسين بن أعراب البيراثني من آيت إيراثن، وأحمد بن أياس الفليسي.

11) الشيخ أحمد بن إدريس اليلولي البجائي: من علماء القرن الثامن الهجري (14 م)، توفي بعدم عام 760 هـ (1359 م)، تضلع في العلوم والمعارف الإسلامية خاصة الفقه، وتصدى للتدريس والإفتاء في بجاية، ودرس عليه عبد الرحمن بن خلدون وأبوه يحيى، وعبد الرحمن الوغليسي، ألف عدة رسائل في أغراض شتى، ونقل عنه ابن زاغو التلمساني، ومحمد الشاذلي، ويحيى الرهوني، وابن عرفة التونسي، وابن سلامة البسكري، ودرس عليه عالم وهران ووليها، محمد بن عمر الهواري كذلك، وله زاوية صوفية مشهورة ما تزال إلى اليوم في مسقط رأسه بعرش إيلولن في دائرة العزازقة لأنه كان صاحب زاوية ومدرسة صوفية مشهورة بالمنطقة كلها التي تستقطبها في عصره مدينة بجاية - ويعتبر أحمد بن إدريس أحد رواد التصوف في الجزائر والمغرب الإسلامي بصفة عامة.

12) الشيخ أبو زيد عبد الرحمن الوغليسي: من علماء القرن الثامن الهجري (14 م)، ولد وتربى في بني وغليس على بُعْدِ حوالي ميل من قرية سيدي عيش جنوب بجاية على الضفة اليسرى لواد الصومام، تضلع في العلوم والمعارف العربية الإسلامية حتى أصبح إماماً فيها خاصة مادة الفقه، وتولى وظيفة الإفتاء والإمامة بالجامع الكبير في بجاية، ولقب بشيخ الجماعة، وتتلمذ على الشيخ ابن إدريس، ودرس عليه الخلدونيان، وأبو القاسم المشدالي، ومحمد بن عمر الهواري الوهراني، وعبد الرحمن الثعالبي.

ومن تآليفه المشهورة: منظومة الوغليسية في الفقه التي شرحها كل من

أحمد زروق البرنوسي، ومحمد السنوسي التلمساني، ويحيى العيدلي، وعبد الرحمن الصباغ، وقد توفي الوغليسي عام 786 هـ (1384 م)، ومن تلاميذه كذلك علي بن عثمان المنقلاتي.

ويمكن أن نضيف إليه الفقيه والخطيب، والمفتي الموثق، محمد بن إبراهيم الوغليسي كذلك، الذي له شهرة في كتابة الرسائل السلطانية وعقود التوثيق، لتعمقه في علم الفقه والحديث والفرائض.

العلماء المشداليون:

أنجبت قبائل إيمشدالن عدداً لا بأس به من العلماء والمفكرين، خدموا الفكر والثقافة العربية الإسلامية، وأثروها إثراء واسعاً، ومنهم:

13) **الشيخ عمران بن موسى المشدالي**: الذي ولد عام 670 هـ (1271 ـ 1272 م) بإمشدالن، ودرس بها، ثم رحل إلى بجاية، وبقي بها حتى حاصرها السلطان الحفصي، ففر إلى الجزائر، واستدعاه السلطان الزياني أبو تاشفين إلى تلمسان، وتفرغ هناك للتدريس والإفتاء، والإقراء حتى توفي عام 745 هـ (1347 ـ 1348 م). وترجم له أحمد المقري بتوسع في كتابه نفح الطيب وهو صهر وقريب أبي علي ناصر الدين المشدالي كذلك، واشتهر بالتفقه، ولقب بالحافظ لتعمقه وتضلعه في علوم القرآن والحديث.

14) **الشيخ محمد بن أبي القاسم المشدالي**: إمام وخطيب، وفقيه ومفتي، درس ببجاية ثم انتقل إلى تونس حيث باشر التدريس والإفتاء، حتى توفي عام 866 هـ (1461 ـ 1462 م) واعتمد على فتاواه كل من الونشريسي صاحب كتاب المعيار، والمازوني، صاحب كتاب نوازل مازونة، ونقلا الكثير من فتاواهما عنه في كتابيهما.

15) **الشيخ محمد بن عبد الحق المشدالي**: فقيه ومحدث، رحل إلى المشرق في طلب العلم والمعرفة.

16) **الشيخ أبو علي منصور بن أحمد بن عبد الحق المشدالي**: فقيه ومحدث، وأصولي، ومفسر، أشاد به معاصره أحمد الغبريني، وأشاد بشروحه

وتأليفه في الفقه، والحديث، والمنطق، واللغة. رحل إلى المشرق وبقي بها نيفاً وعشرين عاماً، ولقي الكثير من علماء الإسلام واستفاد منهم، وأفادهم، وعندما عاد تصدق للتدريس حتى توفي عام 731 هـ (1330 ـ 1331 م).

17) أبو الفضل محمد المشدالي: ابن محمد بن أبي القاسم المشدالي ولد في أمشدالة عام 820 هـ (1417 م)، وحفظ القرآن الكريم في صغره، وأتقن القراءات السبع المشهورة وعلوم القرآن الأخرى، ونبغ في العلوم الدينية والعربية، كالفقه، والأصول، والبلاغة، والتوحيد، والنطق، وحفظ كثيراً من المتون، والشروح، ودواوين الشعر، وانكب على الدراسة، والتحصيل، بكل شغف لعلوم الحساب، والفلك، والمنطق، والعروض، والبيان، والفقه، والتوحيد، وغيرها.

ولم يكتف بما حصله في بلاده فرحل إلى تلمسان، ودرس على ابن مرزوق الحفيد علوماً أخرى مثل الجدل، والطب، والهندسة، ثم عاد إلى بجاية، وتنقل بينها، وبين عنابة، وقسنطينة وتونس، وقبرص، والقاهرة، وجدة، والمدينة، ومكة، وفي العودة من الحج جاور الأزهر، وتفرغ للتدريس فيه، وحظي بسمعة كبيرة، وتعرف عليه السخاوي، وأعجب به، وترجم له في كتابه: الضوء اللامع، وحكى عن دروسه، وغزارة علمه، وقد توفي في عينتاب بالشام عام 864 هـ (1459 ـ 1460 م) بعد أن عاد إلى هناك.

18) الشيخ محمد الصالح بن سليمان العيسي المشدالي: من شرفاء قرية العش بإمشدَّالَنْ درس في بلاده، وفي تونس، وعندما تضلع عاد إلى وطنه وتفرغ للتدريس في بني عيسى مدة إلى أن استدعاه الشيخ محمد بن عبد الرحمن القشطوتي إلى زاويته بآيت إسماعيل ليساعده على التدريس والتعليم، والتأليف، والتربية، فتخرج عليه عدد كبير من طلبة العلم.

وألف عدة أعمال في اللغة والقواعد مثل:

- ميزان اللباب في قواعد البناء والإعراب.
- الدليل على الأجرومية.

ـ شرح على الأزهرية.
ـ حاشية على الصغرى في المنطق للأخضري سماها: المحتاج في شرح معاني السراج.
ـ رياض السعود في ما لله من العجائب والحدود.
ـ شرح على البردة للبصيري.
ـ شرح على السلم في المنطق للأخضري.

توفي عام 1242 هـ (1826 ـ 1827) ودفن إلى جوار شيخه محمد بن عبد الرحمن القشطولي.

19) ابنه أحمد الطيب بن محمد الصالح المشدالي: تتلمذ على والده، وألّف مثله عدداً من التآليف والشروح منها:
ـ الدرة المكنونة.
ـ تكملة الفوائد في تحرير العقائد على أم البراهين.
ـ مفتاح الأحكام، منظومة في ألف بيت شرحها تحت عنوان: تذكرة الأحكام.
ـ منظومة: نصرة الأخوان في إحجاج الفقهاء بالبرهان.
ـ مفيد الطلبة: شرح على متن الأجرومية في النحو.
ـ الفرق العصرية، وموضوعه أحكام الفتاوى.

20) ويمكن أن نضيف إلى هؤلاء الشيوخ: يحيى بن أبي يعلى الزواوي، الذي ولد في بني عيسى، ودرس في قلعة بني حماد على ابن الخراط، وغيره، ثم رحل إلى المشرق، وتجول في عواصمه وحج ثم عاد إلى بجاية، وتصدى للتدريس والإفتاء، حتى توفي عام 611 هـ (1214 ـ 1215). وكان يطعم الفقراء، ويجمع لهم المال من الأغنياء، ولا يأكل إلا لحم السمك الذي يصطاده بنفسه.

21) العالم محمد بن عمر المليكشي: أدب وشاعر، وكاتب، وفقيه، من بني مليكش، درس في بلاده أولاً، ثم رحل إلى المشرق، ودرس بالإسكندرية، والقاهرة، وشغف بالرواية والتصوف. تولى خطة الإنشاء بتونس، وتحدث عنه

كل من أحمد المقري في كتابه نفخ الطيب، ولسان الدين بن الخطيب في كتابه: الإكليل الزاهر.

وقد زار الأندلس، وتغزل في فتاة بمدينة مالقه عند باب الملعب وقال:

لـم أنـس وقفتنـا ببـاب الملعـب ... بين الرجا واليأس عن متجنب
وعدت فكنت مراقباً لحديثها ... بـأذل وقفـة خـائـف متـرقـب
وتـدللـت فـذللـت بعـد تعـزز ... يـأتي الغـرام بكـل أمـر معجـب
بدوية أبدى الجمال بوجهها ... ما شئت من خد شريق مذهب

وقد توفي في غرة شهر محرم عام 740 هـ (جويلية 1339 م).

22) الشيخ إبراهيم بن فايد الزواوي: ولد عام 796 هـ (1393 ـ 1394) وحفظ القرآن الكريم في صغره، وتفقه على العالم والفقيه المنقلاثي علي بن عثمان، فقيه بجاية، ثم رحل إلى تونس، ودرس على الأبي، والزغبي، والقلشاني، والغرياني، وبعد ذلك رجع إلى جبال جرجرة وتفرغ للدراسة والتفقه على علمائها قبل أن يرحل إلى قسنطينة لنفس الغرض، وتضلع في علوم كثيرة، وكان من ضمن من درس عليهم بها العالم التلمساني المشهور ابن مرزوق الخطيب.

وخلال حياته العلمية تصدى للتدريس والإقراء، وألّف عدة كتب في أغراض شتى منها:

ـ كتاب في تفسير القرآن الكريم.
ـ شرح لمختصر خليل في الفقه سماه: تسهيل المقتطف.
ـ أزهار روض خليل في ثماني مجلدات.
ـ فيض النيل في جزئين، وهو شرح آخر لخليل.
ـ تحفة المشتاق في شرح خليل إسحاق، وهو شرح آخر في مجلة ضخم.
ـ شرح لألفية ابن مالك في النحو في مجلة واحد.
ـ تلخيص، وهو شرح لتلخيص المفتاح، في مجلد واحد.

وقد توفى ابن فايد عام 857 هـ (1453 م).

23) الشيخ الفقيه والطبيب الدللسي: أبو عبدالله محمد بن يحيى بن عبد السلام الدللسي من دللس، سكن بجاية وتفقه على شيوخها، وعلمائها، وتأدب، ودرس علم التاريخ والسير، وتولى القضاء في بعض كور بجاية، وتعلم الطب دراية، وعلماً. فكان يعالج الناس ويصف لهم الأدوية، ويولد النساء، كما كان أديباً ينظم الشعر وأورد له الغبريني عدة منظومات في كتابه: عنوان الدراية.

24) الشيخ عبد الرحمن الثعالبي اليسرى: ولد الشيخ عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي عام 786 هـ (1384 ـ 1385 م) في قرية يسر، إحدى قرى جبال جرجرة الجنوبية، ونشأ نشأة علم، وتقوى، وصلاح، ودرس في مسقط رأسه أولاً، ثم رحل إلى بجاية، ودرس على أجلة علمائها، أمثال علي بن عثمان المنقلاتي، وأبي القاسم المشدالي، وأحمد النقاوسي ثم رحل إلى تونس عام 809 هـ (1406 م)، ودرس على الأُبّـي، والبرزلي، وأبي مهدي عيسى الغبريني، وانتفع بعلومهم ومعارفهم. ورحل بعد ذلك إلى مصر عام 817 هـ (1444 م) ودرس وعلم، وانتفع به خلق كثير، وانتقل إلى مدينة إسنة في الجنوب المصري، لمدة سنة، ومن هناك رحل إلى مدينة بروسه التركية، وشاع أمره كشيخ لطريقة صوفية، وبنيت له زاوية ما تزال حتى اليوم على ما قيل محبسة عليه.

ومن هناك رحل إلى الحجاز، وأدى فريضة الحج، ثم عاد إلى مصر، فتونس، عام 819 هـ (1416 م)، حيث لازمهُ ابن مرزوق الحفيد التلمساني فأجازه بثلاثة إجازات.

وقد تخرج على الشيخ الثعالبي كثيرون من العلماء الإعلام، كالشيخ محمد السنوسي وأخيه لأمه التالوتي التلمسانيين، وأحمد زروق البرنوسي، والمغيلي، وأحمد بن عبدالله الزواوي، وابن مرزوق الكفيف.

وكما كون الشيخ الثعالبي جيلاً من العلماء، والفقهاء، والمتصوفين، فإنه ألف عدداً كبيراً من الكتب أغلبها في علوم القرآن، بلغ عددها حوالي تسعين مخطوطاً منها:

ـ الجواهر الحسان في تفسير القرآن، حققه ونشره الأستاذ عمار الطالبي.

ـ روضة الأنوار في معجزات النبي المختار.
ـ الأنوار المضيئة الجامعة بين الشريعة والحقيقة، في جزء.
ـ رياض الصالحين في جزء.
ـ التقاط الدرر.
ـ الدر الفائق، في الأذكار والدعوات.
ـ العلوم الفاخرة في أحوال الآخرة، في مجلد ضخم.
ـ شرح علي ابن الحاجب الفرعي، في سفرين جمع فيه نخباً من كلام ابن رشد، وابن عبد السلام، وابن هارون، وخليل، وابن عرفة، وجواهر المدونة، وعيون مسائلها.
ـ إرشاد السالك، في جزء صغير.
ـ الأربعون حديثاً النووية.
ـ المختار من الجوامع في محاذات الدرر اللامع.
ـ جامع الفوائد.
ـ جامع الأمهات في أحكام العبادات.
ـ كتاب النصائح.
ـ تحفة الأخوان في إعراب بعض آي من القرآن.
ـ الذهب الأبريز في غرائب القرآن.
ـ الإرشاد في مصالح العباد.

توفي الشيخ الثعالبي عام 875 هـ (1470 ـ 1471) وضريحه معروف في مدينة الجزائر.

25) **أبو مهدي عيسى الثعالبي**: ولد مثل عبد الرحمن الثعالبي في مطلع القرن الحادي عشر الهجري أو قبله بقليل، ودرس في مسقط رأسه أولاً، ثم التحق بمدينة الجزائر ليدرس على علمائها الأجلاء أمثال الشيخ سعيد قدورة وغيره، وحظي بتقدير من طرف رجال السلطة فضمه الداي يوسف باشا إلى مجلس خاصته.

وقد تنقل أبو مهدي عيسى بين عدة جهات من جباب جرجرة، والبابور، والبيبان، وقسنطينة، وبسكرة، وبعض قرى الزاب، واتصل بالشيخ عبد الكريم الفقون في قسنطينة.

ثم رحل إلى تونس، وبلاد المشرق عام 1061 هـ (1648 م) وحج وجاور مكة مدة سنتين، وتصدى للتعليم والإقراء، للحديث وعلوم اللغة والبلاغة والمنطق، وعلم الكلام، والأصول، والفقه، والتفسير، والتاريخ، وعلم التصوف.

وبسبب تبجره في العلوم والمعارف، وصفه البعض بعالم المغربين والمشرقين، ومسند الدنيا في زمانه، ودرس عليه عدد من العلماء منهم الرحالة المغربي العياشي الذي التقى به في مكة.

ومن مكة عاد أبو مهدي عيسى إلى مصر، واستقر بالقاهرة، عام 1064 هـ (1653 ـ 1654 م) عدة أعوام، ثم عاد إلى مكة واستقر بها حتى توفي عام 1080 هـ (1669 ـ 1670 م) وخلف وراءه عدة مؤلفات في مختلف الأغراض ودفن في مقبرة الحجون.

26) الشيخ محمد بن عبد الرحمن القشطولي: ولد عام 1126 هـ (1715 م) بقرية آيت إسماعيل في فروحة بقشطولة على بعد خمسة عشر كلم من شرق ذراع الميزان بجبال جرجرة وزاول تعلمه الابتدائي على الشيخ ابن أعراب في قرية آيت إيراثن مع الشيخ امحمد بن بلقاسم التاجديوي، وكان الشيخ ابن أعراب قد زار مصر، وتعلم هناك بالأزهر، وتثقف، وعاد برصيد ثقافي كبير، وتصدى للتعليم والإقراء في موطنه، واحتشد حوله طلاب العلم والمعرفة من كل صوب، ومنهم محمد بن عبد الرحمن القشطولي، الذي شد الرحال بعد ذلك إلى المشرق وأدى فريضة الحج، ثم عاد إلى مصر، واستقر بالقاهرة مدة طويلة من الزمن اعتكف فيهاعلى الدراسة والتعليم، والتدريس، وتتلمذ على عدد من شيوخ الأزهر وأعلامه أبرزهم الشيخ محمد بن سالم الحفناوي، شيخ الطريقة الحفناوية الخلوتية، الذي أرسله إلى بلاد الهند، وبلاد السودان لينشر طريقته الصوفية فنجح في مهمته، وحصل على مبالغ مالية مهمة

من الأموال ساعدته بعد عودته إلى القاهرة، في أن يتزوج من سيدة حبشية مسلمة وهكذا سيفعل الشيخ عزيز بن الحداد فيما بعد أواخر القرن التاسع عشر. ويتزوج من حبشية بمكة كذلك.

وفي القاهرة التحق به أخوه الأكبر مُحَمَّدْ (بضم الميم) على أمل أن يستقر معه، ولكن الشيخ الحفناوي طلب منهما العودة إلى بلادهما «لنشر العلم، وتربية الخلق، بعد أن أذن له (محمد) بإعطاء الورد، والإذن بالخلوة، وألبسه «الخرقة» فعادا إلى الجزائر حوالي عام 1183 هـ (1770 م)، واستقر الشيخ محمد في بجاية فترة قصيرة، كواعظ ومرشد في مسجد سيدي محمد أمقران، ثم انتقل إلى قرية الحامة قرب مدينة الجزائر، واستقر هناك وتصدى للتدريس والوعظ والإرشاد، فالتف حوله طلاب العلم والمعرفة بكثرة، فعلا صيته، واتسعت سمعته، فأهدى له أفراد عائلة بني عيسى قطعة أرض بنى عليها زاوية صغيرة اتخذها مركزاً لنشاطه الديني، والثقافي، ومقراً لإخوانه وأتباعه ومريديه.

ولم يمض نصف عام على استقراره بقرية الحامة هذه حتى أصبح يتمتع بسمعة كبيرة، وصار حديث الناس كلهم بعلمه الواسع، وثقافته الكبيرة، وفصاحته البالغ، وبأسرار طريقته الدينية الحفناوية التي ستحمل اسمه فيما بعد، وتعرف بالرحمانية.

فحقد عليه بعض رجال الدين والعلماء في مدينة الجزائر، الذين أثار غيرتهم، وحقدهم بسبب تفوقه، وسعة إطلاعه، وقدرته على استمالة الناس إليه، وكثرة الأتباع والطلاب الذي التفوا حوله، فاتهموه بالابتداع، والخروج عن مذهب أهل السنة والجماعة، واستعدوا عليه رئيس الدولة نفسه الداي محمد عثمان باشا فدعاه إلى المدينة، وجمع له كبار العلماء والفقهاء في الجامع الكبير، فحاوروه في مبادىء طريقته الدينية الجديدة، وأفحمهم جميعاً بالحجة والبرهان، وانتصر عليهم، واكتشف الداي نفاقهم، فاستضافه في قصره عدة أيام، وإخذ عنه ورد طريقته، وأصبح من أتباعه وإخوانه الأمر الذي لم يكن يخطر على باب خصومه الموتورين عندما أثاروه ضده.

ورغم انتصار الشيخ محمد بن عبد الرحمن على خصومه في هذه المناظرة الكبيرة، إلا أنه لم يطمئن لمستقبله في الحامة، فقرر مغادرتها والعودة إلى مسقط رأسه بآيت إسماعيل في قشطولة وأسس هناك زاوية جديدة له ما تزال قائمة حتى اليوم تفرغ فيها للتعليم والتدريس، وإعطاء وِرْدِ طريقته التي انتشرت في معظم أنحاء الجزائر، وقدر لها أن تكون من أبرز الطرق الصوفية التي ستواجه الاستعمار الفرنسي بعنف وتحاربه طوال القرن التاسع عشر، ومطلع العشرين.

وقد توفي الشيخ محمد بن عبد الرحمن القشطولي في مسقط رأسه 1208 هـ (1793 ـ 1794 م)، ودفن بزاويته، وخلف من ورائه أربعة وعشرين مقدماً، وخليفة، موزعين على معظم أنحاء البلاد خاصة بالشرق الجزائري، والهضاب العليا.

27) **الشيخ محمد بن علي الشريف الشلاطي**: ولد بشلاطة في أيلولن عام 1238 هـ (1822 ـ 1823 م)، وتثقف في زاوية جده وأبيه محمد وَعْلِي أُومُوسَي، وتصدى هو اخر للتربية والتعليم وتحفيظ القرآن الكريم للأطفال الصغار، والكبار.

دور علماء بلاد القبائل في مقاومة الغزو الثقافي الأجنبي

إن دور علماء هذه المنطقة، في مقاومة الغزو الثقافي الأجنبي الفرنسي، عظيم جداً، ورائد بحق، ويتضح ذلك من الأشكال والأساليب التي اتخذوها، ومن صلابة المقاومة التي أبداها الشعب ضد الغزو والاحتلال العسْكري، والديني، والثقافي، والاقتصادي.

لقد كان الغزو الفرنسي للجزائر، عسكرياً، ودينياً، وثقافياً واقتصادياً، في آن واحد، عمل من أول يوم على شطب ما في الجزائر الماجد والمشرق بجرة قلم، وطمس ومحو شخصيتها القومية، والدينية الإسلامية بصفة كلية، وذلك بالقضاء النهائي على الدين الإسلامي، والثقافة العربية الإسلامية، وإحلال الدين

المسيحي، واللغة والثقافة الفرنسية، محلهما في إطار سياسة الإدماج، والفرنسة والتنصير.

وعلى هذا الأساس صادر جيش الاحتلال منذ السنة الأولى للاحتلال، أملاك الأوقاف الإسلامية، العقارية والمنقولة، واستولى على المساجد والزوايا، وهدم الكثير منها، وحول الباقي إلى كنائس واصطبلات، ومراكز إدارية، وضايق العلماء، ورجال الدين، فطرد الكثير منهم ونفاهم خارج البلاد، وقتل البعض، وسجن آخرين، وراقب الباقي، ومنعهم من ممارسة أنشطتهم الدينية، والثقافية، والاجتماعية.

ولكن الشعب الجزائري، ومن ضمنه سكان هذه المنطقة وعلماؤها، قاوموا هذه السياسة، بشدة وعنف، وأبدوا ما لا يتصور من الشجاعة، والبطولة، والفداء، في سبيل الحفاظ على الوجه العربي الإسلامي للبلاد، وحماية اللغة والثقافة العربية الإسلامية.

وقد تصدر هذه المقاومة رجال الدين، والعلم، والثقافة، وتفرغوا للتعليم والتثقيف، والتربية الخلقية، وتحفيظ القرآن الكريم للأطفال الشبان، وتدريس مختلف العلوم العربية الدينية والأدبية، وواجهوا سياسة الفرنسة والتنصير، والإلحاق، بما تستحق من الجهد وحاربوها محاربة شديدة، ومتواصلة بوسائل مختلفة، ومتنوعة.

فأسسوا ما لا يحصى من المعمرات، والزوايا، والمساجد، والكتاتيب القرآنية، والمدارس في كل القرى، والمداشر، والأعراش، كمؤسسات للتربية والثقافة، والتعليم والتكوين. وحشدوا إليها الشباب والكهول، من كل الأصقاع، ووجهوهم لحفظ القرآن الكريم، وتعلم العلوم العربية الدينية، والعلمية والأدبية وتصدوا بأنفسهم لهذه المهمة النبيلة والشاقة في آن واحد، ووفروا الإمكانيات المادية الملائمة للإنفاق على الطلبة من إيواء، وتغذية وألبسة وكتب وأغطية ومصاحف وكل ما يلزم للإقامة والتعلم، كما وفروا الأئمة والمدرسين للاختصاصات المختلفة، ووضعوا مناهج، ونظماً وبرامج للتعليم لا

تقل عن الأنظمة العصرية المطبقة عند الغير آنذاك وحرصوا على تطويرها باستمرار وكان لذلك نتائج طيبة وباهرة.

واستعملوا حتى الوسائل البسيكولوجية لإقناع الشبان، وذويهم بالإقبال على تعلم اللغة والعلوم والمعارف العربية، ومقاومة ثقافة المستعمر الغازية والمسمومة، ووضعوا للخريجين، إجازات تمنح لهم حسب تخصصهم، ودرجاتهم العلمية، ومستوياتهم الثقافية.

ولعل من أسباب نجاح علماء المنطقة في جهودهم الثقافية المكثفة، مساندة الشعب لهم ودعمه اللامحدود لأعمالهم، وطبيعة المنطقة الجبلية ذات التضاريس الصعبة، والمعقدة، التي حالت دون توطن العناصر الأوروبية بها، وكان ذلك رحمة وبركة على الدين والثقافة العربية الإسلامية.

إن المقاومة العسكرية المسلحة التي قادها الشعب، وعلماء المنطقة، هي في ذات الوقت مقاومة دينية، وثقافية، استهدفت الحفاظ على الدين الإسلامي، والثقافة العربية الإسلامية، الذين يمثلان الشخصية والذاتية للبلاد والوطن، وهذا ما يفسر ارتماء أغلب إن لم نقل كل علماء المنطقة ومثقفيها في حركة الجهاد، والمقاومة المسلحة على مدن قرن وثلث القرن من حملة الاحتلال عام 1830 إلى معركة الاستقلال عام 1954 ـ 1962 م بأشخاصهم، وأموالهم وطلابهم، وأتباعهم، ومريديهم ومؤسساتهم ، وأوقاتهم، وأهاليهم.

ولعل قائمة الزوايا، والمعمرات، والكتاتيب القرآنية التي تعج بها المنطقة، طولاً وعرضاً في كل عرش، ودوار، وقرية حتى اليوم، خير دليل على جهود شعب هذه المنطقة في نشر العلم والثقافة العربية الإسلامية، ومحاربة الغزو الثقافي الأجنبي الأوروبي الفرنسي، الاستعماري، وعلى جهود علمائها في ميدان التربية والتعليم، وحماية الوجه العربي الإسلامي لهذه البلاد.

ثمار جهود الشيخ محمد بن عبد الرحمن القشطولي: لقد كانت لجهود محمد بن عبد الرحمن القشطولي، ثمار حسنة أشعت على معظم أنحاء الجزائر. فقد كون أجيالاً من طلب العلم، والفقهاء وحفاظ القرآن الكريم، وخلق حركة

ثقافية وفكرية، ودينية هامة، وأحيى ما اندثر، ووصل ما انقطع وكان لثقافته الأزهرية المتنورة، والمتطورة، دور رائد، في ذلك إذ أنه خلف أربعة وعشرين مقدماً، ووكيلاً وخليفة لطريقته الرحمانية، وحركته الثقافية النشيطة، انتشروا في معظم أنحاء البلاد لأداء نفس الدور، أبرزهم: الشيخ عبد الرحمن باش تارزي الذي كون لنفسه زاوية في مدينة قسنطينة، وخلف وراءه بعد وفاته تلميذه النجيب، الشيخ محمد بن عزوز الذي أسس زاوية رحمانية بواحة البرج قرب طولقة بالزيبان.

وعندما وصل جيش الاحتلال إلى هذه المنطقة عام 1843 م، فر إلى مدينة نفطة بالجريد التونسي، وأسس هناك زاوية رحمانية جديدة، أصبحت مأوى وملجأ لكل الفارين واللاجئين من المقاومين الجزائريين، إلى نهاية القرن تقريباً.

وقد خلف الشيخ محمد بن عزوز وراءه في الواحات والهضاب العليا الشرقية خمسة مقدمين كباراً أسس كل واحد منهم زاوية رحمانية خاصة به وهم:

- الشيخ علي بن عمر في طولقة، وخلفه الشيخ مصطفى بن عزوز.
- الشيخ عبد الحفيظ الخنقي في خنقة سيدي ناجي.
- الشيخ المختار بن خليفة في أولاد جلال.
- الشيخ مبارك بن قويدر.
- الشيخ محمد أوبلقاسم بشرفة الهامل قرب بوسعادة، وهو تلميذ الشيخ الصادق الرحماني زعيم ثورة 1858 ـ 1859 م بالخنقة وبسكرة.

أما في جبال جرجرة فأكبر خليفة له هو الشيخ علي بن عيسى والد فاطمة نسومر، ثم الحاج عمر، ثم الشيخ محمد بن محمد الجعدي من آيت يجعد، الذي أذن للشيخ محمد امزيان بن علي الحداد، بتأسيس زاوية صدوق الرحمانية.

والشيخ الحداد، أذن للشيخ الحاج علي بن الحملاوي في العثمانية بتأسيس زاوية العثمانية كذلك.

وكل هؤلاء الوكلاء والمقدمين، لعبوا دوراً هاماً وبارزاً في نشر الأخلاق

الدينية الفاضلة، والعلم والثقافة العربية الإسلامية، ومقاومة الثقافة الأجنبية الاستعمارية الغازية.

جهود الحاج عمر:

خلف الحاج عمر، الشيخ البشير، في رئاسة زاوية آيت إسماعيل منذ عام 1843 م، وتصدى للتعليم والتدريس، عدة سنوات، وتحصل عام 1849 على رخصة لجمع الأموال لصالح التعليم والتربية في الزاوية فاستغلها في دعم حركة الجهاد والمقاومة التي كان يخوضها السكان بزعامة محمد الأمجد بن عبد المالك المدعو بوبغلة عام 1851 م. ولذلك أوقفته السلطات الاستعمارية في نوفمبر من نفس العام، وجمدت نشاطه فاضطر أن يغادر إلى الجبال في سبتمبر 1853، وظهر في قرية بوعبد الرحمن في بني واسيف، وحاول أن يصلح الخلاف بين الصفين المتعارضين صف الباشاغاسي الجودي، وصف الشيخ الحسين نايت الحاج أعراب، ولم يفلح فانحاز ألى صف الأخير، وبعد مقتل بوبغلة في مطلع عام 1855، واصل الحاج عمر دعم خليفته في الجهاد، الشيخ أو أعراب، وشيخة أيسومار فاطمة نسومر، منذ عام 1856 م، وخاض عدة معارك ضد خصومه في بني واسيف، والمعاتقة، وآيت إسماعيل، وآيت ايراثن، وإغيل إيقوليمين وذراع الميزان، وايسومار، واشترك في معركة ايشريضن يوم 24 جوان 1857 قرب الأربعاء نايت ايراثن، واعتقل يوم 8 جويلية في بني عطاف ونفي إلى الخارج، فذهب إلى زاوية نفطة الرحمانية بالجريد، ومن هناك إلى الحجاز بصحبة أسرته وابن لبوبغلة، وبنت للشيخ مولاي إبراهيم، زوجهما من بعضهما بالمدينة المنورة، ونقل جهاده الفكري والديني والثقافة إلى هناك.

جهود الشيخ محمد الجعدي والشيخ الحداد

وعلى غرار الحاج عمر، فعل خليفته الشيخ محمد الجعدي، ووسع صلاته بسكان المنطقة ورتب الطلبة في زاويته، وأنفق عليهم وحث على تعليم وتحفيظ القرآن الكريم، ولعب دوراً هاماً بالمنطقة في ثورة 1871، وكتب الرسائل ووجه الرسل إلى الأعراش والأعيان يحث الناس على حمل السلاح

وجهاد أعداء الإسلام واللغة والثقافة العربية الإسلامية، وأشرف بنفسه على حصار ذراع الميزان، ونسق العمل مع الباشاغا محمد المقراني، وأخيه بومزراق، والشيخ الحداد، وابنيه: سي عزيز، ومحمد، وآخرين.

وقد ذكر الشيخ عزيز بأن زاوية أبيه في صدوق كانت تنفق على أكثر من خمسمائة طالب وتلميذ، يتعلمون القرآن والحديث، وعلوم اللغة والآداب العربية.

وكذلك الأمر بالنسبة لزاوية ابن علي الشريف في شلاطة، وزاوية ابن الموهوب في لعراش، وزاوية ابن إدريس، وزاوية اليلولي وغيرها، مما يصعب ويتعذر إحصاؤه.

وحتى الذين كانوا يعملون مع إدارة الاحتلال الفرنسي، لم يتخلفوا عن الركب، بل عملوا على حماية الدين، ونشر الثقافة العربية الإسلامية، وبذلوا كل ما يستطيعون من إمكانات في سبيل ذلك كالباشاغا ابن علي الشريف، شيخ زاوية شلاطة، والشيخ محمد السعيد بن زكرى مفتي الجزائر، والشيخ أبو يعلى الزواوي الذي عمل مع جمعية العلماء، ونشر عدة مقالات في جرائدها ومجلاتها، وكتب تاريخاً، عن بلاد زواوة نشره بالشام.

وكان قد اقترح على الشيخ طاهر الجزائري الزواوي كتابة هذا التاريخ في رسالة وجهها إليه بالقاهرة عام 1912، ولكن الشيخ طاهر كان مشغولاً بالقضايا القومية في المشرق ولم يكن بإمكانه القيام بذلك، أو أنه لم يقتنع باقتراحه.

هكذا يتضح مدى عظمة الدور الذي أداه ولعبه علماء هذه المنطقة قديماً وحديثاً في نشر الثقافة العربية والتربية والإسلامية، داخل الجزائر وخارجها وفي مقاومة الغزو الثقافي الأجنبي الأوروبي المسيحي، ومحاربة سياسة الإلحاق، والفرنسة، والتنصير.

الشيخ السعيد بن علي اليجري الزواوي

«سيرته بقلم ابنه محمد حسن عليلي»

مدير مدرسة البنات ببراقي

بسم الله الرحمن الرحيم[1] وصلى الله علي سيدنا محمد وآله.

لمحة عن حياة الأستاذ الشيخ السعيد اليجري الزواوي.

نسبه: هو السعيد بن علي بن أحمد بن محمد الثاني بن محمد الأول بن علي بن أحمد، بن علي بن موسى، وهذا الأخير هو الجد الأعلى لسكان قرية آيت سيدي أحمد وعلي المسماة باسم حفيده، وهو المؤسس الأول للقرية وللجامع الذي هو عبارة عن مدرسة قرآنية، ويدعى جامع الملوك «أي جامع الملائكة».

ولد الشيخ السعيد عام 1290 هـ «1873 م» بعد اندلاع ثورة المقراني والشيخ الحداد عام 1871 بنحو سنتين، في قرية سيدي أحمد وعلي المذكورة آنفاً، بعرش بني يجّر منطقة الزواوة، وحالياً ببلدية يوزقان دائرة عزازقة، ولاية تيزي أوزو.

وكان والده الشيخ علي بن أحمد معلماً للقرآن الكريم، واللغة العربية، وإماماً، بمسجد قرية ايحطوسن، ثم انتقل إلى قرية كريمة في عرش بني أخلف بدائرة بوقاعة لنفس المهمة إماماً ومقاماً للقرآن الكريم، بأمر وتعيين من طرف الشيخ محمد امزيان الحداد وبطلب من سكان القرية المذكورة، ومن بينهم الشيخ أحمد بن ناصر القاضي بمدينة بجاية آنذاك.

دراسته: بدأ الشيخ السعيد دراسته الابتدائية على والده الشيخ علي

---

(1) تلقيت هذه النبذة يوم 25 فيفري 1989 عن طريق الشيخ عبدالله أُوشَرْعَ الله من سيدي موسى قرب الجزائر العاصمة. وقد أعدها له ابن المرحوم محمد حسن.

الزواوي، ثم التحق بزاوية سيدي عبد الرحمن اليلولي ليتابع دراسته الثانوية والعالية[1] سنة 1306 هـ «1888 م» وتلقى تعليمه على المشايخ والعلماء التالية أسماؤهم:

1) العلامة الشيخ الصادق بن زكريا البسكري الذي تولى وظيفة المفتي في مدينة تيزي أوزو، في حدود عام 1890، واستمر فيها حتى توفي عام 1926 أو 1927، ودفن بجوار الشيخ عبد الرحمن البلولي.

2) الصوفي المربي الشيخ الشريف آيت عيسى الجَنَّادي اليجري الذي ولد عام 1840 وتوفي في عام 1336 هـ «يناير 1918 م»، ودفن في قرية: توملیلين قرب مدينة ثيقزيرت.

3) العلامة المقـرء النحوي الشيخ الطاهر القيطوس الحضيري، المعروف بلقب «قام زيد»، والذي ولد في قرية أُولَخْضِيرْ قرب أقبو، وتوفي رحمه الله عام 1321 هـ «1903 م»، ودفن بمسقط رأسه، ورثاه تلميذه الشيخ السعيد اليجري «والدي» بقصيدة عثرت على بعض أبيات منها.

4) العلامة الأديب والفقيه الشيخ السعيد بن عبدالله بالحريزي الساطوري القلي من منطقة القلة والساطور شمال غرب مجانة، وقد درس عليه مادة الفقه الإسلامي في مسجد سيدي الصوفي بمدينة بجاية عام 1332 و1333 هـ «1914 ـ 1915 م» الذي كان فيه شيخاً وإماماً وقد توفي بعد ذلك بسنوات، ولم نتعرف بعد على تاريخ ذلك.

5) العلامة المحدث، خاتمة حفاظ أهل المغرب، الشيخ محمد سعيد بن زكريا المفتي المالكي بالجامع الكبير بالعاصمة، والأستاذ بالمدرسة العليا الثعالبية، الذي توفي عام 1333 هـ «1914 م»، وقد درس عليه علم الكلام «التوحيد» الذي كان يدرسه باستمرار في شهر رمضان.

6) العلامة المدقق ذو التآليف العديدة الشيخ عبد القادر المجاوي أمام

(1) هذه الزاوية حولت إلى معهد لتكوين الأئمة والإطارات الدينية، وبدأ التكوين بها والتدريس في سبتمبر 1984 ووقع تدشينها يوم الاثنين 01 جويلية 1985 م.

مسجد سيدي رمضان، وأستاذ المدرسة الثعالبية بالعاصمة وتوفي رحمه الله عام 1333 هـ «1914 م».

7) الشيخ محمد وَاعْمَارَهْ الأُوزَلاَّقني من قرية أُوزَلاَّقَنْ.

8) الشيخ السعيد البهلولي الورثلاني المتوفي في 9 رمضان 1371 هـ «01 جوان 1951 م».

وقد تبادل الشيخ السعيد «الوالد» عدة رسائل مع صديقه الشيخ السعيد أبي يعلى الزواوي حين كان مقيماً بدمشق في سوريا، ومصر، حول كثير من المواضيع والأحداث العلمية والفكرية وغيرها، وكان الشيخ السعيد اليجري يحفظ القرآن حفظاً جيداً، ويتلوه ويجوده بالروايات السبع، والعشر، ودرس النحو وأتقنه اتقاناً جيداً حتى لقنه طلبة العلم في عصره بالزواوة، بلقب: «قادوم النحو» كما درس علم الكلام «السنوسية، وجوهرة التوحيد، وبدء الأمالي، وكتب أخرى للغزالي وغيره». ودرس الفقه، والأصول، والمنطق، والرياضيات، وله إلمام وإطلاع واسع بالتاريخ والجغرافية، والاقتصاد الدولي، والسياسة الدولية، ويتمتع بإلمام واسع في الفقه المقارن، ويحفظ عدة متون عن ظهر قلب.

تعليمه: تولى الشيخ السعيد اليجري مهنة التعليم في عدة زوايا منها:

1) زاوية سيدي أحمد أو يحيى بآملو قرب أقبو، وهي أول زاوية بدأ فيها التعليم.
2) زاوية سيدي يحيى بن موسى الوغليسي قرب سيدي عيش.
3) زاوية سيدي سعيد المسيسني بصدوق.
4) زاوية زرعة بأولاد حال قرب إلماين، وأمزرراق.
5) زاوية سيدي عبد الرحمن اليلولي بعزازقة.
6) زاوية سيدي محمد بن مالك بعزازقة.
7) زاوية ابن علي الشريف بشلاطة.
8) زاوية سيدي موسى ثينيدار قرب سيدي عيش.

9) زاوية سيدي بويحيى ببني دوالة في تيزي أوزو.

10) زاوية سيدي عمرو الحاج ببني يجر، بعزازقة، وهي آخر زاوية علم بها حتى توفي رحمه الله.

نشاط الشيخ السعيد وعمله الإصلاحي:

كان الشيخ السعيد لا يفتأ عن دعوة الناس إلى الطريق المستقيم، وكان منزله كعبة لطلبة العلم، والمعرفة، والدين، وملاذاً للمستضعفين والمظلومين، يحكم بالعدل بين المتخاصمين، ويفصل بينهم بالحسنى، والتراضي، ويعلم باستمرار حيثما وجد، مستقراً أو راحلاً، ويقضي جل أوقاته في التدريس والتعليم، والوعظ والإرشاد، والفصل بين الناس في مشاكلهم، والدعوة إلى طريق الهدى، والدين.

وتخرج على يديه عدد كبير، قد لا يحصى، من حفظة القرآن الكريم، وطلبة العلم، والشيوخ الكبار، شغلوا مختلف المناصب.

وكان رحمه الله سريع البديهة، حاضر الجواب، قوي الحجة، واسع الخيال، كريماً، بشوشاً، واسع الاطلاع، عميق التفكير، قوي الذاكرة، كثير الحفظ، والاستيعاب، وهو في الحقيقة، سابق لأوانه وعصره.

وقد زاره إلى منزله علماء أجلاء من بينهم الشيخ أحمد بن عليوة مؤسس الطريقة العلوية في حدود 1922 م، والشيخ عبد الحميد بن باديس في سنة 1925 م.

وكان اهتمامه منصباً أكثر على الأمور التالية:

- تحفيظ القرآن الكريم وتجويده.
- نشر اللغة العربية وتعليمها، وتعميمها.
- الدعوة إلى اتباع تعاليم الإسلام، وهداية الناس إلى الطريق المستقيم.
- نصرة الحق، وإعانة الضعيف، وردع الظالم.

ـ الإصلاح بين الناس وإزالة الخلافات بينهم، ورد المظالم.

ولقي في سبيل هذا عناء كبيراً ولكنه صبر، وتحمل، ولم يكن يتسامح ولا يقبل الجدال والمناقشة، والتنازل في الأمور الثلاثة التالية:

الدين، واللغة العربية، والوطن.

وفاته: توفي الشيخ السعيد اليجري رحمه الله مساء الجمعة 5 محرم الحرام 1371 هـ «5 أكتوبر 1951 م»، وحضر جنازته جمهور غفير من مواطني وطن بني يجر، وعدد كبير من طلب العلم، وابنه بعض طلبته المتخرجون عليه بكلمات مؤثرة ومنهم:

1) الشيخ أبو القاسم بن عمر الحيطوسي.
2) الشيخ محمد أمزيان بن أحمد المجاهدي اليلولي.
3) الشيخ عمر البسعي اليجري.
4) الشيخ الشريف محمدي اليجري.
5) الشيخ عمر العنّابي اليلولي.

ودفن رحمه الله في مقبرة قرية آيت سيدي أحمد وعلي ببلدية يوزقان، دائرة عزازقة، ولاية تيزي أوزو.

وخلف وراءه خمس بنات، وابنين هما: محمد حسن كاتب هذه اللمحة، وعبد الرحمن، وكلهم أحياء بنون وبنات.

ملاحظة: هذه لمحة مختصرة كتبتها لنفسي، ولأخي المحب الصديق الشيخ عبدالله شرع الله النازل والمقيم حالياً بمدينة سيدي موسى ولاية البليدة، وذلك بطلب منه، إذ هو أحد الطلبة المجتهدين الذي أخذ ما تيسر من العلم على المترجم له، وفقنا الله ما فيه سعادة الدارين آمين.

تحريراً في برّاقي يوم الجمعة 26 جمادي الثانية 1409 «3 فيفري 1989 م» أعده وكتبه محمد حسن بن الشيخ السعيد اليجري.

تعريف بكاتب الموضوع

الاسم: محمد حسن

اللقب: عليلي

تاريخ الميلاد: صباح الخميس 27 رمضان المعظم 1350 م، الموافق 4 فبراير 1932 م ـ الساعة الرابعة صباحاً

مكان الميلاد: بقرية آيت سيدي أحمد بن علي ببني يجر دائرة عزازقة، ولاية تيزي أوزو.

ابن: الشيخ السعيد بن علي بن أحمد.

الحالة العائلية: متزوج وأب لأربعة ذكور، وخمس بنات.

الوظيفة: عملت مدرساً للغة العربية، وإماماً واعظاً في عدة أماكن من سنة 1952 إلى 1962.

خلال ثورة التحرير: عملت موجهاً، ومدرساً، وقاضياً وإماماً (بدون شهادة النضال طبعاً).

بعد الاستقلال (1962): انخرطت في سلك التعليم، عملت مدرساً، ومديراً لمؤسسة تربوية.

من شيوخي: ـ السيد الشيخ محمد أرزقي الأمعوشي (شهيد)

ـ السيد الشيخ محمد بن عمر اليجري (شهيد)

ـ السيد الشيخ محمد بن هارون الأفليسي

ـ السيد الشيخ محمد امزيان أبي يعلى الزواوي

ـ والدي الشيخ السعيد بن علي اليجري

ـ السيد الشيخ أرزقي أبي يعلى الزواوي

دخلت إلى معهد التاريخ بجامعة الجزائر إلا أن ظروفي الصحية لم تسمح لي بمواصلة الدراسة.

براقي، في 8 ماي 1991 م.

محمد حسن عليلي

الشيخ أرزقي الشرفاوي الغبريني الأزهري

(1302 ـ 1964 هـ/ 1884 ـ 1944 م)

ولد الشيخ أرزقي الشرفاوي عام 1302 هـ الموافق لعامي 1884 ـ 1885 م. بقرية الشرفاء جنوب مدينة العزازقة بحوالي ثلاث كيلومترات، وينحدر من عائلة ابن القاضي التي كانت تحكم إمارة كوكو بجبال جرجرة. ولعب زعيمها آنذاك الحسن بن القاضي دوراً مع عروج وخير الدين في مطلع القرن 16 م وقاد الوفد الجزائري الذي أرسله خير الدين إلى السلطان العثماني سليم الأول ليقترح عليه ضم الجزائر إلى الدولة العثمانية ونجح في مسعاه، ووافق السلطان على ذلك وأرسل مع الوفد تعييناً لخير الدين بايلرباي على الجزائر. وكمية من الأسلحة ومجموع من الجنود الأتراك ليساعدوه على حفظ النظام، وتم ذلك عام 1518 م والذي تلاه. ثم غير الحسن بن القاضي رأيه، وحارب خير الدين مدة من الزمن قبل أن يحصل ضده انقلاب يعيد خير الدين إلى الجزائر. وعائلة ابن القاضي هذه لها فروع في قرية جمعة الصهريج، وبني يتوراغ وبني وڤنون، وفي تونس، وتولى بعض أفرادها القضاء في بجاية.

تم تسجيل الشيخ أرزقي في سجل الحالة المدنية على الشكل التالي بالعزازقة: قازو أرزقي بن محند، ابن علي بن سي محند، أُوقَازُو. وعندما كبر أدخله أبوه إلى زاوية القرية التى تدعى: معمرة سيدي بهلول. وما تزال حتى الآن قائمة، وعامرة، وذلك لحفظ القرآن الكريم. وبعد مدة انتقل إلى زاوية سيدي أحمد بن إدريس اليلولي البجائي بعرش يلولة. حيث أتم هناك حفظ القرآن الكريم حفظاً جيداً وأتقن رسمه وتجويده. ثم انتقل إلى زاوية سيدي عمر الحاج التي أسست في القرن العاشر الهجري (16 م) وما تزال قائمة حتى اليوم وعامرة ببني يجّر. واعتكف هناك على دراسة علوم اللغة العربية كالنحو والصرف، وعلوم الفقه، والحديث والتوحيد، والفلك، والحساب. ومن هناك

انتقل إلى مدينة الجزائر ليدرس على مشاهير علمائها أمثال: الشيخ عبد القادر المجاوي، ومكث بها حوالي عامين تزود فيها بمعارف كثيرة ووسع معلوماته وتعرف على الكثير من الطلاب والعلماء والفقهاء.

رحيله إلى مصر:

ويبدو أن ما تحصل عليه من العلوم والمعارف لم يشبع رغبته، فعزم على السفر إلى المشرق، والتحق بالأزهر الشريف في مصر، وانخرط في سلك طلبته، واعتكف على الدراسة إلى أن نال شهادة العالمية عام 1339 م (1921 م)، وبقي هناك يبحث وَيَدْرُسُ، ويُدَرِّسُ أكثر من عشر سنين.

عودته إلى الوطن:

وفي عام 1351 هـ (1933 م) عاد إلى الجزائر، واستقبله إخوانه وأصدقاؤه، ورجال العلم، بكل حفاوة، ونصحه بعض الناس بأن يلتحق بقريته حتى يتجنب مضايقة الإدارة الاستعمارية له، ولعله السيد أحمد بن زكريا كما قال السيد محمد حسن عليلي، وعرض عليه طلبة زاوية الشيخ محمد بن عبد الرحمان اليلولي أن يستقر عندهم لينتفعوا بعلمه فلبّي رغبتهم، ولم يخيب آمالهم وانتقل إليها وبقي هناك إلى عام 1355 هـ (1936 م). ثم انتقل لمدة عام واحد إلى زاوية سيدي موسى الوغليسي بقرية ثينيدار، قرب قرية سيدي عيش. وعاد مرة أخرى إلى زاوية الشيخ بن عبد الرحمن بسبب إلحاح طلبتها عليه. وواصل تدريس علوم اللغة والآداب، والفقه، والهيئة، ورسم القرآن، وتجويده، والحساب، والتوحيد، وغيرها. وتخرجت على أيديه أجيال من الطلبة، والفقهاء والمعلمين الذين انتقلوا إلى الزيتونة، وقسنطينة لمواصلة الدراسة.

بعض آثاره:

نشر الشيخ أرزقي مجموعة من المقالات في جريدة البصائر الأسبوعية في سنوات 1936 ـ 37 ـ 38 حول رؤية هلال رمضان، والأعياد الدينية كما نشر في مجلة لواء الإسلام المصرية عامي 1937، 38، حول نكاح الربيبة الذي أثار

خلافاً حاداً بين علماء المنطقة في الجزائر، ولدى آخرين في الخارج.

ويذكر الشيخ محمد حسن عليلي بأنه يقال إن الشيخ أرزقي ألّف بعض الكتب ومنها:

1 ـ إرشاد الطلاب إلى ما في الآيات من الإعراب.
2 ـ بغية الطلاب في علم الآداب.
3 ـ الدروس الإنشائية لطلبة الزوايا الزواوية.
4 ـ الرسالة الفتحية في الأعمال الجيبية.
5 ـ الخلاصة المختارة في فضلاء الزواوة.

ولكنها كلها مفقودة، وغير معروفة، ويقال إنها ضاعت بعد وفاته.

وفاته: توفي الشيخ أرزقي الشرفاوي بمنزله في الشرفاء يوم الأربعاء 12 محرم الحرام 1364 هـ الموافق ليوم 27 ديسمبر 1944 م، رحمه الله وخلد مثواه[1].

الشيخ محمد أمزيان بن أحمد المجاهدي اليلولي[2]

ولد عام 1885 بقرية ألمة قرب مدينة أقبو، وبدأ حفظ القرآن الكريم على والده وبعض شيوخ القرية، ثم ألحقه والده بزاوية شلاطة للدراسة والتحصيل، فدرس على الشيخ الطيب المبارك اليعلاوي، وعاصر الشيخ البشير الإبراهيمي الذي كان طالباً هو الآخر هناك ومن شلاطة انتقل إلى زاوية أمالو، ودرس على الشيخ السعيد اليجري، النحو، وفن التجويد ودرس الفقه والأصول على الشيخ الحسن أو خالد، وبعد تخرجه علم في الزوايا التالية:

(1) اعتمدنا في هذا الترجمة على الكراسة التي أعدها لنا خصيصاً الشيخ الفاضل محمد حسن عليلي، وأرسلها لنا خلال شهر ذي القعدة 1411 هـ الموافق لشهر جوان 1991. فشكراً له جزيلاً.

(2) أعد لنا هذه الترجمة الشيخ محمد حسن بن الشيخ السعيد اليجري بطلب منا.

ـ زاوية سيدي سعيد المسيسي الصدوقي.
ـ وزاوية سيدي يحيى أوموسى الوغليسي.
ـ وزاوية سيدي عمر والحاج اليجري.
ـ وزاوية ابن علي الشريف بشلاطة.

ثم اشتغل مدة طويلة كاتباً إدارياً في دار ابن علي الشريف، خلفاً لوالده الذي كان يشتغل في نفس الوظيفة، وذلك من بداية القرن إلى عام 1947 م، حيث أحيل على التقاعد، وفرنسة تلك الإدارة.

يمتاز الشيخ امزيان بكثرة الحفظ، وسرعة الفهم، وجودة الخط، وسعة الباب ويميل كثيراً إلى المواد الأدبية كالقصص، والألغاز، والنكت، وتوفي يوم 19 فيفري 1960 م.

الشيخ عمر العنابي اليلولي[1]

من مواليد بداية هذا القرن على ما يبدو، بدأ دراسته الأولى في قرية تيفريت القريبة من مدينة أقبو، ثم أدخله والده إلى زاوية أمالو، العيدلية، ودرس على كل من:
ـ الشيخ السعيد اليجري.
ـ والشيخ الطيب شنتير البوجليلي.
ـ والشيخ الطيب الحسن أوخالد العيدلي.

وبعد تخرجه عين إماماً في مسجد أقبو منذ عقد الثلاثينات وعكف على الوعظ والإرشاد والإصلاح بين الناس، والفتوى، وتعليم القرآن الكريم، ويمتاز بجودة الخط، وسلاسة التعبير، وقوة الحجة، وسعة الإطلاع، وسرعة الحفظ والفهم، وخفة الروح، ونشر عدة مقالات في جرائد: لسان الدين، والنجاح، وصوت المسجد، وله عدة أجوبة فقهية حول مسائل مختلفة وله محاولات في

(1) أعد لنا هذه الترجمة الشيخ محمد حسن بن الشيخ السعيد اليجري بطلب منا.

نظم بعض الأشعار منها نظمه في رثاء المرحوم الشيخ السعيد اليجري.

كان بإمكانه أن يتفوق في الكتاب، ونظم الشعر، لو تفرغ للتدريس ولكن وظيفة الإمامة ألهته عن مهنة التدريس، وقد قتله المجاهدون عام 1956 بتهمة امتناعه عن التسليم والاستقالة من منصبه كما طلبت جبهة التحرير الوطني.

سيرة الشيخ محمد الصالح الصديق بخط يده

ولد الشيخ محمد الصالح بن الشيخ البشير الصديق سنة 1925 بقرية أبزار في ولاية تيزي أوزو. وحفظ القرآن على والده بنفس القرية حيث كان أبوه إماماً، كما حفظ أكثر من عشرين متناً، وعشرين قصيدة شعرية لفحول الشعراء العرب.

وبعد ذلك التحق بزاوية الشيخ عبد الرحمن اليلولي التي كان يدرس بها الشيخ المولود الحافظي الأزهري، والشيخ أرزقي الشرفاوي الأزهري كذلك. ودرس بها العلوم العربية والفقهية، ثم أصبح يدرس بها.

وفي عام 1946 سافر إلى تونس صحبة زميله الشيخ محمد نسيب، للالتحاق بجامع الزيتونة، فألقي القبض عليهما وأوديا السجن بمدينة تبسة مدة 19 يوماً، وعند إطلاق سراحهما تسربا ليلاً إلى تونس، والتحق الشيخ محمد الصالح بالزيتونة وتحصل منها على شهادة التحصيل عام 1951، فعاد إلى الجزائر، وعين أستاذاً في زاوية الشيخ عبد الرحمن اليلولي التي سبق أن درس فيها، وتعلم.

ومنذ سنة 1948 بدأ ينشر في الصحف بعض القصص والمقالات القصيرة، في تونس، وألف عام 1951 كتاب أدباء التحصيل من أربعة أجزاء، طبع منها جزأين. وعندما اندلعت ثورة أول نوفمبر 1954 التحق بها، وكلف بجمع الأموال، والأسلحة وفي عام 1956 التحق بتونس عن طريق باريس، وعين في مصلحة الصحافة والإعلام لجبهة التحرير الوطني، وفي عام 1957 كلف مع غيره بالالتحاق بصحراء فزان الليبية للقيام بأعمال الدعاية للثورة، وفي

عام 1958 التحق بمكتب الجبهة في مدينة طرابلس الليبية، وكلف بإذاعة حصة صوت الجزائر من الإذاعة الليبية، وشارك في تحرير مقالات في الجرائد والمجلات الليبية.

وفي عام 1962 عاد إلى الوطن، والتحق بسلك التعليم حتى عام 1981، ثم انتدب لوزارة الشؤون الدينية للإشراف على إحياء التراث. ألف حوالي أربعين كتاباً في الأدب، والتاريخ، والدين، والأخلاق، والسياسة، ومنها: أدباء التحصيل، مقاصد القرآن، صور من البطولة في الجزائر، الاستعمار الفرنسي في الجزائر، عميروش وقصص ثورية، من قلب اللهب، من وحي السماء، في ظل الإسلام، ومضات من سورة الفاتحة ومن الخالدين، البيان في علوم القرآن، سفينة الإيمان، أداء ومواقف ابن باديس، مع الرسول في بلاغته، مشاكل على الطريق، وقفات ونبضات، مواقف من حياة الرسول، الرافضون عبر التاريخ، العصفور الأزرق، الدروب الحمر، صفحات من جهاد الجزائر، الجواهر الكلامية للشيخ طاهر الجزائري، في أرض النبوة، القطوف الدانية، الأسرة في الإسلام، أعلام من المغرب العربي، خواطر وذكريات في ضوء القرآن، شخصيات ومواقف، نور على نور. وما يزال يزوال نشاطه في الكتابة والبحث.

سيرة الشيخ محمد نسيب بخط يده

ولد الشيخ محمد نسيب يوم 2 أوت 1924 ببني كوفي في دائرة بوغني، من ولاية تيزي أوزو، وحفظ بعض سور القرآن الكريم صغيراً ثم التحق بزاوية سيدي على أويحيى المجاورة لقريته، ومنها انتقل إلى زاوية سيدي عبد الرحمن اليلولي بدائرة العزازقة وانكب فيها على الدراسة والتحصيل صحبة زميله الشيخ محمد الصالح الصديق، وفي عام 1946 سافرا معاً إلى تونس للالتحاق بالزيتونة وبقي بها حتى عام 1949، ثم عادا إلى الجزائر، واشتغل بالتجارة مدة، ثم انتقل إلى التعليم لغاية 1954، ثم انقطع عن التعليم، ليعود إليه عام 1962

حتى عام 1969، ثم التحق بوزارة الشئون الدينية ليعمل في عدة مصالح، وفي عام 1974 التحق بجامعة الجزائر وحصل على شهادة الليسانس في الفلسفة عام 1979، وشغل عدة وظائف في وزارة الشؤون الدينية، وشارك في تحرير مجلتي، الأصالة، والرسالة، وأصدر كتابين هما: صور من الواقع، وابن سكران، وله كتاب آخر تحت الطبع بعنوان، زوايا القرآن وتحصين الذات الإسلامية، وله مشاريع أخرى طي الإنجاز.

قائمة الزوايا والمعمرات في جبال جرجرة وحوض الصومام

1 ـ معمرة سيدي علي بن يحيى في بني كوفي.

2 ـ معمرة سيدي على أو موسى في المعاتقة.

3 ـ معمرة سيدي عمر الشريف على ساحل دللس.

4 ـ معمرة سيدي عمر الحاج على ساحل دللس.

5 ـ معمرة سيدي منصور بالعزازقة.

6 ـ معمرة سيدي أحمد بن إدريس بعرش إيلولن في دائرة العزازقة.

7 ـ معمرة سيدي عبد الرحمن اليلولي.

8 ـ معمرة الشرفة نبهلول قرب العزازقة.

9 ـ معمرة وزاوية محمد بن عبد الرحمن القشطولي في قشطولة.

10 ـ معمرة وزاوية شلاطة بيلولة أُومَالُو لعائلة ابن علي الشريف.

11 ـ معمرة لعراش بيلولة أومالو كذلك.

12 ـ زاوية سيدي موسى نتنذار فوق سيدي عيش.

13 ـ معهد ثاغراست أو زاوية أوحسون.

14 ـ زاوية سيدي حسن بصمعون في بني وغليس.

15 ـ زاوية أيزروقن في قرية ايزروقن بعرش بني وغليس.

16 ـ هذا إلى جانب أغلب المساجد الكبرى والكتاتيب القرآنية.

بعض المراجع ذات الصلة بالموضوع

(1) أبهلول (أبو علي بن الحسن بن علي المجاجي): العقد النفيس في بيان علماء وشرفاء غريس (مخطوط في بداية القرن 11 هـ وأواخر القرن 16 م).

(2) الإفراني أو اليفريني (محمد الصغير):

أ ـ صفوة من انتشر في أخبار القرن الحادي عشر م.خ.ع. الرباط، د 671.

ب ـ نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، ترجمة هوداس إلى الفرنسية عام 1888 م (منشورات أرنست لورركس).

(3) الأصفهاني (عماد الدين): خريدة القصر وجريدة العصر. تحقيق محمد المرزوقي، ومحمد العروسي المطوي، والجيلاني بن الحاج يحيى. 3 أجزاء (تونس 1971، 1972، 1974 م).

(4) ابن أبي أصيبعة (أحمد الخزرجي): عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا (بيروت ـ دار الحياة 1965 م).

(5) بدوي (عبد الرحمن): مؤلفات ابن خلدون، (القاهرة 1962 م).

(6) ابن بشكوال (أبو القاسم خلف): كتاب الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائها. 2 أجـ (مدريد 1882 ـ 1883 م) (القاهرة ـ 1962 م).

(7) بروكلمان (كارل): تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة فارس (نبيه أمين) والبعلبكي (منير) ط 2 (بيروت 1974 م).

(8) بوعزيز (يحيى):

أ ـ ازدهار الحضارة والفكر الإسلاميين في المغرب الإسلامي ودورهما في نهضة أوروبا ويقظتها. مجلة الأصالة، أعداد: 75، 76، 77، 78، (الجزائر ـ نوفمبر، ديسمبر 1979، جانفي ـ فيفري 1980) ص 113 ـ 144.

ب ـ جهود الجزائر الفكرية في موكب الحضارة العربية، الأصالة، عدد 19

(الجزائر 7 مارس، أبريل 1974 م) ص 287 ـ 301.

ج ـ أعلام الفكر والثقافة بمدينة تلمسان ووهران ومعسكر. (مخطوط).

د ـ مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية (الجزائر د.م.ج 1991 م).

هـ ـ مركز بجاية الحضاري، ودوره في إثراء الحضارة العربية الإسلامية وفي نهضة إيطاليا وجنوب غرب أوروبا. مجلة الحضارة الإسلامية. العدد الأول. (وهران 1414 هـ/ 1993 م) ص 1 ـ 19.

(9) التميمي (محمد بن أحمد): كتاب طبقات علماء إفريقيا (الجزائر 1332 هـ/ 1914 م).

(10) التنبكتي، (أحمد بابا): نيل الابتهاج، بتطريز الديباج، طبع على هامش الديباج المذهب لابن فرحون (القاهرة/ 1351/ 1923 م).

(11) التنسي (محمد بن عبد الجليل): نظم الدر والعقيان في شرف بني زيان وذكر ملوكهم الأعيان ومن ملك من أسلافهم فيما مضى من الزمان (مخطوط).

(12) التيجاني (أبو زيد عبد الرحمن): عقد الجمان، النفيس في ذكر الأعيان من أشراف غريس (مخطوط) وهو رجز شرحه تلميذه محمد الجوزي بعنوان: فتح الرحمن في شرح عقد الجمان.

(13) الجيلالي (عبد الرحمن): تاريخ الجزائر العام (الجزائر 1988) ط 2 ـ 4 أجـ.

(14) ابن حجر العسقلاني، (أحمد بن علي): الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة. ط 1 (حيدر أباد ـ 1348 هـ) ط 2 تحقيق محمد عبد الحق (القاهرة ـ 1966 م).

(15) حاجي خليفة (مصطفى بن عبدالله): كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (اصطنبول 1941 ـ 1943 م) 2 أجـ. (طهران 1967 م/ 1387 هـ).

(16) ابن حواء (الشيخ محمد): سبيكة العقيان فيمن حل بمستغانم وأحوازها من الأعيان (مخطوط).

(17) الحميري (أبو عبدالله محمد): الروض المعطار، (القاهرة ـ 1948 م)

(18) ابن خلكان (شمس الدين): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. تحقيق محي الدين عبد الحميد (القاهرة ـ 1948 م) 6 أجـ، ط 2 تحقيق إحسان عباس (بيروت 1971).

(19) الخشني (أبو عبدالله محمد): قضاة قرطبة وعلماء إفريقيا (القاهرة 1372 ـ

الجزائر 1914 م).
(20) ابن خلدون (عبد الرحمان):
أ ـ كتاب العبر، جـ 7 (بيروت 1971 م).
ب ـ التعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً. تحقيق وتعليق ابن تاويت (محمد الطنجي) (القاهرة 1951 م).
(21) ابن خلدون (يحيى): بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد نشر ألفريد بل. 2 أجـ، (الجزائر ـ ج 1 ـ 9041 جـ 2 ـ 1913 م) ط 2 ج 1 تعريب وتحقيق عبد الحميد حاجيات (الجزائر 1980 م).
(22) ابن أبي دينار (محمد القيرواني): المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس. تحقيق محمد شماخ (تونس ـ 1967 م).
(23) الزركشي (محمد بن إبراهيم): تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية. ط 2 تحقيق محمد ماخور. (تونس 1966 م).
(24) الزركلي (خير الدين): الأعلام (القاهرة 1954 ـ 1955 م) 10 أجزاء.
(25) ابن الزيات (يوسف التادلي): التشوف إلى معرفة رجال التصوف نشر أدولف فور (الرباط 1958 م).
(26) الزياني (محمد بن يوسف): دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران. تقديم وتعليق المهدي البوعبدللي (الجزائر 1978 م).
(27) السخاوي (محمد): الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (القاهرة 1354 ـ 1355 هـ) 12 أجـ. ط 2 (بيروت بدون تاريخ) 12 جـ.
(28) سعد الله (د. أبو القاسم): تاريخ الجزائر الثقافي، 2 أجـ (الجزائر 1982 م).
(29) ابن سعد (التلمساني) روضة النسرين في مناقب الأربعة المتأخرين (مخطوط) عندنا حققناه وقدمناه للطبع.
(30) أبو العرب (محمد القيرواني): طبقات علماء إفريقيا وتونس، تحقيق على النشابي، وزميله (تونس 1968 م).
(31) عنان (محمد عبدالله): ابن خلدون حياته وتراثه الفكري (القاهرة ـ 1938 م).
(32) ابن عسكر (محمد): دوحة الناشر بمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر (الرباط ـ 1397 هـ ـ 1977 م).
(32 م) ابن عبدالباري (الشيخ محمد): كتاب الشهائد والفتاوى فيما صح لدى

العلماء من أمر الشيخ العلاوي. (تونس ـ المطبعة التونسية نهج سوق البلاد عدد 57) تونس ـ 1343 هـ / 995 إلى 259 ص.
(33) الغبريني (أبو العباس أحمد): عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية (الجزائر 1971 م).
(34) ابن الفرضي: تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس (القاهرة ـ 1954 م) 2 أجـ. ط 2 (1966 م).
(35) فيشل (والتر): لقاء ابن خلدون لتيمورلنك. ترجمة توفيق (محمد) (بيروت بدون تاريخ).
(36) القادر (محمد بن الطيب):
أ ـ نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني. (فاس 1310 هـ ـ 1892 م).
ب ـ مستودع المواعظ والعبر في أخبار أعيان أهل المائة الحادية والثانية عشر (مخطوط).
(37) ابن القاضي (أحمد الفاسي): جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام بمدينة فاس (فارس 1309 هـ).
(38) ابن قنفذ (أحمد الخطيب القسنطيني):
أ ـ الوفيات. تحقيق هنري بيريز ـ الجزائر (بدون تاريخ) ط 2، تحقيق عادل نويهض (بيروت 1971 م).
ب ـ أنس الفقير وعز الحقير. تحقيق محمد الفاسي وأدولف فور. (الرباط ـ 1965 م).
(39) محمد (الأمير): تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأبار الجزائر (الإسكندرية ـ 1903 م) 2 أجـ.
(40) المحبي (محمد): خلاصة الأثر فى أعيان القرى الحادي عشر (القاهرة) (1284 هـ/ 1867 م).
(41) ابن مريم (محمد المليتي): البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان. تحقيق ابن أبي شنب (الجزائر 1908 م).
(42) ابن مرزوق (محمد الخطيب): المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق فيغيرا (د. ماريا خيسوس) (الجزائر ـ 1981 م).
(43) المزاري (بن عودة إسماعيل): طلوع سعد السعود في أخبار وهران ومخزنها

الأسود. تحقيق بوعزيز (د. يحيى) 2 أجـ. (بيروت 1990 م).

(44) ابن محرز الوهراني (محمد): منامات الوهراني ومقاماته ورسائله. تحقيق إبراهيم شعلان، ومحمد نغش (القاهرة 1968 م).

(45) المقري (أحمد): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب تحقيق وتعليق إحسان عباس (بيروت 1968 م) 8 أجـ.

(46) المغيلي (محمد بن عبد الكريم): أسئلة الأسقياء وأجوبة المغيلي، تحقيق وتقديم د. عبد القادر زبادية (الجزائر 1974 م).

(47) الهواري (محمد بن عمر): السهو والتنبيه للفقراء أهل الفضل النبيه، (مخطوط).

(48) الورتلاني (الحسين): نزهة الأنظار في فضل التاريخ والأخبار المعروفة بالرحلة الورتلانية، تحقيق محمد بن أبي شنب (الجزائر 1920 م).

المجلات:

مجلة الأصالة: (1971 ـ 1981 م).

مجلة الثقافة (1971 ـ 1989 م).

المجلة التاريخية المغربية (1974 ـ 1991 م).

مجلة المقتبس (1906 ـ 1908).

دوائر المعارف:

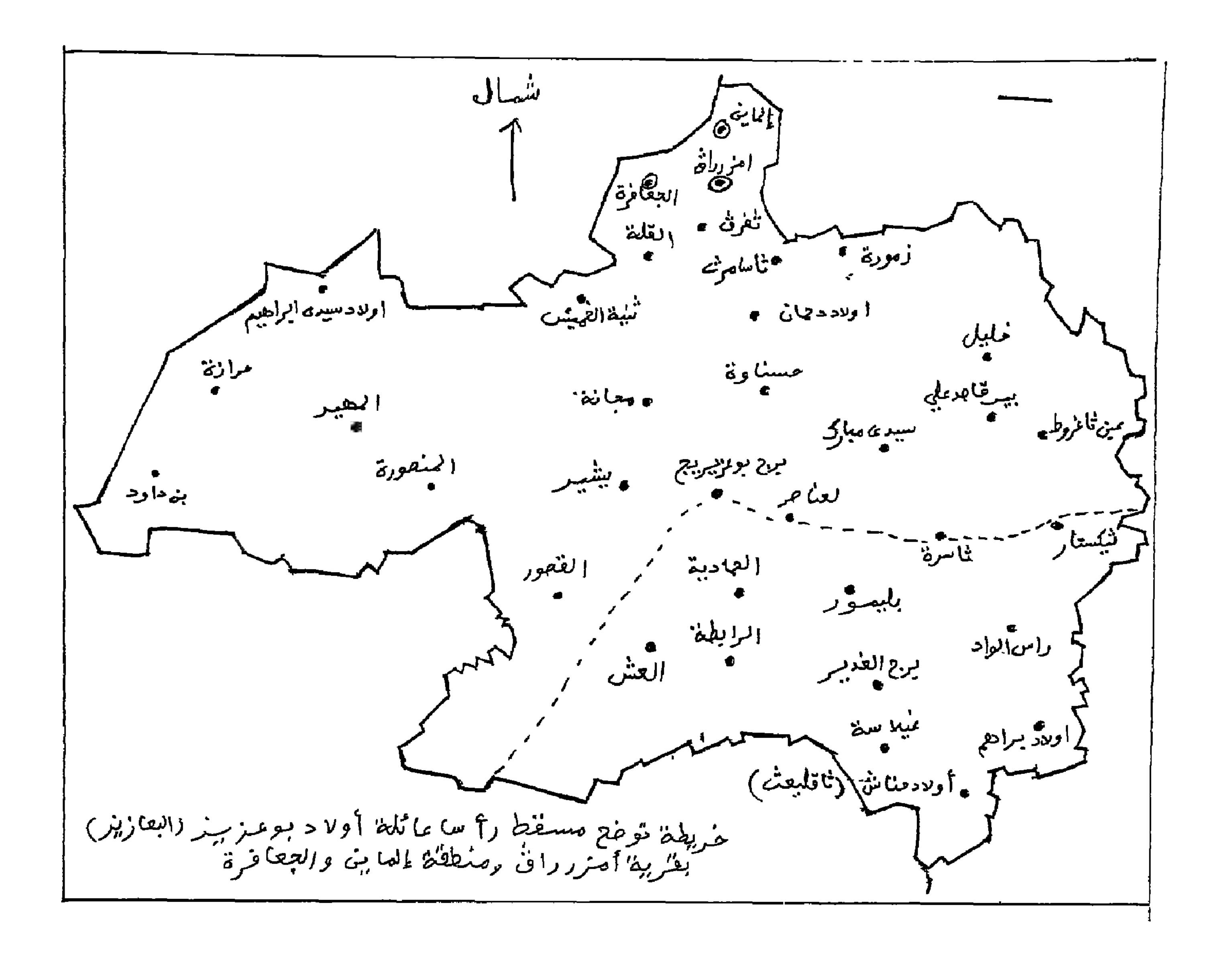
دائرة المعارف الإسلامية: الترجمة الفرنسية 3 مجلدات.

دائرة معارف القرن العشرين، 10 أجزاء.

دور المحفوظات:

الأرشيف الوطني التونسي، الوزارة الأولى.

(ملفات المشبوه فيهم).


شمال
إلماين
امزراو
الجعافرة
ثفرق
القلة
زمورة
ثاسامرت
ثنية القميش
اولاد دحان
اولادسيدي ابراهيم
خليل
عرارة
حسناوة
مجانة
المهير
بير قاصد علي
عين تاغروط
سيدي مبارك
المنصورة
برج بوعريريج
بن داود
بشير
لعناصر
ثيكستار
تاسرة
القصور
الحادية
بليمور
راس الواد
الرابطة
العش
برج الغدير
عين تاسة
اولاد براهم
أولاد منالش
(تاقليعث)
خريطة توضح مسقط رأس عائلة أولاد بوعزيز (البعازيز)
بقرية أمزراو ومنطقة إلماين والجعافرة

PREFECTURE
DE
CONSTANTINE

° Bureau
Affaires indigènes
N° 15737

OBJET :

A.S. du nommé BAGHDADI, de la confrérie des Chadoulya

REPUBLIQUE FRANÇAISE

CONFIDENTIEL

CONSTANTINE, le 11 1921

Le Préfet du Département de Constantine

à Monsieur le Résident Général de France

TUNIS

J'ai l'honneur de vous faire connaître qu'un centre d'activité religieuse musulmane très intense vient de se manifester dans mon département, dans la commune mixte des Biban.

Cette propagande religieuse est dirigée par les deux Mokaddem locaux BERBAZIZ Abderrahmane et BOUFELIH Seddik, tous deux de la commune susdite, mais obéissant aux ordres du cheikh BENALIOUA, de Mostaganem.

Ce cheikh BENALIOU qui appartient à la secte des Chadoulyia mais qui passe pour chercher en réalité à créer une secte dissidente qui lui soit propre, dispose en outre de deux autres agents de propagande très influents, les deux frères BEGHDADI Salah ben Abdelaziz et BEGHDADI Moulay Hacen ben Abdelaziz, tous deux originaires de Tlemcen.

Le premier de ceux-ci est tenu pour un homme de très grand savoir et jouit, par ce fait, d'un très haut prestige et d'une très grande influence sur ses coreligionnaires.

......

Quant à Moulay-Hacène , taleb, sans autre qualité, il habitait Mostaganem depuis deux mois lorsqu'il en est soudainement parti. Son passage m'a, vers la fin du mois dernier, été signalé dans la région de Bordj-bou-Arréridj et des Biban où une certaine agitation s'était aussitôt produite.

Puis il disparut de nouveau et des renseignements qui me sont parvenus, il se serait dirigé vers Tunis.

Le but avoué de ce voyage est de traiter avec un imprimeur de cette ville pour faire éditer les ouvrages religieux de son cheikh (BENALIOUA).

Egalement, le but de ce prosélytisme religieux ne tendrait, de l'aveu des personnages que j'ai nommés plus haut, qu'à recruter des adeptes et à supplanter les sectes des Rahmania et des Chadoulya, seules jusqu'à maintenant, en concurrence dans la région.

Cependant, il est d'ores et déjà établi que l'agitation créée dans la région des Biban par BENBAZIZ Abderrahmane et BOUFELIH Seddik a une allure nettement politique et anti-française.

D'autre part, le voyage de BEGHDADI Moulay-Hacen vers Tunis a un caractère clandestin qui ne saurait nous échapper.

Cette situation me parait donc devoir retenir toute l'attention des pouvoirs publics et éveiller toute leur vigilance. C'est donc pour ces raisons, Monsieur le Résident général, qu'après vour avoir mis au courant des agissements de ces personnages religieux je vous prie de vouloir bien prescrire des recherches en vue de retrouver la trace du nommé Beghdadi Moulay-Hacen et de recueillir des renseignements aussi complets que possible sur le but de son voyage à Tunis,

....

الفهارس العامة

أ ـ فهرس الأعلام.
ب ـ فهرس القبائل والأعراش.
جـ ـ فهرس الأماكن.

أ ـ فهرس الأعلام

ب ـ فهرس القبائل والأعراش

جـ- فهرس الأماكن

فهرس محتوى الكتاب

دار غ

دار الغرب الإسلامي

بيروت - لبنان

لصاحبها الحبيب اللمسي

شارع الصوراتي (المعماري) - الحمراء - بناية الأسود

تلفون . 340131 - 340132 - ص . ب . 5787 - 113 بيروت - لبنان

DAR AL-GHARB AL-ISLAMI – B P 113-5787 - Beyrouth - Liban

الرقم 1995/10/1000/281

التنضيد: كومبيوتايب

الطباعة : دار صادر ، ص . ب . 10 - بيروت

Bouazīz Yaḥia

ʾAʿLĀM AL-FIKR

(Personnalités de la pensée et de la culture algériennes)



DAR AL-GHARB AL-ISLAMI
1995

Bouaziz Yaḥia

'A'LĀM AL-FIKR

(Personnalités de la pensée et de la culture algériennes)

Volume I



DAR AL-GHARB AL-ISLAMI